
بازدید شد
۱۳۸۲




کتابخانه مجلس شورای ملی
کتاب انوار التنزیل و اسرار التاویل
مؤلف
موضوع
شماره قفسه ۳۰۴۸
شماره ثبت کتاب
۳۵۵۴۵

كتاب انوار التنزيل واسرار التاويل

تاليف الشيخ الامام العالم
العلامة الشيخ ناصر
الدين البيضاوي
رحمه الله
تعالى
امين

ثم انتقل بالنوبة [illegible] العبد الفقير سبحانه تعالى [illegible]
[illegible] الدرس عام بجامع سلطان محمد في
قسطنطنية حماه عن الآفات سنة
١١٤٠

١٠٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى بأقصر سورة
من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وأفحم من تصدى
لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا أنهم سحروا تسحيرا ثم
بين للناس ما نزل إليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر
أولوا الألباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن أم الكتاب
وأخر متشابهات هن رموز الخطاب تأويلا وتفسيرا وأبرز غوامض الحقائق
ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا
فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الأحكام وأوضاعها من نصوص الآيات وألماعها
ليذهب عنهم الرجس أهل البيت ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو
شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع إليه رأسه وأطفأ نبراسه
يعش ذميما ويصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا فائض الجود وغاية كل مقصود
صل عليه صلاة توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من أعانه وقرر تبيانه تقريرا
وأفض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم علينا وعليهم تسليما كثيرا
أما بعد فإن أعظم العلوم مقدارا وأرفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو
رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد الشرع وأساسها لا يليق لتعاطيه
والتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها وفاق في الصناعات
العربية والفنون الأدبية بأنواعها ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف في
هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن
دونهم من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة
استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين وأماثل المحققين ويعرب عن

القرآن

القراآت المروية المعزية إلى الأئمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين
إلا أن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى
سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما أردته والإتيان بما قصدته
ناويا أن أسميه بعد أن أتممه بأنوار التنزيل وأسرار التأويل فها أنا الآن أشرع
وبحسن توفيقه أقول وهو الموفق لكل خير ومعطي كل سؤل

سورة فاتحة الكتاب العظيم

وتسمى أم القرآن لأنها
مفتتحه ومبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه ولذلك تسمى أساسا أو لأنها تشتمل على
ما فيه من الثناء على الله عز وجل والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده أو على
جملة معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم
والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية
لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها عليها والصلاة
لوجوب قراءتها أو استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عليه الصلاة والسلام هي
شفاء كل داء والسبع المثاني لأنها سبع آيات بالاتفاق إلا أن منهم من عد التسمية
دون أنعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلاة أو الإنزال إن صح أنها نزلت
بمكة المشرفة حين فرضت الصلاة وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح أنها مكية
لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص بسم الله الرحمن الرحيم
من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي وخالفهم قراء
المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والأوزاعي ولم ينص أبو حنيفة فيه بشيء
فظن أنها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين
كلام الله لنا أحاديث كثيرة منها ما روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه عليه السلام
قال فاتحة الكتاب سبع آيات أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول أم سلمة
قرأ رسول الله عليه الصلاة والسلام الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
آية ومن أجلهما اختلف في أنها آية برأسها أو بما بعدها والإجماع على أن ما بين الدفتين
كلام الله والوفاق على إثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم تكتب
آمين والباء متعلقة بمحذوف تقديره باسم الله أقرأ لأن الذي يتلوه مقروء وكذلك
يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له وذلك أولى من أن يضمر أبدأ لعدم ما يطابقه
وما يدل عليه أو ابتدائي لزيادة إضمار فيه وتقديم المعمول هاهنا أوقع كما في قوله
باسم الله مجريها وقوله إياك نعبد لأنه أهم وأدل على الاختصاص وأدخل في التعظيم
وأوفق للوجود فإن اسم الله تعالى مقدم على القراءة كيف وقد جعل آلة لها من حيث إن
الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه تعالى لقوله عليه الصلاة والسلام

كما فرئ بالعربية فيه باسم الله ثم ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله اقرا
وهذا وما بعده الى اخر السورة مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد
على نعمه ويسال من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها
بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما
وبين لام التاكيد والاسم عند البصريين من الاسما التي حذفت اعجازها
لكثرة الاستعمال وبنيت اوايلها على السكون وادخل عليها مبتدا بها همزة الوصل
لان من دابهم ان يبتدوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على اسما
واسامي وسمي وسميت ومجي سمي كهدي لغة فيه قال

والله اسماك سمي مباركا • اثرك الله به ايثاركا •

والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن
السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل
اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سم
وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه
يتالف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد
تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشي فهو المسمى لكنه لم يشتهر
بهذا المعنى وقوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه
ذاته وصفاته عن النقايص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب
او الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر قال لبيد بن ربيعة

الى الحول ثم اسم السلام عليكما • ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر •

وان اريد به الصفة كما هو راي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة
عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال باسم الله
ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم
تكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله
اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه يختص
بالمعبود بالحق والاله في الاصل لكل معبود ثم غلب على المعبود بحق واشتقاقه من اله الاهة
والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تاله واستاله وقيل من اله اذا تحير اذ
العقول تتحير في معرفته او من الهت الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب تطمين
بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه والهه غيره
اجاره اذ العايذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه اذا اطلق على غير الله
تعالى كاطلاقه على الصنم او من اله الفصيل اذا اولع بامه اذ العباد يولعون
بالتضرع اليه في الشدايد او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت

الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضم في وجوه وقيل لاه كاعاء واشاح
ويرده الجمع على الهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه
يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه تعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع
على كل شي وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر

كحلفة من ابي رباح • يسمعها لاهه الكبار •

وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم يجري عليه صفاته
ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا
مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والاظهر انه وصف في اصله لكنه لما غلب
بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجرا الوصف
عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث
هو بلا اعتبار امر اخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه
لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات معنى صحيحا
ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للاخر في المعنى والتركيب
وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب
بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم
سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح
اليمين وقد جا لضرورة الشعر

الا لا بارك الله في سهيل • اذا ما الله بارك في الرجال •

الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم
والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم
لانعطافها على ما فيها واسما الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال
دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البنا تدل على
زيادة المعنى كما في قطع وقطع وكبار وكبار وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية
واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المومن والكافر ورحيم
الاخرة لانه يخص المومن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والاخرة لان النعم الاخروية
كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من
الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به
غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره
لان من عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثنا او مزيح
رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها
والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى

التي يحصل الانتفاع الى غيره ذلك من نطقه لا يتعدى بمحله الى احد غيره او لان الرحمن لما دل
على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له
او للمحافظة على رؤوس الاي والاظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه بالله ان
يكون له مونث على فعلى او فعلانة الحاقا له بما هو الاغلب في بابه وتخصيص التسمية بهذه الاسما
ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي
الذي هو مولي النعم كلها عاجلها واجلها وجليلها وحقيرها فيتوجه العارف بشراشره
بجملته ونفسه الى جناب ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به
عن غيره والله اعلم **الحمد لله** الحمد هو الثنا على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها
والمدح هو الثنا على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول
حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا
واعتقادا قال **الشاعر رحمه الله تعالى**

• افادتكم النعماء مني ثلاثة • يدي ولساني والضمير المحجبا •

فهو اعم منهما من وجه واخص من اخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل
على مكانها لخفا الاعتقاد وما في اداب الجوارح من الاحتمال جعل راس
الشكر والعمدة فيه فقال عليه الصلاة والسلام الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد
لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتدا وخبره
لله واصله النصب وقد قري به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته
له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة
لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد
ان الحمد ما هو وقيل للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو
موليه بوسط او بغير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى
حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقري الحمد لله
باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة
واحدة **رب العالمين** الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشي الى كماله شيا فشيا
ثم وصف به مبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب
كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق
على غيره تعالى الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم
والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض
فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما
جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلا منهم فجمعه بالياء والنون
كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم

جمركان الى الكثر انه

اي من الحمد والمدح من وجه ... باللسان ... الى الجنان ... الاركان

على سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل
على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه
في العالم الكبير ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال الله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون
وقري رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه
دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى
المبقي حال بقائها **الرحمن الرحيم** كرره للتعليل على ما سنذكره **مالك يوم الدين**
قراه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيا والامر يومئذ لله
وقرا الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله تعالى لمن الملك اليوم ولما
فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شا من الملك والملك
هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك وقري ملك بالتخفيف وملك
بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر
مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزا ومنه كما تدين تدان
وبيت الحماسة • ولم يبق سوى العدوان • دناهم كما دانوا •
واضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم
يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين ونادى اصحاب الجنة او له
الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة
للمعرفة قيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزا الدين وتخصيص اليوم
بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف
على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين ربا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها
عاجلها واجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد
لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف
يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات
لا يتاهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول
لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة
على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه
قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه
مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين **اياك
نعبد واياك نستعين** لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر
الذات تعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة
والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص والترقي من البرهان الى العيان
والانتقال من الغيبة الى الشهود وكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا

والملك

على طريقه

ثم انه ووصف بصفات صح

والغيبة حضورا بني اول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتأمل في
اسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شانه وباهر سلطانه ثم
قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه
عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين
للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب الى آخر تطرية له
وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس
كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح
فتثير سحابا فسقناه وقول امرء القيس

تطاول ليلك بالاثمد ۝ ونام الخلي ولم ترقد ۝
وبات وباتت له ليلة ۝ كليلة ذي العائر الارمد ۝
وذلك من نبا جاءني ۝ وخبرته عن ابي الاسود ۝

وايا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم
والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وقال
الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه
واياالشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضماير وايا عمدة فانها لما
فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير
هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية
الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان
في غاية الصفاقة ولذلك لا يستعمل الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة
طلب المعونة وهي اما ضرورية او غير ضرورية والضرورية ما لا يتأتى الفعل دونه
كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف
الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به
الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل
ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات
او في اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين للقاري ومن معه من الحفظة وحاضري
الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته
بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم
والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك
ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون
نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت
عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق

وصوله

وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه
ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكاه الله
عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معي ربي
سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على
الاستعانة ليتوافق رؤس الآي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة
واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه
فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب له
الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون
فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها
اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا
اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير
وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها
والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معه معاملة اختار
في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع انواعا لا يحصيها
عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء
الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب
الدلايل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال
وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال
الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا وقوله
ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السراير ويريهم
الاشيا كما هي بالوحي او الالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله
الانبياء والاوليا واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى
او الثبات عليه او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به
ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا لنستضيء
بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعا يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان
بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه
يسترط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا
ليطابق الطاء في الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاي ليكون اقرب الى المبدل منه
وقرا ابن كثير برواية قنبل ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون
بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق

في التذكير والتأنيث والمستقيم المستوي والمراد طريق الحق وقيل هو ملة الإسلام صراط
الذين أنعمت عليهم بدل من الأول بدل الكل من الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث
انه المقصود بالنسبة وفائدته التأكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود
عليه بالاستقامة على آكد وجه وأبلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكأنه من
البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين
أنعمت عليهم الأنبياء وقيل أصحاب موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام قبل التحريف
والنسخ وقرئ صراط من أنعمت عليهم والإنعام إيصال النعمة وهي في الأصل الحالة
التي يستلذها الإنسان فأطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين ونعم الله وإن
كانت لا تحصى كما قال وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي
وأخروي والأول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه
وإشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني
كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال
الأعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالأخلاق والملكات الفاضلة
وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلي المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني
أن يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في أعلى عليين مع الملائكة المقربين
أبد الآبدين والمراد هو القسم الأخير وما يكون وصلة إلى نيله من القسم الآخر فإن
ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل
من الذين على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال أو صفة
مبينة أو مقيدة على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال
وذلك إنما يصح بأحد تأويلين إجراء الموصول مجرى النكرة إذ لم يقصد به معهود
كالمحلى في قوله: ولقد أمر على اللئيم يسبني . وقولهم إني لأمر على الرجل مثلك
فيكرمني . أو جعل غير معرفة بالإضافة لأنه أضيف إلى ما له ضد واحد وهو
المنعم عليهم فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال
من الضمير المجرور والعامل أنعمت أو بإضمار أعني أو بالاستثناء إن فسر النعم
بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس إرادة الانتقام فإذا أسند
إلى الله تعالى أريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع لأنه
نائب مناب الفاعل بخلاف الأول ولا مزيدة لتأكيد ما في غير من معنى النفي
فكأنه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز أنا زيدا غير ضارب
كما جاز أنا زيدا لا ضارب وإن امتنع أنا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين
والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا أو خطأ وله عرض عريض والتفاوت
ما بين أدناه وأقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله

وغضب

وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وقد روي
مرفوعا ويتجه أن يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلين بالله لأن المنعم عليه
من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له من اختل إحدى
قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل
عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله فماذا بعد الحق إلا الضلال وقرئ
ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين آمين اسم الفعل الذي
هو استجب . وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه
فقال افعل . بني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وجاء مد ألفه وقصرها قال
يا رب لا تسلبني حبها أبدا . ويرحم الله عبدا قال آمينا . وقال أمين فزاد الله
ما بيننا بعدا وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه السلام علمني
جبريل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال إنه كالختم على الكتاب وفي قول علي
كرم الله وجهه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده المؤمن يقوله الإمام ويجهر به
في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا قرأ ولا الضالين
قال آمين ورفع بها صوته وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه لا يقوله والمشهور عنه أنه
يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وأنس والمأموم يؤمن معه لقوله عليه الصلاة والسلام
[illegible] إذا قال الإمام ولا الضالين فقولوا آمين فإن الملائكة
تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن أبي هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي ألا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والإنجيل والقرآن
مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب إنها السبع المثاني والقرآن العظيم
الذي أوتيته وعن ابن عباس قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه
ملك فقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك . فاتحة الكتاب وخواتيم
سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما إلا أعطيته . وعن حذيفة بن اليمان أن النبي
عليه الصلاة والسلام قال إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي
من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم العذاب أربعين

سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم وسائر الألفاظ التي يتهجى بها أسماء مسمياتها الحروف التي
ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع
والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وأبو علي وما روى ابن مسعود أنه عليه
السلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم
حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه

الادب اي التلبس باداب النفس الاريب العاقل

فان تخصيصه به عرف مجدد لا المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفاً وحداناً وهي مركبة صدرت بها ليكون تاديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب مبني الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعاً فيهما بين ساكنين ولم تعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي يتركب منها افتتحت السورة بطائفة منها ايقاظاً لمن تحدي بالقرآن وتنبيهاً على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلاً بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسماً هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد الالف فيها حرفاً براسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجها ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن الليتين الياء لانها اقل ثقلاً ومن المستعلية وهي التي يتصعد بها الصوت في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاي في صراط وزراط والفاء في اجداف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والفاء والظاء والشين والزاي والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيها وهي الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا تدغم

فيما

٦

فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاي والسين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيهاً على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذاناً بان المتحدي به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعداً الى الخمسة وذكر ثلاث مفردات في ثلاث سور لانها توجد في الاقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلاثة على ثلاثة اوجه ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلاثة في ثلاث عشرة سورة تنبيهاً على ان اصول الابنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها للاسماء وثلاثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيهاً على ان لكل منهما اصلاً كجعفر وسفرجل وملحقاً كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول القرآن لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعاراً بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحياً من الله لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن باسره بياناً وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف آخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف لا تحسبي انا نسينا الايجاف كما روي عن ابن عباس انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في ساير الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي القرآن منزل من الله

وحدانا جمع واحد كركبان جمع راكب

اي تحصل بها وان تقدمتها

بلسان جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام أو إلى مدد أقوام وآجال بحساب الجمل كما قاله
أبو العالية متمسكاً بما روي أنه عليه السلام لما أتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا
كيف ندخل في دين مدته إحدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بأيها نأخذ
فإن تلاوته إياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على
ذلك وهذه الدلالة وإن لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس
حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس أو دالة على الحروف
المبسوطة مقسماً بها لشرفها من حيث إنها بسائط أسماء الله تعالى ومادة خطابه
هذا وإن القول بأنها أسماء السور يخرجها إلى ما ليس في لغة العرب لأن التسمية بثلاثة
أسماء فصاعداً مستكره عندهم ويؤدي إلى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تأخر الجزء
عن الكل من حيث إن الاسم متأخر عن المسمى بالرتبة لأنا نقول هذه الألفاظ لم
تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستئناف يلزمها وغيرها من
حيث إنها فواتح السور لا يقتضي ذلك أن لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل
للاختصار من كلمات معينة في لغتهم ومبادي الخطاب وتمثيل بأمثلة حسنة
ألا ترى أنه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها
إذ لا مخصص لفظاً ومعنى ولا لحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه
لجواز أنه تبسم تعجباً من جهلهم وجعلها مقسماً بها وإن كان غير ممتنع لكنه يحوج إلى إضمار
أشياء لا دليل عليها والتسمية بثلاثة أسماء إنما تمتنع إذا ركبت وجعلت اسماً واحداً
على طريقة بعلبك فأما إذا نثرت نثر أسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه
بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة
والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر من حيث كونه اسماً فلا دور
والوجه الأول أقرب إلى التحقيق وأوفق للطائف التنزيل وأسلم من لزوم النقل
ووقوع الاشتراك في الأعلام من واضع واحد فإنه يعود بالنقض على ما هو
مقصود العلمية وقيل إنها أسماء القرآن ولذلك أخبر عنها بالكتاب والقرآن
وقيل إنها أسماء الله تعالى ويدل عليه أن علياً رضي الله تعالى عنه كان يقول يا كهيعص ويا حم عسق
ولعله أراد يا منزلهما وقيل الألف من أقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان
وهو وسطها والميم من الشفة وهي آخرها جمع بينها إيماء إلى أن العبد ينبغي أن يكون
أول كلامه وأوسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل إنها سر استأثر الله بعلمه وقد روي
عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم أرادوا أنها أسرار بين الله
تعالى ورسوله ورموز لم يقصد بها إفهام غيره إذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فإن جعلتها
أسماء الله تعالى أو القرآن أو السور كان لها حظ من الإعراب إما على الابتداء أو الخبر أو النصب

أما الشعر فشاذ وأما قول ابن عباس فتنبيه على أن هذه الحروف منبع الأسماء

بتقدير

بتقدير فعل القسم على طريقة الله لأفعلن بالنصب أو غيره كاذكر والجر على إضمار حرف
القسم ويتأتى الإعراب لفظاً والحكاية فيما كانت مفردة أو موازنة لمفرد
كحم فإنها كهابيل والحكاية ليس إلا فيما عدا كهيعص ذلك وسيعود إليك ذكره
مفصلاً إن شاء الله تعالى وإن أبقيتها على معانيها فإن قدرت بالمؤلف من هذه الحروف
كان في حيز الرفع بالابتداء والخبر على ما مر وإن جعلتها مقسماً بها يكون كل كلمة منها
منصوباً أو مجروراً على اللغتين في الله لأفعلن ويكون جملة قسمية بالفعل المقدر له
وإن جعلتها أبعاض كلمات أو أصواتاً منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الإعراب
كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام إذا قدرت بحيث
لا تحتاج إلى ما بعدها وليس شيء منها آية عند غير الكوفيين وأما عندهم فالم في
مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم وطس ويس وحم آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست
بآيات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه **ذلك الكتاب** إشارة إلى الم إن أول
بالمؤلف من هذه الحروف أو فسر بالسورة أو القرآن فإنه لما تكلم به وتقضى أو وصل
من المرسل إلى المرسل إليه صار متباعداً أشير إليه بما يشار إلى البعيد وتذكيره متى أريد بالم السورة
لتذكير الكتاب فإنه خبره أو صفته الذي هو هو أو إلى الكتاب فيكون صفته
والمراد به الكتاب الموعود إنزاله بقوله تعالى إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً
أو في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة أو فعال بني
للمفعول كاللباس ثم أطلق على المنظوم عبارة قبل أن يكتب لأنه مما يكتب وأصل الكتب
الجمع ومنه الكتيبة **لا ريب فيه** معناه أنه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب
العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحياً بالغاً حد الإعجاز لا أن أحداً لا يرتاب فيه
ألا ترى إلى قوله تعالى وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فإنه ما أبعد عنهم
الريب بل عرفهم الطريق المزيح له وهو أن يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه
ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى إذا عجزوا عنها تحقق لهم أن ليس فيه مجال للشبهة
ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه هدى للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور
والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الأصل مصدر رابني الشيء إذا حصل
فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لأنه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة
وفي الحديث دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الشك ريبة والصدق طمأنينة
ومنه ريب الزمان لنوائبه **هدى للمتقين** يهديهم إلى الحق والهدى في الأصل مصدر
كالسرى والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة إلى البغية لأنه جعل مقابل
الضلالة قال الله تعالى لعلى هدى أو في ضلال مبين ولأنه لا يقال مهدي إلا
لمن اهتدى إلى المطلوب واختصاصه بالمتقين لأنهم المهتدون به والمنتفعون
بنصه وإن كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم أو كافر وبهذا الاعتبار قال هدى

للناس او لانه لا ينتفع بالتأمل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الآيات والنظر وتعرف
النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة
وعلى هذا قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين
الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعين
المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف
الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقي عن العذاب
المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن
كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو
المعني بقوله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره
عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله هدى للمتقين على الاوجه الثلاثة واعلم
ان الآية تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدأ على انه اسم القرآن او السورة
او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص
لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تأليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة
ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا
ثانيا او بدلا والكتاب صفته ولا ريب في المشهورة مبني لتضمنه معنى من منصوب
المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها
وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله
تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب كما قصد
ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال والخبر محذوف كما في لا ضير
ولذلك وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب
فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي
يستأهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم او يكون الم خبر مبتدأ
محذوف والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك
لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما
يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي بانه الكتاب
المنعوت بغاية الكمال ثم لا ريب فيه جملة ثالثة تشهد على كماله بانه لا اكمل مما للحق واليقين
[illegible] لا يحوم الشك حوله او تستتبع كل واحدة منها ما يليها استتباع
الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس
كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال
واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك

والشبهة

٨

والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات
جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود وفي الثانية فخامة التعريف وفي
الثالثة تأخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف
بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار
الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشأنه **الذين يؤمنون**
بالغيب اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك
ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة
ان فسر بما يعم فعل الحسنات وترك السيئات لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس
الحسنات من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية
والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي
غالبا الا ترى الى قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلاة والسلام
الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح بما تضمنه المتقون
وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر اظهار لفضلها على سائر
ما يدخل تحت عبارته او مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون
الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة اسم التشريكي او على انه مدح منصوب
او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين والايمان التصديق مأخوذ من الامن كأن المصدق
امن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف
وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما امنت
ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم
بالضرورة انه من دين محمد عليه الصلاة والسلام كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء
ومجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين
والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر
ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل
في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه وتعالى
اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان
ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع
لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين آمنوا
كتب عليكم القصاص في القتلى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه
من قلة التغيير لانه اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة في الآية اذ المعدى
بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف
لانه المقصود ام لا بد من اقتران الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى



ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار
والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة
والعرب تسمي المطمئن بكسر الهمزة وفتحها فالكسر الصفة وبالفتح الموضع من الارض
والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه
الحس ولا تقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله
تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع
وصفاته واليوم الاخر واحواله وهو المراد به في الاية هذا اذا جعلته صلة للايمان
واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان
بمعنى الغيبة والخفا والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا
لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وعن المؤمن به
لما روي ان ابن مسعود قال والذي لا اله غيره ما امن احد افضل من ايمان بغيب
ثم قرا هذه الاية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم فالبا على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى
الثالث للالة ويقيمون الصلاة اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع
زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من قامت السوق
اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال ❊ اقامت غزالة سوق الضراب
لاهل العراقين حولا قميطا ❊ فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب
فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من غير فتور
ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر
وتقاعد او يؤدونها عبر عن الادا بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت
والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب لتضمنه
التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها
الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون
ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلاة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلاة
فعلة من صلى اذا دعا كالزكاة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل
المخصوص بها لاشتماله على الدعا وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه
وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح
في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما
رزقناهم ينفقون الرزق في اللغة الحظ قال تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
والعرف خصصه بتخصيص الشي بالحيوان وتمكينه منه للانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا
على الله تعالى ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس

برزق

٩

برزق الا ترى انه تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال الطلق
فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل ارايتم
ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم
والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال
للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله عليه الصلاة والسلام في حديث عمرو
ابن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله
لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك
لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشي وانفده اخوان
ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فا دالا على معنى الذهاب
والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف المال في سبيل الخير من الفرض والنفل
ومن فسره بالزكاة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه
بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤوس الاي وادخال
من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق
من جميع المعاون التي اتاهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله
عليه السلام ان علما لا ينال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم
به من انوار المعرفة يفيضون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من
قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين
يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ
المراد باولئك الذين امنوا عن الشرك والانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الايتان
تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس او على المتقين وكانه قال هدى للمتقين
عن الشرك والذين امنوا من اهل الكتاب ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم
ووسط العاطف كما وسط في قوله ❊
❊ الى الملك القرم وابن الهمام ❊ وليث الكتيبة في المزدحم ❊ وقوله
❊ يا لهف زيابة للحارث ❊ الصابح فالغانم فالايب ❊
على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من
العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع
وكرر الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طائفة منهم وهم
مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة
تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشي من الاعلى الى الاسفل وهو انما يلحق
المعاني بتوسط لحوق الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل
بان يتلقفه الملك من الله تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل

تلقيه على الرسول والمراد بما انزل اليك القرآن باسره والشريعة عن آخرها
وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد
او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد
موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما انزل
من قبلك الكتب السابقة والايمان بهما جملة فرض عين وبالاول دون الثاني
تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه
على كل احد يوجب الحرج وفساد المعاش **وبالآخرة هم يوقنون** اي يوقنون ايقانا
زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان
النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا
او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض
بمن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر
عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك
لا يوصف به علم الباري تعالى ولا العلوم الضرورية والآخرة تانيث الآخر صفة
الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها
بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ في غير السبع يؤقنون بقلب الواو
همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره لحب
المؤقدان الى مؤسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود **اولئك على هدى من ربهم**
الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له فكانه لما قيل
هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون الى آخر
الآيات والا فاستئناف لا محل لها فكانه نتيجة الاحكام والصفات
المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى
ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة
ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستانف باعادة الاسم
وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب
له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال
من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل وغوى واقتعد
غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج
والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم فكانه اريد به ضرب
لا يبالغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي
فلا وابي الطير المربة بالضحى ... على خالد لقد وقعت على لحم
واكد تعظيمه بان الله مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة

واولئك هم المفلحون كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات
يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم
ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله اولئك كالانعام
بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد
فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا تناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر
عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا او المبتدا
والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كانه
الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق
وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم
الناس الذين بلغك انهم هم المفلحون في الآخرة او الاشارة الى ما يعرفه كل احد
من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم **تنبيه** تامل كيف نبه سبحانه على اختصاص
المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل
مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب
في اقتفاء اثرهم وقد تشبثت به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة
في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح
لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له راسا **ان الذين كفروا** لما ذكر خاصة عباده وخالصة
اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم باضدادهم العتاة المردة
الذين لا ينفعهم الهدى ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة
المؤمنين كما عطف في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض
فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم
وانهماكهم في الضلال وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح
ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت
عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل دخيل
فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية
للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط
بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تاكيد
النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة ويذكر في معرض الشك
مثل ويسالونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال
موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن
قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد
به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا من

على الكفر وغيرهم محض عنهم غير مصروف بما اسند اليه والكفر لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح
وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمر كافور وفي الشرع انكار ما علم
بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب
فان من صدق الرسول عليه الصلاة والسلام لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر في انفسها واحتجت
المعتزلة بما جاء في القران بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة المخبر عنه واجيب بانه
مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم **سواء عليهم ءانذرتهم ام لم
تنذرهم** خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى الى كلمة
سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا
مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل
انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ
او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد
اليه كقوله تعالى واذا قيل لهم امنوا وقوله يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم
تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وانما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام
التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا عن معنى
الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حرف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم
اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به التخويف من عقاب الله
وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس من حيث
ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى
وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان
المتحركة لا تقلب ولانه يؤدي الى الجمع بين الساكنين على غير حده وبتوسيط الف بينهما محققتين
وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن
قبلها **لا يؤمنون** جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة
او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والاية مما احتج به من
جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان
فلو امنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان
والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي
غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او عدمه
لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار
بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم
ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي
الاية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات

ختم

ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق
وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه
لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى انه آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة
من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية
على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر
والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم
عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه
فتصير كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الايات المنصوبة لهم في الانفس
والافاق كما تجتليها اعين كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه
على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها باشياء ضرب
حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه
الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم
وبالاغفال في قوله ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء في قوله
تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى
الله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع
على قلوبهم وردت الاية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطرت
المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق
وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه
الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية
عن الفطن او قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت
به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر
لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب
الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل
ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه
بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم في
الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا
في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء
بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب الاية السادس ان ذلك في
الاخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله ونحشرهم
يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم
بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلام

فيما يضاف الى الله من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تعالى
وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع
الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك
الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة
وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد
السمع للامن من اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على
تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق
مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الاية العضو لانه اشد
مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة
كما في قوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء
المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه
وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على
تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه
والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وبالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما
لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين
غير المعجمة **ولهم عذاب عظيم** وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى
تقول عذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش
ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن
نكالا اي عقابا يردع به الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه
من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير
والكبير نقيض الصغير فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف
به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى
التنكير في الاية ان على ابصارهم غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامي عن الايات
ولهم من الالام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله **ومن الناس من يقول
امنا بالله وباليوم الاخر** لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب وساق لبيانه
ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى
باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة راسا ثلث
بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن
قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم موهوا
الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم
واستهزأ بهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال

وانزل

وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن اخرها معطوفة على
قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسي فحذفت الهمزة
حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله
ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت
فعال في ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستانسون بامثالهم او انس لانهم
ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه
للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد فكانه قال ومن الناس ناس يقولون وقيل للعهد والمعهود
هم الذين كفروا ومن موصولة مرادا بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث صمموا
على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها
على الكفر لا يابى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات
تختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الاية تقسيما للقسم الثاني واختصاص الايمان
بالله وباليوم الاخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم
احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون
انهم مخلصون فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا
يؤمنون بالله واليوم الاخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان
الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين
انهم امنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه
لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا فكيف وقد قالوه
تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام
والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس
المعبر عنه باللفظ وللراي والمذهب مجازا والمراد باليوم الاخر من وقت الحشر الى
ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدود
وما هم بمؤمنين انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما امنوا
ليطابق قولهم في التصريح بشان الفعل دون الفاعل لكنه عكس تاكيدا ومبالغة
في التكذيب لان اخراج ذواتهم عن عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم
في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء ونظيره الاية قوله تعالى وما هم بخارجين
منها واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا
به لانه جوابه والاية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد
لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا ينتهض حجة عليهم **يخادعون
الله والذين امنوا** الخداع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله
عما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع

اذا اوهم الحارش انه مقبل عليه ثم خرج من باب اخر واصله الاخفا ومنه المخدع للخزانة
والاخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله
ليس على ظاهره لانه لا تخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة
رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته
كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
واما ان صورة صنعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم
باجرا احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار
استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله في اخفا حالهم واجرا حكم الاسلام
عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون
يخدعون لانه بيان ليقول او استيناف بذكر بيان ما هو الغرض منه الا انه اخرج
في زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه
كان ابلغ منه اذا جا بلا مقابلة معارض ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراة من قرا
يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يتطرق به من سواهم من الكفرة
وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطا وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا
على اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد **وما يخدعون
الا انفسهم** قراة نافع وابن كثير وابو عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها
يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث
حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرا الباقون
وما يخادعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ يخدعون من خدع
ويخدعون بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البنا للمفعول ونصب انفسهم
بنزع الخافض والنفس ذات الشي وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب
لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللما لفرط حاجتها اليه وللراي
في قولهم فلان يوامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تامره وتشير
عليه والمراد بالانفس هاهنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وارايهم **وما يشعرون**
لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم
في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على ماوف الحواس والشعور الاحساس
ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار **في قلوبهم مرض فزادهم
الله مرضا** المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب
الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسو العقيدة
والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى
زوال الحياة الحقيقية الابدية والاية تحتملهما فان قلوبهم كانت متالمة تحرقا

على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول واستعلا شانه
يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد في اعلا امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت ماوفة
بالكفر وسو الاعتقاد ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم ونحوها فزادهم الله ذلك بالطبع
او بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصرة فكان اسناد الزيادة الى
الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة في قوله فزادتهم رجسا
لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما داخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا
شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه
بما زاد لرسوله عليه الصلاة والسلام نصرة على اعاديه وتبسطا في البلاد **ولهم عذاب
اليم** اي مولم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله
تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده **بما كانوا يكذبون** قراه عاصم
وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او بدله جزا لهم وهو قولهم امنا وقرا الباقون
يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول عليه الصلاة والسلام بقلوبهم واذا
خلوا الى شياطينهم او من كذب الذي هو للمبالغة او التكثير مثل بين الشي وموتت
البهائم او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراه فان المنافق
متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشي على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه
علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روي ان ابراهيم صلوات الله عليه
كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به
واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يكذبون او يقول وما روي عن سلمان
ان اهل هذه الاية لم ياتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون
من بعد من حاله كحالهم لان الاية متصلة بما قبلها والضمير الذي فيها والفساد
خروج الشي عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من
فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار
عليهم بافشا الاسرار اليهم فان ذلك يودي الى فساد ما في الارض من الناس والدواب
والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرايع والاعراض
عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى او الرسول
عليه الصلاة والسلام **قالوا انما نحن مصلحون** جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة
والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة
عن شوايب الفساد لان انما تفيد حصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق
وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم
من المرض كما قال تعالى افمن زين له سو عمله فراه حسنا **الا انهم هم المفسدون
ولكن لا يشعرون** رد لما ادعوه ابلغ رد للاستيناف به وتصديره بحرفي التا[كيد]

الا المنبهة على تحقق ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها اما التي هي من طلايع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمومنين اي مفسدا به والاستدراك بلا يشعرون **واذا قيل لهم امنوا** من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله امنوا **كما امن الناس** في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمي ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله • اذا الناس ناس • والزمان زمان • او للعهد والمراد به الرسول عليه الصلاة والسلام ومن معه او من امن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى امنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوايب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق • وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد **قالوا انومن كما امن السفها** الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رايهم او لتحقير شانهم فان اكثر المومنين كانوا فقرا • ومنهم موالي كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن امن منهم • ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة راي يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله **الا انهم هم السفها ولكن لا يعلمون** رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الايات والنذر وانما فصلت الاية بلا يعلمون • والتي قبلها بلا يشعرون • لانه اكثر طباقا لذكر السفه • ولان الوقوف على امر الدين • والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر • واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتامل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم **واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا** بيان لمعاملتهم مع المومنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير • روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة • فقال لقومه انظروا كيف ارد هولا السفها عنكم فاخذ بيد ابي بكر رضي الله عنه • وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم • ثم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني

عدي

عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت واللقا المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى **واذا خلوا الى شياطينهم** من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانها والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقايلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زايدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمايه الباطل **قالوا انا معكم** اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المومنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المومنين ولا توقع رواج ادعا الكمال في الايمان على المومنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار **انما نحن مستهزون** تاكيد لما قبله لان المستهزي بالشي المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف فكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المومنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزا السخرية والاستخفاف يقال هزات واستهزات بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزا فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزا به اي تسرع وتخف **الله يستهزي بهم** يجازيهم على استهزايهم سمي جزا الاستهزا باسمه كما سمي جزا السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له في القدر او يرجع وبال الاستهزا عليهم فيكون كالمستهزي بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزا او الغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزي اما في الدنيا فباجرا احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الاخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وانما استونف به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المومنين ان يعارضوهم وان استهزاهم لا يوبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزي بهم ليطابق قولهم ايما بان الاستهزا يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكاية الله فيهم كما قال اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين **ويمدهم في طغيانهم يعمهون** من مد الجيش

وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت
والسماد لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كاملى لهم ويدل عليه قراة ابن كثير ويمدهم
والمعتزلة لما تعذر عليهم اجرا الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله الطافه التي يمنحها
المومنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت
بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المومنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان
من اغوايهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان
اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين
اطلق الغي وقال واخوانهم يمدونهم في الغي او كان اصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في اعمارهم
كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه
كما في قوله واختار موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في
طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العتو والغلو في الكفر
واصله تجاوز الشي عن مكانه قال الله تعالى انا لما طغى الما حملناكم والعمه في البصيرة
كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمها لا منار بها
قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه **اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى**
اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان
فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله
اشترا والا فاي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر واخذه بايع
ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به
غيره سوا كان من المعاني او الاعيان ومنه

اخذت بالجمة راسا ازعرا ... وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيدرا ... كما اشترى المسلم اذ تنصرا

ثم اتسع واستعمل للرغبة عن الشي طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي
جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها او اختاروا
الضلالة واستحبوها على الهدى **فما ربحت تجارتهم** ترشيح للمجاز لما استعمل الاشترا
في معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارتهم ونحوه

ولما رايت النسر عز ابن داية ... وعشش في وكريه جاش له صدري

والتجارة طلب الربح بالبيع والشرا والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي شفا
واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها
اياه من حيث انها سبب الربح والخسران **وما كانوا مهتدين** لطرق التجارة فان
المقصود منها سلامة راس المال والربح وهولا قد اضاعوا الطلبتين لان راس مالهم
كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم

داخل

واختل عقلهم ولم يبق لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا
خاسرين ايسين عن الربح فاقدين للاصل **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا** لما
جا بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع
في القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر
ما اكثر الله في كتبه الامثال وفشت في كلام الانبيا والحكما والمثل في الاصل
بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل
مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير
ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله مثل الجنة
التي وعد المتقون وقوله ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال
كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا
ان جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القايم مقام القايمين
لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه
ليس باسم تام بل هو كالجز منه فحقه ان لا يجمع كما لا يجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد
والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جا
بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق
التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في
اسما الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذي استوقد
والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها
واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا **فلما اضاءت ما حوله**
اي النار حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة الى ما والتانيث
لان ما حوله اشيا واماكن او الى ضمير النار وما موصولة في معنى الامكنة نصب على
الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور
ذهب الله بنورهم جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما
قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او استيناف اجيب به اعتراض
سايل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفات ناره او بدل من جملة
التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف
كما في قوله فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالتباس واسناد الاذهاب الى الله
تعالى اما لان الكل بفعله او لان الاطفا حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح
او مطر او للمبالغة ولذلك عدي الفعل بالبا دون الهمزة لما فيها من معنى
الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه
وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضو الذي هو مقتضى اللفظ الى النور

فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم رأسا الا ترى كيف قرر ذلك واكده بقوله **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجري مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات وقول الشاعر

فتركته جزر السباع ينشنه ... ما بين قلة راسه والمعصم

والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد او ظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكان الفعل غير متعد والاية مثل ضربه الله لمن آتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الاية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعد ما آمن ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من انوار الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها **صم بكم عمي** لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الايات بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ... وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا

اصم عن الشيء الذي لا اريده ... واسمع خلق الله حين اريد

واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير

لدى اسد شاكي السلاح مقذف ... له لبد اظفاره لم تقلم

ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام

ويصعد حتى يظن الجهول ... بان له حاجة في السماء

وههنا وان طوي ذكره بحذف المبتدا لكنه في حكم المنطوق به ونظيره

اسد علي وفي الحروب نعامة ... فتخاء تنفر من صفير الصافر

هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الاية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة ادهشتهم

خلا الكلام عن المستعار منه لولا

بحيث

بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة **فهم لا يرجعون** لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون والى حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم **او كصيب من السماء** عطف على الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم في اذانهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلقت للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله تعالى او كصيب ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ

واسحم دان صادق الرعد صيب

وفي الاية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بافاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء وقال

ومن بعد ارض بيننا وسماء

امد به ما في صيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية **فيه ظلمات ورعد وبرق** ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا **يجعلون اصابعهم في اذانهم** الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعود عليه كما عاد حسان في قوله

يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل

حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استئناف فكانه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة **من الصواعق** متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولهم

سقاه من العيمة

والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد تطلق على كل هائل مسموع او مشاهد ويقال صعقته

شهوة البهايم

الصاعقة وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت
وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستوا كلا البنايين في التصرف يقال
صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاعقة وهي في الاصل اما صفة لقصفة
الرعد او للرعد والتا للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة حذر الموت
نصب على العلة كقوله ٭ واغفر عورا الكريم ادخاره ٭ واصفح عن شتم اللئيم تكرما ٭
والموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله خلق الموت والحياة ورد بان الخلق بمعنى
التقدير والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به
المحيط ولا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها يكاد البرق يخطف
ابصارهم استيناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من
افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد
شرط او لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جات متصرفة بخلاف
عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب
من غير ان لتوكيد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها
بالحذف عن خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بسرعة وقرئ يخطف
بكسر الطا ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التا الى الخا ثم ادغمت في الطا ويخطف
بكسر الخا لالتقا الساكنين واتباع اليا لها ويتخطف كلما اضا لهم مشوا فيه واذا
اظلم عليهم قاموا استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق
وخفيته فاجيب بذلك واضا اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى
اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جا متعديا منقولا
من ظلم الليل ويشهد له قراة اظلم على البنا للمفعول وقول ابي تمام ٭
٭ هما اظلما حالي ثمت اجليا ٭ ظلاميهما عن وجه امرد اشيب ٭
فانه وان كان من المحدثين لكنه من علما العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة
ما يرويه وانما قال مع الاضاة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا
فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا
ركدت وقام الما اذا جمد ولو شا الله لذهب بسمعهم وابصارهم اي لو شا الله
ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول
لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شا واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشي
المستغرب كقوله ٭ ولو شيت ان ابكي دما لبكيته ٭ ولو من حروف الشرط وظاهرها
الدلالة على انتفا الاول لانتفا الثاني ضرورة انتفا الملزوم عند انتفا اللازم
وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة البا كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة
هذه الشرطية ابدا المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه

على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروطة بمشيته تعالى وان وجودها مرتبطا باسبابها واقع
بقدرته ان الله على كل شي قدير كالتصريح به والتقرير له والشي يختص بالموجود لانه في
الاصل مصدر شا اطلق بمعنى شاي تارة وحينيذ يتناول الباري تعالى كما قال قل اي
شي اكبر شهادة قل الله شهيد وبمعنى مشي اخرى اي مشي وجوده فهو موجود في الجملة وعليه
قوله تعالى ان الله على كل شي قدير الله خالق كل شي فهما على عمومهما بلا مثنوية
والمعتزلة لما قالوا الشي ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر
عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة
هو التمكن من ايجاد الشي وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها
يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان
شا فعل وان شا لم يفعل والقدير الفعال لما يشا على ما يشا ولذلك قلما يوصف به غير
الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته
او على مقدار ما تقتضيه مشيته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه
مقدوران وان مقدور العبد مقدور الله لانه شي وكل شي مقدور له والظاهر ان
التمثيلين من جملة التمثيلات المولفة وهو ان تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت
اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيا واحدا باخرى مثلها كمثل قوله تعالى مثل الذين
حملوا التوراة ثم لم يحملوها الاية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة
بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة
والشدة بما يكابد من طفيت ناره بعد ايقاده في ظلمة او بحال من اخذته السما في ليلة
مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل
المفرد وهو ان تاخذ اشيا فرادى فتشبهها بامثالها كقوله وما يستوي الاعمى والبصير
ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس ٭
٭ كان قلوب الطير رطبا ويابسا ٭ لدى وكرها العناب والحشف البالي ٭
بان يشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار
وما انتفعوا به من حقن الدما وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاة النار ما حول
المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وافشا حالهم وابقايهم في الخسار
الدايم والعذاب السرمد باطفا نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب
الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه
وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا
عن نكايات المومنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الاذان من الصواعق
حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله شيا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم
لشدة الامر وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة

مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل شبه الايمان والقران وسائر ما اوتي الانسان من المعارف التي هي سبب الحياة الابدية بالصيب الذي به حياة الارض وما ارتكبت بها من الشبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الايات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الاجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير **يا ايها الناس اعبدوا ربكم** لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل واي جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت بينهما هاء التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القران لاستقلاله باوجه من التاكيد وكل ما نادى الله له عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالاكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتاكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شائعا ذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه الصلاة والسلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين امنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان

الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكافر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي الربوبية **الذي خلقكم** صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس **والذين من قبلكم** متناول لكل ما يتقدم الانسان بالذات او بالزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله

يا تيم تيم عدي لا ابا لكم

التيم الثاني وما اضيف اليه **لعلكم تتقون** حال من ضمير اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبرؤ عن كل شيء سوى الله الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والاية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل **الذي جعل لكم الارض فراشا** صفة ثانية لربكم او مدح منصوب او مرفوع او مبتدا خبره فلا تجعلوا لله وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلاثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله

فقد جعلت قلوص بني سهيل من الاكوار مرتعها قريب

وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير فيتعدى الى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول او العقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لان يقعدوا وينام عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كروية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا يابى الافتراش عليها **والسماء بناء** قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس

يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة، والبنا مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خبا ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خبا جديدا

وانزل من السما ما فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل، وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيته ولكن جعل الما الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عليه عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او ابدع في الما قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشيا كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشايها مدرجا من حال الى حال صنايع وحكم يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك في ايجادها دفعة. ومن الاولى للابتدا سوا اريد بالسما السحاب فان ما علاك سما او الفلك فان المطر يبتدي من السما الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزا الرطبة من اعماق الارض الى جو الهوا فتنعقد سحابا ماطرا. ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له اعني ما ورزقا كانه قال وانزلنا من السما بعض الما فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السما الما كله ولا اخرج بالمطر كل الثمرات ولا جعل المرزوق كله ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا، وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرة جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويويده قراءة من قرا من الثمرة على التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله كم تركوا من جنات وقوله ثلاثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة. ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول له ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جوابا له او بلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقا لها بالاشيا الستة لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا له اندادا او بالذي جعل ان استانفت به على انه نهي وقع خبرا على تاويل مقول فيه لا تجعلوا والفا للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى من خصكم بهذه النعم الجسام والايات العظام ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير

اتيما تجعلون الي ندا ... وما تيم لذي حسب نديد

من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي للمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله

اندادا

اندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها الهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل

اربا واحدا ام الف رب ... ادين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعا ... كذلك يفعل الرجل البصير

وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الراي فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات منفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله هل من شركايكم من يفعل من ذلكم من شي وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سوا في التكليف واعلم ان مضمون الايتين هو الامر بعبادة الله تعالى والنهي عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه الامور التي لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الاية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسما والعقل بالما وما افاض عليه من الفضايل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل اية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا

وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القران المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطبا من العرب العربا مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقايع على ما نرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به

سنادٌ لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا وامته عليه الصلاة والسلام والسورة الطائفة من
القرآن المترجمة التي اقلها ثلاث آيات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من
سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية
على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال

❊ ولرهط حراب وقد سورة ❊ في المجد ليس غرابها بمطار ❊

لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ او لها مراتب في الطول والقصر
والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التي هي
البقية او القطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق
الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم
سورة نفس ذلك منه كالمسافر اذا قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه
اخذ من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده
وابتهج به الى غير ذلك من الفوائد من مثله صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير
لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقرآن
في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة كائنة ممن هو على حاله من
كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا والضمير للعبد والرد
الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فاتوا بسورة مثله ولسائر آيات التحدي ولان الكلام
فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم
الغفير بان ياتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ في التحدي من ان يقال
لهم ليأت بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله
تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله
ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله **وادعوا
شهداءكم من دون الله** فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء
جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمي به لانه
يحضر النوادي وتبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه
قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون
ادنى مكان من الشيء ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك
هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف
ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي امر الى آخر
قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية
المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية ❊ يا نفس ما لك دون الله من واق ❊
اي اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا للمعارضة

من حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم والهتكم غير الله فانه لا يقدر ان يأتي
بمثله الا الله او وادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله
ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت والعاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم
فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم من دونه اولياء او آلهة وزعمتم انها تشهد لكم
يوم القيامة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله على زعمكم من قول الاعشى ❊
❊ تريك القذى من دونها وهي دونه ❊ ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد
في معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اي من دون
اوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله
فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله
ان كنتم صادقين انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق
الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى
كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف
التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة
لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به وميز لهم الحق عن
الباطل رتب عليه ما هو كالعذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم
جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا
به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم
الاتيان وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكني
عنه وتهويلا لشأن العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان التي
للشك والحال يقتضي اذا الذي للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم
ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم وخطابا معهم على حسب
ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة
الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء
منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ
اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل
في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت
الفها نونا والوقود بالفتح ما توقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح
قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر
سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم
وان اريد به المصدر فعلى حذف مضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع

حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا بها
انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار بمكانتهم
ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو
منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة
في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونهما ويغترون بهما وعلى هذا
لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت
وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث
تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت يتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه فلعله عنى به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت
لسائر النيران ولما كانت الاية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة
التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه تعريفا للنار ووقوع الجملة صلة فانها
يجب ان تكون قصة معلومة **اعدت للكافرين** هيئت لهم وجعلت عدة
لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استيناف او حال باضمار
قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وان جعلته صفة للفصل بينهما بالخبر وفي الايتين
ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع
في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض
اقصر سورة من سور القران ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة
وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا لمعارضته والتجؤوا الى جلاء الوطن وبذل المهج
والثاني انهما يتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع
خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث
انه صلى الله عليه وسلم لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة
ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة
لهم الان **وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات** عطف على
الجملة السابقة والمقصود عطف حال من امن بالقران ووصف ثوابه على حال من
كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب
تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه
حتى يجب ان له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم ياتوا
بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب
ومن امن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر
الرسول عليه الصلاة والسلام او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم
ولم يخاطبهم بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استئنافا

والبشارة

والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة
هي الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه
فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله فبشرهم بعذاب اليم
فعلى التهكم او على طريقة قوله ∴ تحية بينهم ضرب وجيع ∴ والصالحات جمع صالحة
وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة ∴
كيف الهجاء وما تنفك صالحة ∴ من ال لام بظهر الغيب تاتيني ∴
وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل الخصلة او الخلة واللام
فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان السبب
في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان
الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء
باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا منفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى
الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه ولا على ما هو داخل فيه ان لهم منصوب
بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة
المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجر
المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال
كان عيني في غربي مقتلة ∴ من النواضح تسقي جنة سحقا ∴
اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما
فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من
افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها
وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنه سبع جنة الفردوس
وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة الماوى ودار السلام وعليين
وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال
واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا
لذاته فانه لا يكافئ النعم السابقة فضلا من ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل
بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت
وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت
اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام لئن اشركت ليحبطن عملك
واشباه ذلك ولعله سبحانه لم يقيدها هنا استغناء بها **تجري من تحتها
الانهار** اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها
وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك
لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله

تحتها انهار من ماء غير آسن الآية والنهر المجرى الواسع فوق الجدول
ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الإضمار او المجاري
انفسها واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا
منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل صفة ثانية لجنات او خبر
مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة كأنه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع
أثمارها مثل ثمار الدنيا او اجناس اخر فأزيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول
به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال واصل الكلام ومعناه كل حين
رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من
الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال
الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك
رأيت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء
لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهد منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب
جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه
بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اي من قبل هذا في الدنيا
جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما يرى فان الطباع مائلة
الى المألوف متنفرة عن غيره وتتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان
جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه الصورة
كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل
الاولى فيقول ذلك فيقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي
انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة
ليأكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا رأوها على الهيئة
الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم
هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا
من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة وأتوا به متشابها اعتراض
يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله
هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما
اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة
وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من اطعمة الدنيا
الا الاسماء قلت التشابه هنا وان للآية محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة بمقابلة
ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل
ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية

بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه

وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد ولهم
فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس
الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرة
وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وهن فاعلات وفواعل
قال واذا العذاري بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت
فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى
متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن
وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين
من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر
الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت
مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية
في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل
ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها
وهم فيها خالدون دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم
يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله
ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد في قوله خالدين فيها
ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا
والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار
كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن
المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن فان قيل
الابدان مركبة من اجزاء متضادة بالكيفية معرضة للاستحالة المؤدية
الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنة قلت انه تعالى
يعيدها بحيث لا تعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متقاومة
في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الآخر متعانقة متلازمة
لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن وان قياس ذلك العالم
واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان
معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء
وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال
كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في
الآخرة بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على
كمالهم في التنعم والسرور ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت

الأمثال السابقة لأنواع من التمثيل عقّب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه
وهو أن يكون على وفق الممثَّل له من الجهة التي تتعلق بها التمثيل في العظم والصغر
والشرف دون الممثِّل فإن التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه
وإبرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهمُ العقلَ ويصالحه عليه فإن
المعنى الصرف إنما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لأن من طبعه الميل إلى الحس وحب
المحاكاة ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية وفشت في عبارات البلغاء وإشارات
الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وإن كان المثل أعظم من كل عظيم كما
مثّل في الإنجيل غلّ الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء
بإثارة الزنابير وجاء في كلام العرب أسمع من قراد وأطيش من فراشة وأعز من مخ
البعوضة لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثّل الله حال المنافقين بحال المستوقدين
وأصحاب الصيب وعبادة الأصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها
أقل من الذباب وأخس قدراً منه الله أعلى وأجل من أن يضرب الأمثال ويذكر
الذباب والعنكبوت وأيضاً لما أرشدهم إلى ما يدل على أن المتحدى به وحي منزل ورتّب
عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور أمره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال
إن الله لا يستحيي أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها
والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة
على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقاً واشتقاقه
من الحياة فإنه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن أفعالها فقيل حيي الرجل
كما قيل نسي وحشي إذا اعتلت نساه وحشاه وإذا وصف به الباري تعالى
كما جاء في الحديث إن الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم أن يعذبه إن الله حيي كريم يستحيي
إذا رفع العبد يديه أن يردهما صفراً حتى يضع فيهما خيراً فالمراد به الترك اللازم
للانقباض كما أن المراد من رحمته وغضبه إصابة المعروف والمكروه اللازمين
لمعنييهما. ونظيره قول من يصف إبلاً

إذا ما استحين الماء يعرض نفسه ... كرعن بسبت في إناء من الورد

وإنما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة وتحتمل الآية خاصة أن يكون
مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماده من ضرب الخاتم
وأصله وقع شيء على آخر وأن بصلتها مخفوض المحل عند الخليل بإضمار من منصوب بإفضاء
الفعل إليه بعد حذفها عند سيبويه وما إبهامية تزيد النكرة إبهاماً وشياعاً
وتسد عنها طرق التقييد كقولك أعطني كتاباً ما أي أي كتاب كان أو مزيدة
للتأكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فإن القرآن
كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وإنما وضع لأن يذكر مع غيره فيفيد

له وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه **وبعوضة** عطف بيان لمثلاً
ومفعول ليضرب ومثلاً حال تقدمت عليه لأنها نكرة أو هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل
وقرئت بالرفع على أنه خبر مبتدأ وعلى هذا يحتمل ما وجوهاً أخر أن تكون موصولة حذف
صدر صلتها كما حذف في قوله تماماً على الذي أحسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها
النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدأ كأنه لما رد استبعادهم ضرب
الله الأمثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له أن يمثل بما هو
أحقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران والبعوض فعول من
البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش **فما فوقها** عطف
على بعوضة أو ما إن جعل اسماً ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت
كأنه قصد به رد ما استنكروه والمعنى أنه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلاً
وهو الصغر والحقارة كجناحها فإنه عليه الصلاة والسلام ضربه مثلاً للدنيا
ونظيره في الاحتمالين ما روي في صحيح مسلم أن رجلاً خر على طنب فسطاط فقالت عائشة
رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها
إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فإنه يحتمل ما تجاوز الشوكة في الألم
كالخرور وما زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله صلى الله عليه وسلم ما أصاب المؤمن
من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة **فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق
من ربهم** أما حرف تفصيل يفصل ما أجمل ويؤكد ما به صدّر ويتضمن معنى الشرط
ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه أما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد
ذاهب أي هو ذاهب لا محالة وأنه منه عزيمة وكان الأصل دخول الفاء على الجملة
لأنها الجزاء لكن كرهوا إيلاءها حرف الشرط فأدخلوا الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط
لفظاً وفي تصدير الجملتين به إحماد لأمر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين
على قولهم والضمير في أنه للمثل أو لأن يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ إنكاره
يعم الأعيان الثابتة والأفعال الصائبة والأقوال الصادقة من قولهم حق
الأمر إذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج **وأما الذين كفروا فيقولون**
كان من حقه وأما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم
هذا دليلاً واضحاً على كمال جهلهم عدل إليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه
ماذا أراد الله بهذا مثلاً يحتمل وجهين أن تكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما
بعده صلته والمجموع خبر ما وأن يكون ما مع ذا اسماً واحداً بمعنى أي شيء منصوب
المحل على المفعولية مثل ما أراد الله والأحسن في جوابها الرفع على الأول والنصب على
الثاني ليطابق الجواب السؤال والإرادة نزوع النفس وميلها إلى الفعل بحيث يحملها
عليه وتقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والأول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين

لافعاله

غير متصور في اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل ارادته
انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم تكن المعاصي بارادته تعالى
وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى
تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الاخر وتخصيصه بوجه دون وجه
او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا
استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او الحال كقوله هذه ناقة الله لكم اية
يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب ماذا اي اضلال كثير واهدا كثير وضع
الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين
باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار
لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم
لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال
تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة
المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا
وقال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا
وما يضل به الا الفاسقين اي الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين
هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل
الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا
والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات
ثلاث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك
وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها
مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان
من عنقه ولابس الكفر وما دام في درجة التغابي او الانهماك فلا يسلب عنه
اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان
من المؤمنين الاية والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار
والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي
المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم
مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال
وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه
افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت
ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون
بالرفع الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير للفسق

والنقض

والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث
ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالاخر فان اطلق مع
لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان
العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه
وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى
افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين
ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد
اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب
وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او الماخوذ
بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم
يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب ونظائره وقيل عهود الله ثلاثة عهد اخذه على جميع ذرية ادم بان
يقروا بربوبيته وعهد اخذ على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه
وعهد اخذ على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه الضمير للعهد
والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من
الايات والكتب او ما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى
المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون ما امر الله
به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن
موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام والكتب في
التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه
يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر
هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي
هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شان وهو
الطلب والقصد يقال شانه شانه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل
النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى ويفسدون
في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه
اولئك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم
الحياة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الايات بالايمان بها والنظر
في حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح
والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم
بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال

وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ
واقوى في انكار الكفر من اتكفرون وادفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا
لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم
على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون
وكنتم امواتا اي اجساما لا حياة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا
مخلقة وغير مخلقة فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفا لانه متصل
بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم يميتكم عند انقضا آجالكم ثم يحييكم
بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم
باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه
فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه
يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم
في ازاحة العذر سيما وفي الاية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه
تعالى لما قدر على احياهم اولا قدر على ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس اهون
عليه من اعادته او مع القبيلين فانه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوة
ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة
والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان
عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية
للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحياة الثانية التي هي الحياة الحقيقية كما قال
تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود
عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها
لا كل واحد واحد من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان
يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف
يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم
الموت المعروف ثم يحييكم الحياة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحياة حقيقة في القوة الحساسة
او ما يقتضيه وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لانها من طلايعها
ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضايل كالعقل والعلم والايمان من حيث
انه كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال الله تعالى
قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان
ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها
صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قايم بذاته يقتضي ذلك

على

على الاستعادة وقرا يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا بيان نعمة اخرى مترتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد
اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم وتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم
وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط
وفي دينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف بما يلايمها من لذات الاخرة والامها
لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه
عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشيا النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها
ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم
كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسما جهة العلو وجميعا
حال عن الموصول الثاني ثم استوى الى السما قصد اليها بارادته من قولهم استوى
اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شي واصل الاستوا
طلب السوا واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزا ولا يمكن حمله عليه
لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال

قد استوى بشر على العراق • من غير سيف ودم مهراق

والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المرتبة عليه بالفاء والمراد
بالسما هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين
الخلقين وفضل خلق السما على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين امنوا لا
للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها
فانه يدل على تاخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السما وتسويتها الا
ان تستانف بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا اخر دل عليه اانتم اشد خلقا
مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر فسويهن ام
عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السما ان فسرت بالاجرام
لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع
سموات بدل او تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك
قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الاية نفي الزايد مع انه ان انضم اليها
العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شي عليم فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما
بكنه الاشيا كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال
بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان
الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم
حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعدما تفتتت وتبددت
اجزاوها واتصلت بما يشاكلها كيف تجتمع اجزا كل بدن مرة ثانية بحيث

لا يتبدل منها ولا يتغير الا ما لو كان منها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو
بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين
الآيتين اما الاولى فهي ان مواد الابدان قابلة للجمع والحياة واشار الى البرهان عليها
بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت
والحياة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يأبى ان يزول ويتغير واما
الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار
الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب
صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه خلق ما خلق مستويا محكما من
غير تفاوت واختلال واختلاف مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم
وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته
وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد
واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة تعداد لنعمة ثالثة
تعم الناس كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود
له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيها اخرى
كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما
الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل
والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة
لما ذكرناه واما قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى تأويل
اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله
في الآية قالوا او اذكر على التأويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القرآن
كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال
وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه
مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل في جمع شمأل والتاء لتأنيث
الجمع وهو مقلوب مألك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله
وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد
اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها
اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا
يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية
المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة
في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه
عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار

لا يفترون

لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض
على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب
الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة
الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في
الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم
وفرقهم في الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض
خليفة اعمل فيها لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان
يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة
والمراد به آدم عليه الصلاة والسلام لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل
نبي استخلفهم في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ
امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن
قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى
ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت
قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان
منهم اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام في الميقات ومحمدا
صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن
قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته
بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذلك او خليفة من سكن
الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا
وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي
القبيلة في قولهم مضر وهاشم او على تأويل من يخلف او خلقا يخلف
وفائدة قوله هذا تعليم المشاورة وتعظيم شأن المجعول بان بشر بوجوده
سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه
من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره
فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك **قالوا اتجعل فيها**
من يفسد فيها ويسفك الدماء تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها
من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف
عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما
يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره وليس
باعتراض على الله تعالى ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى

من يظن بهم ذلك لقوله بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
وانما عرفوا ذلك باخبار من الله او تلق من اللوح المحفوظ او استنباط عما ركز
في عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الاخر والسفك
والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع
والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن في الصب
من فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يُسفك على البنا للمفعول فيكون
الراجع الى من سوا جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك الدما فيهم
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال كقولك
اتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى اتستخلف عصاة ونحن
معصومون احقا بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع
منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم علموا
ان المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان
به الى الفساد وسفك الدما وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها
مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا يقتضي الحكمة
ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم بما يتوقع منها
سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا
صارت مهذبة مطاوعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة
الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الاحاد كالاحاطة
بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع
الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه
اشار تعالى بقوله قال اني اعلم ما لا تعلمون والتسبيح تبعيد الله عن السوء
وكذلك التقديس من سبح في الارض وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد
ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشي مبعده عن الاقذار وبحمدك في موضع الحال
اي متلبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا
به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب
لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدما الذي
هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الاثام وقيل نقدسك واللام
مزيدة وعلم ادم الاسما كلها اما بخلق علم ضروري بها فيه او القا في
روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب
عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وادم اسم اعجمي كازر وشالخ
واشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي

عنه

عنه عليه الصلاة والسلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق
منها ادم فلذلك يأتي بنوه اخيافا او من الادم او الادمة بمعنى الالفة تعسف
كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم
باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشي ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ
والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سوا كان مركبا او مفردا
مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه
غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد في الاية اما الاول او الثاني وهو
يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني
والمعنى انه تعالى خلقه من اجزا مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك
انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات
والهمه معرفة ذوات الاشيا وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين
الصناعات وكيفية الاتها ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات
المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسما المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة
المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى واشتعل الراس شيبا لان العرض
للسؤال عن اسما المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاشيا سيما ان اريد
به الالفاظ والمراد به ذوات الاشيا او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب
ما اشتمل عليه من العقلا وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها
فقال انبئوني باسما هؤلا تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان
التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب
الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال
والانبا اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما ان كنتم صادقين
في زعمكم انكم احقا بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه
صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق
كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما يلزم
مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاات قالوا سبحانك
لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم
كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل
الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل
عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران
ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما
للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر

وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح
التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه السلام **انك**
انت العليم الذي لا يخفى عليك خافية **الحكيم** المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه
حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز
مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا
الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان **قال يا آدم انبئهم**
باسمائهم اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما **فلما انبأهم**
باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون
وما كنتم تكتمون استحضار لقوله اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط
ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر
لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا تعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على
ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم
اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى
لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر ابليس منهم من المعصية
والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير **واعلم** ان
هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في
الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم
عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ
بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي
سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله
وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان
علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة الاعلى منهم وحملوا
عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم
والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى
يعلم الاشياء قبل حدوثها **واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** لما انباهم بالاسماء وعلمهم
ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه
وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق
ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة
باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن
قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني

البعير

البعير اذا طاطأ راسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به اما المعنى
الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشانه او سببا
لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها
ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم
من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا
لما راوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه
كاللام في قول حسان اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن
او في قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم
تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل
ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المأمورين بالسجود الملائكة كلهم
او طائفة منهم ما سبق **فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر** امتنع عما امر به
استكبارا من ان يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه
ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه
اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع **وكان من الكافرين** اي في علم الله
او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل منه والافضل
لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب
وحده والآية تدل على ان آدم افضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه
وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على
ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة
نوعا ولان ابن عباس روى ان من الملائكة نوعا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس
ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشا بين اظهر الملائكة وكان
مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مامورين مع الملائكة لكنه استغنى
بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد والتوسل
به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين فكانه
قال فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب
فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة
لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة
من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنه
فلذلك صح عليه التغير من حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله تعالى الا ابليس
كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور
والجن من نار لما روت عائشة رضي الله تعالى عنها انه عليه الصلاة والسلام قال خلقت
الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرنا فان المراد

بالنور المحض والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه
بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض
نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها
ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله
تعالى ومن فوائد الاية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر
والحث على الائتمار لامره وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي
علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم
وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابي الحسن الاشعري
رضي الله تعالى عنه **وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة** السكنى من السكون
لانها استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم
يخاطبهما اولا تنبيها على ان آدم المقصود بالحكم والمعطوف عليه وهو وحواء تبع له
والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد
قال انه بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا
لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا **وكلا
منها رغدا** واسعا رافها صفة مصدر محذوف **حيث شئتما** اي مكان من الجنة شئتما
وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها
الفائتة **ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** فيه مبالغات تعليق النهي
بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه
وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع القلب ويلهيه
عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما حول
ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا
انفسهم بارتكاب المعاصي او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان
الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة
او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من غير
قاطع كما لم تعين في الاية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين
وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء **فازلهما الشيطان عنها** اصدر زلتهما عن الشجرة
وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله وما فعلته عن امري او ازلهما
عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان
ازل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى
وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته
اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه
اليهما على طريق الوسوسة وكيف توصل الى ازلالهما بعدما قيل له اخرج منها
فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع

ان يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل
بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض
اتباعه فازلهما والعلم عند الله تعالى **فاخرجهما مما كانا فيه** اي من الكرامة والنعيم
وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحواء لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير
لانهما اصلا الانس فكانهما الانس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها
للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء **بعضكم لبعض عدو** حال استغني فيها عن الواو
بالضمير والمعنى متعادين **ولكم في الارض مستقر** موضع استقرار او استقرار
ومتاع تمتع **الى حين** يريد به وقت الموت او القيامة **فتلقى آدم من ربه كلمات**
استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرا ابن كثير بنصب آدم ورفع
الكلمات على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي
انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال يا رب الم
تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال
يا رب الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة
قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع
والبصر كالكلام والجراحة **فتاب عليه** رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة
وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب
والندم عليه والعزم على ان لا يعود عليه واكتفى بذكر آدم لان حواء كانت تبعا له
في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر القران والسنن **انه هو التواب**
الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة
الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها الباري
تعالى اريد بها الرجوع من العقوبة الى المغفرة **الرحيم** المبالغ في الرحمة وفي
الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو **قلنا اهبطوا منها جميعا**
كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية
يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى
الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين
الامرين وحدها كافية للحازم ان تعوقه عن مخالفة حكم الله فكيف بالمقترن بهما
ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل
الاول من الجنة الى سماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في
اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم
على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤوا جميعا **فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع**

٤٤

هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط
الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه
معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم مني هدي بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز
وانما جي بحرف الشك واتيان الهدي كاين لا انه محتمل في نفسه غير واجب عقلا
وكرر لفظ الهدي ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل
واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف
عليهم فضلا ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف
على المتوقع والحزن على الواقع نفي عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على اكد وجه
وابلغه وقرى هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا**
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون عطف على فمن تبع الي اخره قسيم له كانه
قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا باياته او كفروا بالايات جنانا وكذبوا
بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الي الجار والمجرور والاية في الاصل العلامة
الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه
وقدرته ولكل طائفة من كلمات القران المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها
من اي لانها تبين ايا من اي او من اوي اليه واصلها اية او اوية كتمرة فابدلت
عينها الفا على غير قياس او اية او اوية كرمكة فاعلت او اية كقائلة فحذفت
الهمزة تخفيفا والمراد باياتنا الايات المنزلة او ما يعمها والمعقولة وقد تمسكت
الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام من وجوه الاول
ان ادم عليه السلام كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني انه
جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين
والثالث انه اسند اليه العصيان والغي وقال وعصى ادم ربه فغوى والرابع
انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه
بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب
من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينيذ والمدعي مطالب بالبيان والثاني ان
النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك
الاولى له واما اسناد الغي والعصيان اليه فسياتي الجواب عنه في موضعه
ان شا الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له
على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملايكة قبل خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله
تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله
وان حط عن الامة لم يحط عن الانبيا لعظم قدرهم كما قال عليه الصلاة والسلام

اشد

اشد الناس بلا الانبيا ثم الاوليا ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الي ما جرى عليه على طريق
السببية المقدرة دون المواخذة كتناول السم على الجاهل بشانه لا يقال انه باطل لقوله
تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما الايتان لانه ليس فيهما ما يدل على انه تناوله حين ما
قال ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى
الي ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلام اقدم عليه بسبب
اجتهاد اخطا فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الي عين تلك الشجرة فتناول
من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الي النوع كما روي انه عليه السلام
اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى
عليه ما جرى تعظيما لشان الخطية ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة
مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدي مامون
العاقبة وان عذاب النار دايم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم
قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه وتعالى لما ذكر دلايل التوحيد
والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا وتاكيدا فانها من حيث
انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث
ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيا
منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان
واصوله وما هو اعظم من ذلك تدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابدا
خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهده في اتباع
الحق واقتفا الحجج ليكونوا اول من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه فقال
يا بني اسرائيل اي اولاد يعقوب والابن من البنا لانه مبني ابيه ولذلك ينسب المصنوع
الي صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه
بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرى اسرال بحذف اليا واسرل بحذفهما واسرايل
بقلب الهمزة يا **اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة
بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الي ما انعم الله على غيره حمله الغيرة
والحسد على الكفران والسخط وان نظر الي ما انعم به عليه حمله حب النعمة على الرضا
والشكر وقيل اراد بها ما انعم على ابايهم من الانجا من فرعون والغرق ومن العفو
عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم وقرى ادكروا والاصل
اذتكروا وافتعلوا ونعمتي باسكان اليا واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك
اليا المكسور ما قبلها **واوفوا بعهدي** بالايمان والطاعة **اوف بعهدكم** بحسن
الاثابة والعهد يضاف الي المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الي الفاعل
والثاني الي المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلايل وانزال

الحث ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء
منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدماء والمال وآخرها منا الاستغراق
في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء
الدائم وما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اوفوا بعهدي في اتباع محمد اوف
بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة
والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم
فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني
من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين
في سورة المائدة في قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم
جنات وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة **وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** فيما تأتون وتذرون
وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع
التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط
كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف مع تحرز والآية
متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن
ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله **وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ** افراد
للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد
المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسبما نعت
فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة
والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات
الاحكام بسبب فيها صلاح من خوطب بها تفاوت الاعصار في المصالح من حيث كل
واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل
المتقدم في ايام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لو كان موسى
حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه
ولذلك عرض بقوله **وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ** بل الواجب ان تكونوا اول من آمن
به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين
بزمانه واول كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتأويل
لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم
في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة
على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر
من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه
او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت

همزته واوا تخفيفا غير قياسي او أوول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت
وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها
حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من
حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم
فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها عليه وقيل كانوا
يأخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه **وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ** بالايمان واتباع الحق والاعراض
عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية
فصلت بالرهبة التي هي مبدأ السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم
بالتقوى الذي هو منتهاه **وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ** عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد
يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه
وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او ولا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه
في خلاله او تذكرونه في تأويله **وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ** جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا
بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من
لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه
ويعضده انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه
اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق **وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** عالمين بانكم
لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** يعني صلاة
المسلمين وزكاتهم فان غيرهما كلا صلاة ولا زكاة امرهم بفروع الاسلام بعدما امرهم
باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكاة من زكى الزرع اذا نما فان اخراجها
يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال
من الخبث والنفس من البخل **وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ** اي في جماعتهم فان صلاة الجماعة
تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلاة
بالركوع احترازا عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع
قال الاضبط السعدي: لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه
أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو
الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله وبر في مراعاة
الاقارب وبر في معاملة الاجانب **وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ** وتتركونها من البر كالمنسيات
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انها نزلت في احبار المدينة كانوا يأمرون سرا
من نصحوه باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون
وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ تبكيت كقوله وانتم تعلمون اي تتلون التوراة
وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل **أَفَلَا تَعْقِلُونَ** قبح صنيعكم

هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة

يصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل
الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة
التي بها النفس تدرك هذا الادراك والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يعظ نفسه
بسوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل
فان الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس
والاقبال عليها بالتكميل لتقوم فتقيم لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد
الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالاخر **واستعينوا بالصبر والصلاة** متصل
بما قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال
عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى
او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل
بالصلاة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية
من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة
واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة
الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى
تحصيل المآرب وجبر المصائب روي انه عليه الصلاة والسلام كان اذا حزبه امر
فزع الى الصلاة ويجوز ان يراد بها الدعاء **وانها** اي الاستعانة بهما او الصلاة
وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة
ما امروا بها ونهوا عنها **لكبيرة** لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين
ما تدعوهم اليه **الا على الخاشعين** اي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة
للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع
بالقلب **الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون** اي يتوقعون
لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله تعالى فيجازيهم ويؤيده
ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه
لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف
وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها
ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام
وجعلت قرة عيني في الصلاة **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** كرره
للتأكيد وتذكير التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد
تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها **واني فضلتكم** عطف على نعمتي **على العالمين** اي عالمي
زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا في عصر موسى عليه الصلاة والسلام وبعده
قبل ان يغيروا بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين

واستدل

واستدل به على تفضيل البشر على الملك **واتقوا يوما** اي ما فيه من الحساب والعذاب
لا تجزي نفس عن نفس شيئا لا تقضي عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على
المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده
منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف
تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري
مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله او مال اصابوا وكانه اريد بالاية
نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره
والاول ان يشفع له والثاني اما بادا ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو
ان يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع
شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية
لانها سويت بالمفدي **ولا هم ينصرون** يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت
عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى
العباد او الاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وقد تمسكت
المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة
بالكفار للايات والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والاية
نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباءهم تشفع لهم **واذ نجيناكم من آل فرعون**
تفصيل لما اجمله في قوله تعالى اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبريل
وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة
الى اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي
الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب
ابن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه السلام ريان وكان
بينهما اكثر من اربعمائة سنة **يسومونكم** يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما
واصل السوم الذهاب في طلب الشيء **سوء العذاب** افظعه فانه قبيح بالاضافة
الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير
في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما **يذبحون
ابناءكم ويستحيون نساءكم** بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون
بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون راى في المنام او قال له الكهنة
سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا **وفي ذلكم بلاء**
محنة ان اشير به الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصل البلاء الاختبار لكن
لما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار
بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما **من ربكم** بتسليطهم عليكم او ببعث

موسى وتوفيقه لتخليصكم او بهما **عظيم** صفة بلاء وفي الاية تنبيه على ان ما يصيب
العبد من خير او شر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره
ليكون من خير المختبرين **واذ فرقنا بكم البحر** فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض
حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله
تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني
عشر بعدد الاسباط **فانجيناكم واغرقنا ال فرعون** اراد به فرعون وقومه
واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روي ان الحسن
كان يقول اللهم صل على ال محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه
وانتم تنظرون ذلك اي غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر
عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر
بعضكم بعضا روي ان الله تعالى امر موسى ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم
فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله اليه ان اضرب
بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا
يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا
حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون وراه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده
فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به
على بني اسرائيل ومن الايات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى
عليه الصلاة والسلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة
محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية مثل القران والتحدي
به والفضائل المجتمعة فيه الشاهدة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم دقيقة
يدركها الاذكياء واخباره عليه السلام عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره
واذ وعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون
وعد الله موسى ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي
الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرا ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر
وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات الى الطور
ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا **من بعده** من بعد موسى اي مضيه **وانتم ظالمون**
باشراككم **ثم عفونا عنكم** حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس **من بعد**
ذلك اي الاتخاذ **لعلكم تشكرون** اي لكي تشكروا عفوه **واذ اتينا موسى**
الكتاب والفرقان يعني التوراة الجامع بين كونه كتابا وحجة تفرق بين الحق
والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى

او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق
بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد به يوم بدر **لعلكم تهتدون** لكي
تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الايات **واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم**
انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم
بريئا من التفاوت وميز بعضكم عن بعض بصور وهيئات مختلفة واصل ما ترى
في خلق الرحمن من تفاوت التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم
برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله ادم من الطين
او فتوبوا **فاقتلوا انفسكم** تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل
من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتل نفسه لم يحيها وقيل امروا ان يقتل
بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي ان الرجل كان
يرى بعضه وقريبه فلم يقدر على المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة
سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون
فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكان القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب
والثانية للتعقيب **ذلكم خير لكم عند بارئكم** من حيث انه طهرة من الشرك
ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية **فتاب عليكم** متعلق بمحذوف
ان جعلته من كلام موسى عليه الصلاة والسلام لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم به
فقد تاب عليكم وعطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله تعالى لهم على طريق
الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ
وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة
خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه
حقيق بان تسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب **انه هو التواب الرحيم**
الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم **واذ**
قلتم يا موسى لن نؤمن لك لاجل قولك او لن نقر لك **حتى نرى الله جهرة** عيانا
وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر
لانها نوع من الرؤية او حال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح
على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون
الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة الاف من قومه والمؤمن به ان الله الذي
اعطاك التوراة وكلمك او انك نبي **فاخذتكم الصاعقة** لفرط العناد والتعنت
وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام
في الجهات والاحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة
عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الاخرة وللافراد من الانبياء في بعض الاحوال

في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة **وانتم تنظرون** ما اصابكم بنفسه او اثره **ثم بعثناكم من بعد موتكم** بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء او نوم كقوله ثم بعثناهم **لعلكم تشكرون** نعمة البعث او ما كفرتموه لما رايتم باس الله بالصاعقة **وظللنا عليكم الغمام** سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه **وانزلنا عليكم المن والسلوى** اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع وتبعث الجنوب عليهم السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى **كلوا من طيبات ما رزقناكم** على ارادة القول اي وقلنا **وما ظلمونا** فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره **واذ قلنا ادخلوا هذه القرية** يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه **فكلوا منها حيث شئتم رغدا** واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو **وادخلوا الباب** اي باب القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام **سجدا** متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه **وقولوا حطة** اي مسألتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم بها **نغفر لكم خطاياكم** بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الالفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر **وسنزيد المحسنين** ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعل لا محالة **فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم** بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا **فانزلنا على الذين ظلموا** كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المامور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها **رجزا من السماء بما كانوا يفسقون** عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ

بالضم

بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة اربعة وعشرون الفا **واذ استسقى موسى لقومه** لما عطشوا في التيه **فقلنا اضرب بعصاك الحجر** اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين تسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه لموسى مع العصا او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه ليغتسل وبرأه الله تعالى به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يامره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى من آس الجنة وله شعبتان تتقدان في الظلمة **فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا** متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما في قوله فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه **قد علم كل اناس** كل سبط **مشربهم** عينهم التي يشربون منها **كلوا واشربوا** على تقدير القول **من رزق الله** يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل مما ينبت به **ولا تعثوا في الارض مفسدين** لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب وتصييره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك **واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد** يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته انه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انه لا تتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه **فادع لنا ربك** سله لنا بدعائك اياه **يخرج لنا** يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة **مما تنبت الارض** من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض **من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها** تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل

ما أنبتت الأرض من خضرها والمراد به أطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز
ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة فيه قال أي الله أو موسى
أتستبدلون الذي هو أدنى أقرب منزلة وأدون قدرا وأصل الدنو القرب
في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد الهمة
بعيد المحل وقرئ أدنأ من الدناءة بالذي هو خير يريد به المن والسلوى فإنه خير في
اللذة والنفع وعدم الحاجة إلى السعي اهبطوا مصرا انحدروا إليه من التيه
يقال هبط الوادي إذا نزل به وهبط منه إذا خرج منه وقرئ بالضم والبلد العظيم
وأصله الحد بين الشيئين وقيل أراد به العلم وإنما صرفه لسكون وسطه أو على
تأويل البلد ويؤيده أنه غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل أصله مصرائم فعرب
فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة أحيطت بهم إحاطة القبة
لمن ضربت عليه أو ألصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران
النعمة واليهود في غالب الأمر أذلاء مساكين إما على الحقيقة أو على التكلف مخافة
أن تضاعف جزيتهم وباءوا بغضب من الله رجعوا به ذلك إشارة إلى ما سبق
من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله
ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها
ما عد عليهم من فلق البحر وإظلال الغمام وإنزال المن والسلوى وانفجار العيون
من الحجر أو بالكتب المنزلة كالإنجيل والفرقان وآية الرجم والتي فيها نعت محمد
صلى الله عليه وسلم من التوراة وقتلهم الأنبياء فإنهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى
وغيرهم بغير الحق عندهم إذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وإنما
حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما أشار إليه بقوله ذلك بما
عصوا وكانوا يعتدون أي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء فيه إلى الكفر
بالآيات وقتل النبيين فإن صغار الذنوب أسباب تؤدي إلى ارتكاب كبارها
كما أن صغار الطاعات أسباب مؤدية إلى تحري كبارها وقيل كرر الإشارة
للدلالة على أن ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي
واعتدائهم حدود الله وقيل الإشارة إلى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وإنما
جوزت الإشارة بالمفرد إلى شيئين فصاعدا على تأويل ما ذكر أو تقدم للاختصار ونظيره
في الضمير قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق
والذي حسن ذلك أن تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها
ليس على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع إن الذين آمنوا بألسنتهم
يريد به المتدينين بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين منهم والمنافقين
لانخراطهم في سلك الكفرة والذين هادوا تهودوا يقال هاد وتهود إذا

دخل في اليهودية ويهود إما عربي من هاد إذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة
العجل وإما معرب يهوذا وكأنهم سموا باسم أكبر أولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام
والنصارى جمع نصران كندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في أحمري سموا بذلك
لأنهم نصروا المسيح أو لأنهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران أو ناصرة فسموا
باسمها أو من اسمها والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل أصل دينهم
دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو إن كان عربيا
فمن صبأ إذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء إما لأنه خفف الهمزة أو لأنه من صبا إذا مال لأنهم مالوا
من سائر الأديان إلى دينهم أو من الحق إلى الباطل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا
من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه
وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة إيمانا خالصا ودخل في الإسلام دخولا صادقا فلهم أجرهم
عند ربهم الذي وعد لهم على إيمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين
يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب
ومن مبتدأ خبره فلهم أجرهم والجملة خبر إن أو بدل من اسم إن وخبرها فلهم أجرهم والفاء
لتضمن المسند إليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر إن من حيث إنها لا تدخل
الشرطية ورد بقوله تعالى إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب
جهنم وإذ أخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل بالتوراة ورفعنا فوقكم الطور
حتى أعطيتم الميثاق روي أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها
من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل بقلع الطور فظلله فوقهم حتى
قبلوا خذوا على إرادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه
ولا تنسوه أو تفكروا فيه فإنه ذكر بالقلب أو اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي
أو رجاء منكم أن تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة أن يتعلق بالقول المحذوف
أي قلنا خذوا واذكروا إرادة أن تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك أعرضتم عن الوفاء
بالميثاق بعد أخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة أو بمحمد
صلى الله عليه وسلم يدعوكم إلى الحق ويهديكم إليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك
في المعاصي أو بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الأصل لامتناع الشيء لامتناع غيره
فإذا دخل على لا أفاد إثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند
سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين
فاعل فعل محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة للقسم
والسبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت يوم السبت وأصله القطع أمروا بأن
يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد
وذلك أنهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها أيلة وإذا

كان اذا يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا احضر هناك واخرج خرطومه فاذا مضى فاذا
مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم
السبت فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين
صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد فقال مجاهد ما مسخت صورهم
ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا
وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم
صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز
فجعلناها اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه
النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها ومن بعدهم او لما
بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم
عليها من ذنوبهم وما تاخر عنها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها
واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله
تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله
بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة
الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا
في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بدمه فامرهم الله
ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزؤا
مكان هزؤ او اهله او مهزوا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما
قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم
وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في مثل ذلك
جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة
الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها
وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسال به عن الجنس
غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا
حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة
ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت
سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال
نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اي بين ما ذكر من الفارض والبكر
ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه
الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد معينة ويلزمه
تاخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من

شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل
الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الراي
الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم
ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم
عن المعاصي عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى
تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مامورکم
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول
انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك يؤكد به
فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو
صفة صفراء لملابسته بها فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديد الصفرة
صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات
صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب
ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل يعلوه
صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين
اي تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد ان البقر
تشابه علينا اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير
فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر
ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتانيث
وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه مشبه بالتذكير ومتشابه
ومتشابهة ومتشبهة وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل
وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان
الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن
للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب
بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض
ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة
بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول
كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك
مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وتسقي من اسقى مسلمة
سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا
خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه

وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف
البقرة وحققتها لنا وقرئ آلآن جئت بالمد على الاستفهام والآن بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة
المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم
او لخوف فضيحتهم في ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم
كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعتكها لابني حتى يكبر وشب
وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها
بملء جلدها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال
المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات
مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا
يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا
حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل
واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم
في شأنها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح كل
قتلها عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت
لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل مخرج
لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه
عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تأويل
الشخص او القتيل ببعضها اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل
بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما
حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حياة القتيل او نزول الآية
ويريكم آياته دلائله على كمال قدرته لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا
ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملون على قضيته ولعله تعالى انما
لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع
اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب
ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن
عمر رضي الله تعالى عنه انه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وان المؤثر
في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف
اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة
نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبي ولم يلحقها ضعف
الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها

لا شية بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيي حياة طيبة ويعرب
عما تنكشف به الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والنزاع
ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر
وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد
ذلك يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات فانها مما يوجب
لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها في
القساوة مثل الحجارة او زائدة عليها او انها مثلها او مثل اشد منها قسوة
كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الحسن
بالجر عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة
على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد
بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من الحجارة
لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء
وان منها لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة
تتأثر وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتتفجر منه الانهار
ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله وقلوب هؤلاء لا تتأثر
ولا تنفعل عن امره والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد
وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية
ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع
ويعقوب وابو بكر بالياء ضما الى ما بعده أفتطمعون الخطاب لرسول الله
والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود
وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني
التوراة ثم يحرفونه كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم او تأويله
فيفسرونه بما يشتهونه وقيل هؤلاء السبعين المختارين سمعوا كلام
الله حين كلم موسى عليه السلام بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره
ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا
من بعد ما عقلوه اي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون
انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه
الحالة فما طمعكم بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة
في ذلك واذا لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا بانكم على الحق
ورسولكم هو المبشر به في التوراة واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اي
الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق أتحدثونهم بما فتح الله عليكم

بما بين الله لكم في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم او الذين نافقوا
لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم
فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار
ونهي ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا
محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به
انه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل
عند ربكم في القيامة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعها افلا تعقلون اما من تمام
كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب
من الله تعالى للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم
وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين
او كليهما او اياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم
واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون
الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التوراة ويتحققوا
ما فيها او التوراة الا اماني استثناء منقطع والاماني جمع امنية
وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك
يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب
اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان
الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة
وقيل الا ما يقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله
تمنى كتاب الله اول ليله ❊ تمنى داود الزبور على رسل ❊ وهو لا يناسب
وصفهم بانهم اميون وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون
لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير
قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة
فويل اي تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها
موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل
مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون
الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التاويلات الزائغة
بايديهم تاكيد كقولك كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند الله
ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل
قليل الى ما استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني

المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد به الرشى وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشيء
بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا اجده
الا اياما معدودة محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام
عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما
نعذب مكان كل الف سنة يوما قل اتخذتم عند الله عهدا خبرا او وعدا بما
تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه فلن يخلف الله
عهده جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده
وفيه دليل على ان الخلف في خبره محال ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة
لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما
او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع بلى اثبات لما نفوه من
مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان
على بطلان قولهم وتختص بجواب النفي من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين
الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض
لانها من الخطأ والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله
فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به خطيئته اي استولت عليه وشملت جملة
احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح في
شان الكافر لان غيره ان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه
فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من
اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب
ما هو اكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتاخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا
الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها
مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال الله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى
ان كذبوا بآيات الله وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على
القلب والادغام فيهما فاولئك اصحاب النار ملازموها في الآخرة كما انهم
ملازمون اسبابها في الدنيا هم فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا
والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها والذين
آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت
عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته ويخشى عذابه
وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل
لا تعبدون الا الله اخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد
وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه

ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على إرادة القول وقيل تقديره
أن لا تعبدوا فلما حذف أن رفع كقوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى
ويدل عليه قراءة أن لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق أو معمولا له بحذف الجار وقيل
إنه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قال حلّفناهم لا يعبدون وقرأ نافع وابن عامر
وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لأنهم غيب
وبالوالدين إحسانا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون أو أحسنوا وذي القربى
واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل
ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر أسكنه وقولوا للناس حسنا أي قولا حسنا
وسماه حسنا للمبالغة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب حَسَنا بفتحتين وقرئ حُسُنا
بضمتين وهو لغة أهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق
وإرشاد وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم
على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب أي أعرضتم عن الميثاق ورفضتموه إلا قليلا منكم
يريد به من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن أسلم منهم وأنتم معرضون قوم
عادتكم الإعراض عن الوفاء والطاعة وأصل الإعراض الذهاب عن المواجهة إلى جهة
العرض وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم
من دياركم على نحو ما سبق والمراد به أن لا يتعرض بعضكم بعضا بالقتل والإجلاء وإنما جعل
قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا أو دينا أو لأنه يوجبه قصاصا وقيل معناه
لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم وإخراجكم من دياركم أو لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم
عن الحياة الأبدية فإنه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي
داركم فإنه الجلاء الحقيقي ثم أقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وأنتم تشهدون
توكيد كقولك أقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وأنتم أيها الموجودون على إقرار
أسلافكم فيكون إسناد الإقرار إليهم مجازا ثم أنتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد
الميثاق والإقرار به والشهادة عليه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى أنتم بعد ذلك
هؤلاء الناقضون كقولك أنت ذاك الرجل الذي فعل كذا نزّل تغير الصفة منزلة تغير
الذات وعدّهم باعتبار ما أسند إليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله
تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم إما حال والعامل
فيها معنى الإشارة أو بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذي
والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتّلون على التكثير تظاهرون عليهم
بالإثم والعدوان حال من فاعل تخرجون أو مفعوله أو كليهما والتظاهر التعاون
من الظهر وقرأ عاصم والكسائي وحمزة بحذف إحدى التاءين وقرئ بإظهارها وتظّهرون

يعني تتظاهرون وإن يأتوكم أسارى تفادوهم روي أن قريظة كانوا حلفاء الأوس
والنضير حلفاء الخزرج فإذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار
وإجلاء أهلها وإذا أسر أحد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه إن يأتوكم
أسارى في أيدي الشياطين تتصدون لإنقاذهم بالإرشاد والوعظ مع تضييعكم
أنفسكم كقوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقرأ حمزة أسرى وهو
جمع أسير كجرحى وجريح وأسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو أيضا جمع
أسير وكأنه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة
وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم إخراجهم متعلق بقوله وتخرجون
فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشأن أو مبهم وتفسيره
إخراجهم أو راجع إلى ما دل عليه تخرجون من المصدر وإخراجهم تأكيد أو بيان
أفتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة
والإجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا كقتل قريظة
وسبيهم وإجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم وأصل الخزي ذل يستحيى منه
ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب لأن
عصيانهم أشد وما الله بغافل عما تعملون تأكيد للوعيد أي الله سبحانه وتعالى
بالمرصاد لا يغفل عن أفعالهم وقرأ عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب
بقوله منكم وابن كثير ونافع ويعقوب يعملون على الضمير أولئك الذين اشتروا الحياة
الدنيا بالآخرة آثروا الحياة الدنيا على الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية
في الدنيا والتعذيب في الآخرة ولا هم ينصرون بدفعها عنهم ولقد آتينا
موسى الكتاب التوراة وقفينا من بعده بالرسل أي أرسلنا على أثره الرسل
ثم أرسلنا رسولا نحو قولهم قفاه إذا اتبعه وقفاه به أتبعه من القفا نحو ذنبه
من الذنب وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات كإحياء الموتى
وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات أو الإنجيل وعيسى بالعبرانية أيشوع
ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة
قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل إذ لم يثبت فعيل وأيدناه
قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل
صدق وأراد به جبريل وقيل روح عيسى عليه السلام ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان
أو لكرامته على الله ولذلك أضافه إلى نفسه أو لأنه لم تضمه الأصلاب ولا الأرحام
الطوامث أو الإنجيل أو اسم الله الأعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالإسكان
في جميع القرآن أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم بما لا تحبه ولا توافقكم
من هوي إذا أحب وهوي بالفتح هويا بالضم سقط وسقطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به

توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا او تعجيبا من شانهم يحتمل ان يكون استينافا والفاء
للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم
كموسى وعيسى عليهما السلام والفا للسببية او التفصيل وفريقا تقتلون كزكريا
ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس
فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم
حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم وكذلك سحرتموه وسممتم له الشاة
وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه
مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى
انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها
غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن
من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل كما قال فاصمهم استعدادهم
او انها لم تاب قبول ما تقوله لخلل فيه بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال فاصمهم
واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء
عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل
وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله
يعني القران مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه
بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا اي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي اخر الزمان
المنعوت في التوراة او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب
زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسال ذلك عن نفسه فلما جاءهم
ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين
اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فتكون اللام للعهد ويجوز
ان تكون للجنس وتدخل فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به
انفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه
باعوا او اشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما
ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة
يكفروا دون اشتروا للفصل ان ينزل الله لان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله
من فضله يعني الوحي على من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة فباءوا بغضب
على غضب للكفر والحسد او هو علة يكفروا دون اشتروا والفضل على من هو
افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد وعيسى او بعد قولهم عزير ظاهره وللكافرين عذاب
مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم

آمنوا بما انزل الله يعني الكتب المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اي التوراة
ويكفرون بما وراءه حال من الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا
ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما
القران مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالتهم فانهم لما كفروا بما يوافق
التوراة فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض
عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغه وانما اسنده اليهم
لانه فعل اباءهم وانهم راضون به عازمون عليه وقرا نافع وحده انبياء الله بالهمز في
كل القران ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الايات التسع المذكورة في قوله تعالى
ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده بعد مجيء موسى
او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بايات
الله او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الاية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل
علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى لا لتكرير القصة وكذا
الاية التي بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة
واسمعوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التوراة بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا
سمعنا قولك وعصينا امرك واشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم
صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وذلك
لانهم كانوا مجسمة وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم
نارا بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه
فتمكن في قلوبهم ما سوله السامري قل بئسما يامركم به ايمانكم اي بالتوراة والمخصوص
بالذم محذوف نحو هذا الامر وما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الايات الزاما عليهم
ان كنتم مؤمنين تقرير للقدح في دعواهم الايمان بالتوراة وتقديره ان كنتم مؤمنين
بها ما امركم بهذه ولا رخص لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين فبئسما امركم به ايمانكم
بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يامر
به فاذا لستم مؤمنين قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة خاصة بكم
كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ونصبها على الحال من الدار من دون
الناس سائرهم او المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من
اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله عنه
لا ابالي سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بصفين الان الاقي الاحبة محمدا
صلى الله عليه وسلم وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من
ندم اي على التمني سيما اذا علم انها سالمة لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه ابدا بما قدمت
ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام والقران وتحريف التوراة

ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت كذا وان كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان منهم بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي **والله عليم بالظالمين** تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم **ولتجدنهم احرص الناس على حياة** من وجد بعقله الجاري مجرى علم ومفعولاه هم احرص وتنكير حياة لانه اريد فرد من افرادها وهي الحياة المتطاولة وقرئ باللام **ومن الذين اشركوا** محمول على المعنى فكانه قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحياة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانهم لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المشركين المنكرين دل على علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدأ محذوف صفته **يود احدهم** على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف **لو يعمر الف سنة** حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجري على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن **وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر** الضمير لاحد وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد **والله بصير بما يعملون** فيجازيهم **قل من كان عدوا لجبريل** نزل في عبد الله بن صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رضي الله عنه مدارس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله فقالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما فهو عدو الله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه الصلاة والسلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهور جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم برواية ابي بكر وجبريل كقنديل قراءة الباقين واربع في الشواذ جبرئل وجبرائيل وجبرائل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله

فانه نزله البارز الاول لجبريل والثاني للقران واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره **على قلبك** فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله كانه قال قل ما تكلمت به **باذن الله** بامره او تيسيره حال من فاعل نزله **مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين** احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله بالوحي عليك لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه كما قال **من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين** اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشانهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس اخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكانه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرا نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم ميكال كميعاد وقرئ ميكئل كميكعل وميكئيل **ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون** اي المتمردون في الكفر والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك **اوكلما عاهدوا عهدا** الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا **نبذه فريق منهم** نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض **بل اكثرهم لا يؤمنون** رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفا **ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم** كعيسى ومحمد **نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله** يعني التوراة لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل ما مع الرسول هو القرآن **وراء ظهورهم** مثل لاعراضهم عنه راسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه **كانهم لا يعلمون** انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيات على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذها ولكن نبذوا عهودها وتخطوا حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم

لجهلهم بها وهم لا يكفرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها حقيقة عالمين بالحق بغيا وعنادا وهم المتجاهلون **واتبعوا ما تتلوا الشياطين** عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرأها او تتبعها الشياطين من الجن والانس او منهما **على ملك سليمان** اي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمان حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه تسخر به الانس والجن والريح له **وما كفر سليمان** تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه **ولكن الشياطين كفروا** باستعماله **يعلمون الناس السحر** اغواء واضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه **وما انزل على الملكين** عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او به نوع اقوى منه او على ما تتلو وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامراة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك وصعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة **ببابل** ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل والمشهور انه بلد من سواد الكوفة **هاروت وماروت** عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت **وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر** فمعناه على الاول وما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا **فيتعلمون منهما** الضمير لما دل عليه من احد **ما يفرقون به بين المرء وزوجه** اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما **وما هم بضارين به من احد**

الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف **ويتعلمون ما يضرهم** لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا **ولا ينفعهم** اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى **ولقد علموا** اي اليهود **لمن اشتراه** اي استبدلوا ما تتلوا الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل **ما له في الآخرة من خلاق** نصيب **ولبئس ما شروا به انفسهم** يحتمل المعنيين على ما مر **لو كانوا يعلمون** يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل وترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم **ولو انهم آمنوا** بالرسول والكتاب **واتقوا** بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر **لمثوبة من عند الله خير** جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه **لو كانوا يعلمون** ان ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم **يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا** الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون لرسول الله راعنا اي راقبنا وتأن بنا او سبة بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب **واسمعوا** واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه **وللكافرين عذاب اليم** يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه **ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين** نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين **ان ينزل عليكم من خير من ربكم** مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك

والله

يختص برحمته من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيته وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وقرا ابن عامر ما ننسخ من انسخ اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننساها من النسا وقرئ ننسها اي ننس احدا اياها وتنسها اي انت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها باظهار المفعولين نات بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب وقرا ابو عمرو بقلب الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه والآية دلت على جواز النسخ اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وتاخير الانزال وذلك لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاشخاص والاعصار كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو الماتي به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم والاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما اتى بها الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير او على جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يامر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت في اهل الكتاب حين سالوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالآيات البينة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر

بعد

بعد الايمان ومعنى الآية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل ود كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم لو يردونكم او يردوكم فان لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا اي حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة في التوراة فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى ياتي الله بامره الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بني النضير وعن ابن عباس انه منسوخ بآية السيف وفيه نظر اذ الامر مطلق ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالقة والالتجاء الى الله بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير كصلاة او صدقة وقرئ تقدموا من اقدم تجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لف بين قولي الفريقين كما في قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعوذ وعائذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة وهو ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الآية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده واصله العضو وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعد له على عمله عند ربه ثابتا عند ربه لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اي امر يصح ويعتد به نزلت حين قدم وفد نجران على رسول الله واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد كل فريق ابطال

ذين الاخر من اهله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منها حق واجب القبول والعمل
فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق
به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد
الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلاة وان نزل في الروم
لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله ان يدخل
المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها
بالهدم او التعطيل اولئك اي المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما كان
ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا ان يجترئوا على تخريبها او ما كان الحق
ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم
في علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز
وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة فيه فجوز ابو حنيفة
ومنع مالك وفرق الشافعي رضي الله عنهم بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي
قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الاخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم
ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان دون
مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا
فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اي جهته
التي امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل
فيه ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم
واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر انها نزلت في صلاة المسافر على الراحلة وقيل
في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم وعلى هذا
لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطا لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه
للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قالت اليهود او منع
او مفهوم قوله ومن اظلم وقرا ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي
التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها
لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا
او طبعا بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه
خالق ما في السموات والارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون
منقادون لا يمتنعون على مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه
الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي
لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل
عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له مطيعون مقرون
بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة

اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات
الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله
أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني واصحابي هجوع . او بديع سمواته وارضه
من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل
بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق
منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو
اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون
بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا
على المدح واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله
وقضى ربك او فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة
الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة
بمعنى احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت
به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى
حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني
عن ذلك وقرا ابن عامر فيكون بالنصب واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب
الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب
الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه هو الرب الاكبر ثم ظنت الجهلة
منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع
مطلقا حسما لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلين
من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة او يوحي الينا
بانك رسوله او تاتينا اية حجة على صدقك والاول استكبار والثاني جحود
لان ما اتاهم ايات استهانة به وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم من
الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل
علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد
وقرئ بتشديد الشين قد بينا الايات لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين
او يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا
ذلك لخفاء في الايات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك
بالحق ملتبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسئل
عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرا نافع ويعقوب لا تسأل على
نهي للرسول عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر
ان يخبر عنها او السامع لا يقدر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار

ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في إقناط الرسول عن
إسلامهم فإنهم إذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا
مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب إن هدى الله هو الهدى أي هدى
الله الذي هو الإسلام هو الهدى بالحق لا ما تدعون إليه ولئن اتبعت أهواءهم
آراءهم الزائغة والملة ما شرعه الله لعباده على لسان أنبيائه من أمللت الكتاب
إذا أمليته والهوى رأي يتبع الشهوة بعد الذي جاءك من العلم أي من الوحي أو الدين
المعلوم صحته ما لك من الله من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين
آتيناهم الكتاب يريد مؤمني أهل الكتاب يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن
التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده أو خبر
على أن المراد بالموصول مؤمنو أهل الكتاب أولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر
به بالتحريف والكفر بما يصدقه فأولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالإيمان
يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما
لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون
لما صدر قصتهم بالأمر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن إضاعتها والخوف
عن الساعة وأهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وإيذانا
بأنه فذلكة القصة والمقصود من القصة وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات كلفه
بأوامر ونواه والابتلاء في الأصل التكليف بالأمر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم
الاختبار بالنسبة إلى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لإبراهيم وحسن لتقدمه
لفظا وإن تأخر رتبة لأن الشرط أحد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعاني
فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله التائبون العابدون
وقوله إن المسلمين إلى آخر الآيتين وقوله قد أفلح المؤمنون إلى قوله أولئك هم الوارثون
كما فسرت بها في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سنته وبمناسك
الحج والغزو وذبح الولد والنار والهجرة على أنه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما
تضمنه الآيات التي بعدها وقرئ إبراهيم ربه على أنه دعا ربه بكلمات مثل أرني
كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر إبراهام فأتمهن
فأداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله وإبراهيم الذي وفى وفي القراءة الأخيرة الضمير
لربه أي أعطاه جميع ما دعاه قال إني جاعلك للناس إماما استئناف إن أضمرت
ناصب إذ كأنه قيل فماذا قال له ربه حين أتمهن فأجيب بذلك أو بيان لقوله
ابتلى فتكون الكلمات ما ذكره من الإمامة وتطهير البيت ورفع قواعده والإسلام
وإن نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من الجعل الذي له مفعولان
والإمام اسم من يؤتم به وإمامته عامة مؤبدة إذ لم يبعث بعده نبي إلا كان من ذريته

مأمورا باتباعه قال ومن ذريتي عطف على الكاف أي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب
سأكرمك والذرية نسل الرجل فعلية أو فعولة قلبت راؤها الثانية ياء كما في تقضيت
من الذر بمعنى التفريق أو فعولة أو فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ
ذريتي بالكسر وهي لغة قال لا ينال عهدي الظالمين إجابة إلى ملتمسه وتنبيه على أنه قد
يكون من ذريته ظلمة وأنهم لا ينالون الإمامة لأنها أمانة من الله وعهد والظالم لا يصلح
لها وإنما ينالها البررة والأتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الأنبياء من الكبائر قبل البعثة
وأن الفاسق لا يصلح للإمامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد إذ كل ما نالك فقد نلته وإذ
جعلنا البيت أي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة مرجعا يثوب إليه أعيان
الزوار أو أمثالهم أو موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لأنه مثابة كل
واحد وأمنا موضع أمن لا يتعرض لأهله لقوله تعالى حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أو يأمن
حاجه من عذاب الآخرة من حيث إن الحج يجب ما قبله أو لا يؤاخذ الجاني الملتجي إليه حتى يخرج
مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى على إرادة القول أو عطف
على المقدر عاملا لإذ أو اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا إليه واتخذوا على أن الخطاب
لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وهو أمر استحباب ومقام إبراهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه والموضع
الذي كان فيه الحجر حين قام عليه ودعا الناس إلى الحج أو رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم
روي أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد عمر فقال هذا مقام إبراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى
فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الأمر بركعتي الطواف
لما روى جابر أنه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه
ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل مقام إبراهيم
الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى أن يدعى فيها ويتقرب إلى الله تعالى وقرأ نافع
وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا أي واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني
الكعبة قبلة يصلون إليها وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أمرناهما أن طهرا بيتي
بأن طهرا ويجوز أن تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الأوثان
والأنجاس وما لا يليق به أو أخلصاه للطائفين حوله والعاكفين المقيمين عنده
أو المعتكفين فيه والركع السجود أي المصلين جمع راكع وساجد وإذ قال إبراهيم رب
اجعل هذا يريد البلد أو المكان بلدا آمنا ذا أمن كقوله في عيشة راضية أو آمنا
أهله كقولك ليل نائم وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر
أبدل من آمن من أهله بدل البعض للتخصيص قال ومن كفر عطف على من آمن والمعنى وارزق
من كفر قاس إبراهيم الرزق على الإمامة والتقدم في الدين أو مبتدأ تضمن معنى الشرط
فأمتعه قليلا خبره والكفر وإن لم يكن سبب التمتيع لكنه سبب تقليله بأن يجعله
مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به إلى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم أضطره
إلى عذاب النار أي ألزه إليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا

نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعا ابراهيم وفي قال ضميره وقرا
ابن عامر فأمتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من
يكسر حروف المضارعة واطّره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها
ما يجاورها دون العكس **وبئس المصير** المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب **وإذ يرفع**
إبراهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس
صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعّدك
الله ورفعها البنا عليها فانه كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه ينقلها عن هيئة الانخفاض
الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها ساقات البنا فان كل ساف قاعدة ما يوضع
فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعا الناس الى
حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشأنها **وإسماعيل** كان يناوله الحجارة ولكنه
لما كان له مدخل في البنا عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب **ربنا**
تقبل منا اي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما **إنك أنت السميع** لدعائنا
العليم بنياتنا **ربنا واجعلنا مسلمين لك** مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين
من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان والثبات
عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع
ومن ذريتنا أمة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعا
لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما علما ان
في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال
الكلي على الله فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد
بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون من للتبيين كقوله تعالى وعد الله
الذين آمنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله
تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن **وأرنا** من راى بمعنى ابصر او عرف ولذلك
لم يتجاوز مفعولين **مناسكنا** متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل
غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرا ابن كثير والسوسي عن ابي عمرو
ويعقوب ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة
الساقطة دليل عليها وقرا الدوري عن ابي عمرو بالاختلاس **وتب علينا** استتابة
لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما
إنك أنت التواب الرحيم لمن تاب **ربنا وابعث فيهم** في الامة المسلمة **رسولا**
منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال
عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي **يتلو عليهم آياتك** يقرأ
عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة **ويعلمهم الكتاب** القرآن
والحكمة ما تكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام **إنك أنت العزيز** الذي لا يقهر ولا يغلب

على ما يريد

على ما يريد **الحكيم** المحكم له **ومن يرغب عن ملة إبراهيم** استبعاد وانكار لان يكون احد
يرغب عن الملة الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملته **إلا من سفه نفسه** الا من
استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وسفه بالضم
لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه
نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه وقول جرير
ونأخذ بعده بذناب عيش ... اجب الظهر ليس له سنام
او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير
في يرغب لانه في معنى النفي **ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين**
حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح
يوم القيامة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل
والاعراض عن النظر **إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين** ظرف لاصطفيناه
او تعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قال اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى
الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص
السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام
روي انها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم
سلمة وابى مهاجر **ووصى بها إبراهيم بنيه** التوصية هو التقدم الى الغير بفعل
فيه صلاح وقربة واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان
الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تاويل الكلمة
او الجملة وقرا نافع وابن عامر واوصى والاول ابلغ **ويعقوب** عطف على ابراهيم اي ووصى
بها يعقوب بنيه ايضا وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابراهيم **يا بني** على اضمار القول عند البصريين
متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا
رجلا عريانا بالكسر وبنو ابراهيم كانوا اربعة اسماعيل واسحق ومدين ومدان
وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون
ولاوي ويهوذا ويشسوخور وزبولون ودان ونفتوني وكودا واوشير
وبنيامين ويوسف **إن الله اصطفى لكم الدين** دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان
لقوله **فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام
كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام
موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد
وروي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه
باليهودية يوم مات فنزلت **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب** ام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون

اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب
للمؤمنين والمعنى ما شهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه
بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد
والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا
عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد ففقيه ام طبيب
قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته
ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله عليه السلام
عم الرجل صنو ابيه كما قال في العباس رضي الله عنه هذا بقية آبائي وقرئ اله ابيك على
انه جمع بالواو والنون كما قال وبكين وفديننا بالابينا او مفرد
وابراهيم وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية
كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر
العطف على المجرور والتأكيد او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل
نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك امة قد خلت يعني ابراهيم
ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمي بها الجماعة لان الفرق تؤمها
لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب
انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه الصلاة والسلام
لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون
بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير الغائب
لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا
هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة ابراهيم
اي بل نكون ملة ابراهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابراهيم وقرئت بالرفع اي
ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى
الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل
اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه
وهم مشركون قولوا آمنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به
وما انزل الينا يعني القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا او سبب للايمان
بغيره وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف
وهي وان نزلت الى ابراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها
فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد
به حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق وما اوتي موسى
وعيسى التوراة والانجيل افردهما بالذكر بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى
مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتي النبيون المذكورون وغير المذكورين من ربهم

منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد
لوقوعه في سياق النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له مسلمون مذعنون
مخلصون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله
تعالى فأتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء
للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان
وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق او مزيدة للتأكيد كقوله تعالى جزاء سيئة بمثلها والمعنى
فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به او بالذي آمنتم به وان تولوا فانما هم
في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق وهو
المناوأة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر فسيكفيكهم الله
تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من ناواهم وهو السميع العليم
اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد
للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله
اي صبغنا الله صبغة وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان
الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان
تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم
تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء
اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم ونصبها
على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابراهيم
ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم
اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول
قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة
ابراهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا
اي تجادلوننا في الله في شأنه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا
الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون
قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا
كأنه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله تعالى على من
يشاء فالكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص
فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون اي موحدون
نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص

بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة او ادعاء
اليهودية او النصرانية على الانبيا قل أأنتم أعلم أم الله وقد نفى الامرين عن ابراهيم
بقوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية
والانجيل الا من بعده وهولاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقا ومن اظلم ممن
كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية
والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة
وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه السلام بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء
كما في قوله تعالى براءة من الله ورسوله وما الله بغافل عما تعملون وعيد وقرئ بالياء تلك امة
قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة
في التحذير والزجر عما استحكم في الطبائع من الافتخار بالاباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب
فيما سبق لهم وفي الاية تحذير عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني
اسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم واستمهنوها
بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة
تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي
كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحال التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت
عرفا للمكان المتوجه اليه للصلاة قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان
دون مكان بخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص
المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة
من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم
الاية المتقدمة اي كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم
افضل القبل جعلناكم امة وسطا اي خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو
في الاصل اسم للمكان الذي تستوي اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال
المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة
بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا
عليه باطلا لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا علة للجعل اي لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب
انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا
ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون
بذلك على معاصريكم وعلى الذين من قبلكم وبعدكم روي ان الامم يوم القيامة يجحدون
تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد

صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون عرفنا ذلك باخبار
الله الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته
فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن
على امته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا
عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه
صلى الله عليه وسلم كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلاة الى الصخرة تألفا لليهود او الصخرة
لقول ابن عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول
الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا
قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن
الناس ونعلم من يتبعك في الصلاة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة آبائه او لنعلم
الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول ما رددناك
اليها التي كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه
فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه
باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم
رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او لتميز الثابت من المتزلزل
لقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب
عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق
لما في من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا
ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة
وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا
القبلة التي كنت عليها من الجعلة او الردة او التحويلة او للقبلة وقرئ لكبيرة
بالرفع فتكون كان زائدة الا على الذين هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على
الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وقيل
ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلاتكم اليها لما روي انه عليه السلام لما وجه
الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت
ان الله بالناس لرءوف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم
الرءوف وهو ابلغ محافظة على الفواصل قد نرى ربما نرى تقلب وجهك في
السماء اي تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقع في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم
القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه
حيث انتظر ولم يسأل فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها من قولك

ولنيته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها **ترضاها** تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله وحكمته **فول وجهك** اي اصرف وجهك **شطر المسجد الحرام** نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشي من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد الحرام دون الكعبة لانه عليه السلام كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روي انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنسا صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين **وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره** خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة **وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم** جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه **وما الله بغافل عما يعملون** وعد ووعيد للفريقين وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتا **ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية** برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم **ما تبعوا قبلتك** جواب القسم المضمر سادّ مسدّ جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا **وما انت بتابع قبلتهم** قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق **وما بعضهم بتابع قبلة بعض** فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه **ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم** على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي **انك اذا لمن الظالمين** واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه احدها ... تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبيا **الذين اتيناهم الكتاب** يعني علماءهم **يعرفونه** الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القرآن او التحويل **كما يعرفون ابناءهم** اي يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم

عن عمر

عن عمر انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي واما ولدي فلعل والدته خانت **وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** تخصيص لمن عاند واستثنا لمن امن **الحق من ربك** كلام مستانف والحق اما مبتدا خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدا محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون **فلا تكونن من الممترين** الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين وليس المراد به نهي الرسول عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ **ولكل وجهة** ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة **هو موليها** احد المفعولين محذوف اي موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه وقرئ لكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد جبرا لضعف العامل وقرا ابن عامر هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها **فاستبقوا الخيرات** من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة **اينما تكونوا يات بكم الله جميعا** في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزا ومتفرقها يحشركم الله الى المحشر للجزا او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يات بكم الله جميعا ويجعل صلاتكم كانها الى جهة واحدة **ان الله على كل شي قدير** فيقدر على الاماتة والاحيا والجمع **ومن حيث خرجت** ومن اي مكان خرجت **فول وجهك شطر المسجد الحرام** اذا صليت **وانه** وان هذا الامر **للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره** كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلاثا علل تعظيم الرسول بابتغا مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع للمخالفين على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكره مرة بعد اخرى لئلا **يكون للناس عليكم حجة** استثنا من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التوراة قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين انه يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته **الا الذين ظلموا منهم** استثنا من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين

سفهائهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة
آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمي هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقونه مساقها
وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كقوله ولا عيب فيهم
غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا
الذين ظلموا على انه استئناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم
واخشوني فلا تخالفوا ما امرتكم به ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف
اي وامرتكم لاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم او عطف على علة مقدرة مثل واخشوني
لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم من امر القبلة او في الآخرة كما اتممتها بارسال الرسول فيكم او بما
بعد اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون
به ازكيا قدمه باعتبار القصد واخره في دعوة ابراهيم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وتكرير
الفعل ليدل على انه جنس آخر فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم
ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر عن المعاصي
وحظوظ النفس والصلاة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين وقوام الدين ومناجاة رب العالمين
ان الله مع الصابرين بالنصرة واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات
اي هم اموات بل احياء بل هم احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حياتهم
ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي
...
من الله ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم
هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك
وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة
الى ما يصيب به معانديهم في الآخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه انفسهم تهوينا
عليهم ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي الخوف خوف الله
والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكاة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات
موت الاولاد وعنه صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله للملائكة اقبضتم ولد عبدي
فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله ماذا قال عبدي فيقولون
حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين
الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول عليه السلام
ولمن تتأتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه السلام كل شيء
يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل وبالقلب بان يتصور ما
خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده فيهون

على

على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه قوله اولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة الصلاة في الاصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها
وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع
عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك هم
المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله ان الصفا والمروة
هما علما جبلين بمكة من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج
البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد
البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه ان يطوف بهما كان
اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء
الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع
على انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس
وابن عباس لقوله فلا جناح عليه فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح
يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم
وعن مالك والشافعي رضي الله عنهما انه ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله
كتب عليكم السعي ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على
ما فرض الله عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا
نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية
الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع
فادغم مثل يطوف فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا يخفى عليه ان الذين
يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات كالآيات الشاهدة على امر محمد عليه السلام
والهدى وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه للناس لخصناه
في الكتاب في التوراة اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتأتى
منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان
يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله في كتابهم لتتم
توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم
اضرابهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ في
قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب
من الكاتمين حتى مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم
لعنة الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة
والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا
لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او النار واضمارها قبل الذكر تفخيما

تشابها وتهويلا او اكتفا بدلالة اللعنة عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد
خطاب عام اي المستحق منكم للعبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد ويسمى الها لا اله
الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة
الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة
او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران اخران لقوله الهكم او لمبتدا محذوف
وقيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت باية نعرف بها صدقك فنزلت
ان في خلق السموات والارض وانما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة
بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار تعاقبهما كقوله جعل
الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي بنفعهم او بالذي ينفعهم
والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع
على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشاهما البحر غالبا وتانيث الفلك
لانها بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند
المحققين وما انزل الله من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء
يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيى به الارض بعد موتها بالنبات وبث فيها
من كل دابة عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات في
الارض او على احيى فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا والبث النشر والتفريق
وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة
ولينا ولواقح وعقيمة وقرئ على الافراد والسحاب المسخر بين السماء والارض لا ينزل
ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى ياتي امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية
الله واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا لايات لقوم يعقلون يتفكرون
فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الاية فمج بها اي
لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الايات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول
شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة
وانحا مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا تتحرك السموات او بعضها كالارض وان تتحرك
بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج
وحضيض اصلا او على هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد
قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيته متعاليا عن معارضة
غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل
ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل
بلا مرجح وعجز الاخر المنافي لالهيته وان اختلف لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه

بقوله

بقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وفي الاية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث
على البحث والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل
من الرؤسا الذين كانوا يطيعونهم لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل
المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه
والميل الى طاعته اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من
الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله
ارادة طاعته وصونه عن المعاصي والذين امنوا اشد حبا لله لانه لا تنقطع محبتهم لله
بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا
يعدلون عن الهتهم الى الله عند الشدايد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره
ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب
اذ عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله ونادى اصحاب
الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف اي لو يعلمون
ان القدرة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب
والمفعولان محذوفان والتقدير لو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة
لله جميعا لا ينفع ولا يضر غيره وقرا ابن عامر ونافع ويعقوب لو ترى على انه خطاب له
صلى الله عليه وسلم اي لو ترى ذلك لرايت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البنا للمفعول
ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله شديد العذاب على الاستيناف او اضمار القول
اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبوعون
من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤسا ورأوا العذاب اي رائين له
والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت
بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرأ او رأوا والحال والاول اظهر والاسباب الوصل
التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل
السبب الحبل يرتقى به الشجر وقرئ تقطعت على البنا للمفعول وقال الذين اتبعوا
لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة
الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم
ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين
من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط
عن الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا
على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما
في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة
المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تقتدوا به في اتباع

الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والبزي وابو بكر حيث
بتسكين وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة
الطاء كأنها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو إنه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة عند ذوي البصائر وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا
في قوله اولياؤهم الطاغوت إنما يأمركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز
عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا
لشأنهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين
فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما
تجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد
وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات
وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى
مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية وإذا قيل
لهم اتبعوا ما أنزل الله الضمير للناس وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالتهم كأنه
التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون قالوا بل نتبع ما
ألفينا عليه آباءنا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن
وسائر ما انزل الله من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا لانهم كانوا
خيرا منا واعلم وعلى هذا يعم ما انزل الله التوراة لانها ايضا تدعو الى الاسلام أولو كان
آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجب
وجواب لو محذوف اي لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون
الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع
الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة
ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع
إلا دعاء ونداء على حذف مضاف اي ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق
او مثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون
اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم الذي ينعق
عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو
تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني
عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله إلا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع إلا ان يجعل ذلك
من باب التمثيل المركب صم بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون اي بالفعل للاخلال
بالنظر يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس

الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات
ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا لله على ما رزقكم واحل لكم إن كنتم إياه تعبدون
فان عبادته لا تتم الا بالشكر ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم
فالمعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبي
صلى الله عليه وسلم يقول الله اني والانس والجن في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري وارزق
ويشكر غيري إنما حرم عليكم الميتة اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت من غير
ذكاة والحديث الحق بها ما ابين من حي والسمك والجراد اخرجهما العرف عنها او استثناه
الشرع والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه
الدليل كالتصرف في المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم
ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له وما أهل به لغير الله اي رفع به الصوت
عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللته لكن لما
جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رؤي سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع
الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستئثار على مضطر آخر ولا عاد
سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا
لا يباح للعاصي وهو مذهب الشافعي وقول احمد فلا إثم عليه في تناوله إن الله
غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام
لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته
على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها إن الذين
يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا أولئك
ما يأكلون في بطونهم إلا النار اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة
عليه فكأنه اكل النار كقوله * اكلت دما ان لم ارعك بضرة * بعيدة مهوى
القرط طيبة النشر * يعني الدية او في المآل اي لا يأكلون يوم القيامة الا النار
ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله * كلوا
في بعض بطنكم تعفوا * ولا يكلمهم الله يوم القيامة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض
بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم لا يثني عليهم ولهم عذاب
أليم مؤلم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة
في الآخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما أصبرهم على النار تعجب
من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء
وتخصيصها كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر
او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك
العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان وإن الذين

بعض

واختلفوا في الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم
ببعض او للعهد والاشارة اما الى التوراة واختلفوا بمعنى تخلفوا عن
المنهج المستقيم في تاويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اي حرفوا ما فيها واما
الى القرآن واختلافهم فيه قولهم هو سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين
لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا القول في امر
القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم وقال
ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بيناه واتبعه المومنون وقيل
عام لهم وللمسلمين اي ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يحسن
ان تذهلوا بشانه عن غيره امرها وقرا حمزة وحفص البر بالنصب ولكن البر
من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين اي ولكن البر الذي
ينبغي ان يهتم به بر من آمن بالله او ولكن ذا البر من آمن ويويده قراءة البار والاول
اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وقرا نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف
ورفع البر وآتى المال على حبه اي على حب المال كقوله عليه السلام لما سئل اي الصدقة
افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل الغنى وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر
والجار والمجرور في موضع الحال ذوي القربى واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد
لعدم الالباس وقدم ذوي القربى لان ايتاءهم افضل كما قال عليه الصلاة والسلام
صدقتك على المسكين صدقة وعلى رحمك اثنتان صدقة وصلة والمساكين جمع مسكين
وهو الذي اسكنته الخلة واصله دائم السكون كالمسكير دائم السكر وابن السبيل
المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان
السبيل يرعف به والسائلين الذين الجاهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام
للسائل حق وان جاء على فرسه وفي الرقاب وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك
الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلاة المفروضة وآتى الزكاة
يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكاة المفروضة ولكن الغرض
من الاول بيان مصارفها وبالثاني اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول
نوافل الصدقات او حقوقا كانت في المال سوى الزكاة وفي الحديث نسخت الزكاة
كل صدقة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من آمن والصابرين
في البأساء والضراء نصب على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر
الاعمال وعن الازهري البأساء في الاموال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض وحين
البأس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا في اتباع الحق وطلب البر واولئك
هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية

بأسرها

بأسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة اشياء صحة
الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من آمن الى
والنبيين والى الثاني بقوله وآتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام
الصلاة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده
وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه
السلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص
في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من احياء
العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر
بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وامرهم ان يتباوؤا
ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم انما يعمل
به حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع
مالك والشافعي قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روي عن علي رضي الله عنه
ان رجلا قتل عبده فجلده صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه انه قال
من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا
لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن سلم
دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التوراة فلا ينسخ
ما في القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب
على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره
ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذا كل فعل جاء
في القرآن فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار
بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول
به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجاني
والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا عدي به الى الذنب
عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الآية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني
ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه
فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد
به وصية العافي بان يطالب بالدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها
بالاحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب
الامر باداءها على مطلق العفو وللشافعي في المسئلة قولان ذلك اي الحكم المذكور في العفو والدية
تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده
وعلى النصارى العفو مطلقا وخيرت هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم

على حسب راتبهم فمن اعتدى بعد ذلك بان قتل بعد العفو واخذ الدية فله عذاب اليم
في الاخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية
ولكم في القصاص حياة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف
القصاص ونكر الحياة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحياة عظيما وذلك لان العلم به
يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حياة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة
بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحياتهم
وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني فيه تخصيص وقيل المراد بها الحياة الاخروية فان القاتل
اذا اقتص منه لم يؤاخذ في الاخرة ولكم في القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحياة وان يكون احدهما
خبرا والاخر صلة له او حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من
حكم القتل حياة او في القران حياة للقلوب يا اولي الالباب ذوي العقول الكاملة
ناداهم للتامل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم
تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا
عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته
ان ترك خيرا اي مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة
درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة رضي الله عنها
ان رجلا اراد ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلثة الاف فقالت كم عيالك فقال اربعة
قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا لشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين
مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تاويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الراجع
في قوله فمن بدله وجواب ان محذوف اي فليوص والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية
لتقدمه عليها وقيل مبتدا خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل
الحسنات الله يشكرها والمفعول الذي يقوم مقام فاعله بكتب مضمر اي الايصاء
يفسره ما بعده ورد بانه لو صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام
فنسخ باية المواريث وبقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية
لوارث وفيه نظر لان اية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على
تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر
ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله
يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى الله عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل
الغني ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله غيره
من الاوصياء والشهود بعدما سمعه وصل اليه وتحقق عنده فانما اثمه على الذين
يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدله لانه خان وخالف الشرع
فمن خاف من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء وقرا حمزة والكسائي ويعقوب

وابوبكر

وابو بكر موص جنفا ميلا بالخطا في الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم
باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف
الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل
من جنس ما يؤثم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني
الانبياء والامم من لدن ادم وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس
الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه
النفس لعلكم تتقون المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبداها كما
قال عليه الصلاة والسلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال باداية لاصالته
وقدمه اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال
يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا
لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ
به وهو عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر او بكما كتب على الظرفية او على انه مفعول
ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام لما روي
ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا
عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم
مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه ايماء
بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدة ايام
المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه
للعلم بها وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب
واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة وعلى الذين يطيقونه وعلى
المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع
من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك في اول الامر لما
امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرا نافع وابن عامر برواية
ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرا ابن عامر برواية هشام
مساكين بغير اضافة الفدية الى الطعام والباقون بغير اضافة وتوحيد مسكين وقرئ
يطوقونه اي يكلفونه او يتقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه
ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يتطيقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا
وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون
ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا
فزاد في الفدية فهو فالتطوع او الخير خير له وان تصوموا ايها المطيقون
او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر

٥٤

الصوم في اللغة

اي يكلفونه او يتقلدونه
ويتكلفونه بالادغام
ويتطوقونه على الاصل
يتكلفونه

الشيوخ

غير منسوخ

خير لكم من الفدية او التطوع بالخير او منهما ومن التاخير للقضا إن كنتم تعلمون ما في
الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه
ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان مبتدا خبره
ما بعده او خبر محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف
اي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه
مفعول وان تصوموا وفيه ضعف او بدل من ايام معدودات والشهر من الشهرة ورمضان
مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية
والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما للاغراب للعلمية والتانيث
وقوله عليه الصلاة والسلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس
وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه
او لوقوعه ايام رمض الحر حيثما نقلوا اسما الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل
فيه القرآن اي ابتدي فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى
سما الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شانه القران وهو قوله كتب عليكم الصيام
وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان ونزلت التوراة
لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقران لاربع وعشرين والموصول بصلته
خبر المبتدا او صفته والخبر فمن شهد والفا لوصف المبتدا بما تضمن معنى الشرط وفيه
اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه هدى للناس وبينات
من الهدى والفرقان حالان من القران اي انزل وهو هداية للناس باعجازه وايات
واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد
منكم الشهر فليصمه فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد
لكن وضع المظهر موضع المضمر للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار
ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه
مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلاتها فيكون ومن كان مريضا او على سفر
فعدة من ايام اخر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد ولعل تكريره لذلك او لئلا
يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اي يريد
ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر للمسافر والمريض ولتكملوا العدة
ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه
ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص له بالقضا
ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى اخرها على سبيل اللف فان قوله
ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا الله علة الامر بالقضا وبيان كيفيته
ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعله او معطوفة على علة مقدرة

مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا
كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي بعلى وقيل
تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما تحتمل المصدر والخبر الذي هداكم اليه وعن عاصم
برواية ابي بكر ولتكملوا بالتشديد وإذا سألك عبادي عني فإني قريب اي فقل لهم اني قريب
وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه
منهم روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه
فنزلت أجيب دعوة الداع إذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا
لي اذا دعوتهم للطاعة والايمان كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات
والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح
الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام
بوظايف التكبير والشكر عقبه بهذه الاية الدالة على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب
لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال أحل لكم
ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب
والجماع الى ان يصلوا العشا او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشا فندم
واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشا
فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صايما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد
يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضا
وايثاره هاهنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث هن لباس لكم
وأنتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة
اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل
كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت
عليه لباسا او لان كلا منهما يستر صاحبه ويمنعه عن الفجور علم الله أنكم كنتم
تختانون أنفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان
ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم
ومحا عنكم اثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة
بالقران والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة عبر به عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم
واطلبوا ما قدره لكم واثبته في اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه
الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل
عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين
لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في
الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض

بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه ولذلك خرجا عن الاستعارة
الى التمثيل ويجوز ان تكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي انها نزلت ولم
ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود ولا يزالون ياكلون ويشربون
حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت
الحاجة جائز واكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم
وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا
ثم اتموا الصيام الى الليل بيان آخر وقته واخراج الليل عنه فينفي صوم الوصال
ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث
في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطي وعن قتادة كان الرجل يعتكف
فيخرج الى امراته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف
يكون في المسجد لا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطي يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات
يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهى ان يقرب الحد
الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطى عنه كما قال عليه الصلاة والسلام
ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله
فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين
يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي ولا تاكلوا اموالكم
بينكم بالباطل اي لا ياكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله وبين نصب
على الظرف او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي او نصب باضمار
ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة
من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين
بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روي
ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرا عليه صلى الله عليه وسلم
ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى
عبدان فنزلت وهو دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه الصلاة
والسلام انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي
له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من نار يسألونك
عن الاهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا
كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج
انهم سالوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله بان يجيب بان الحكمة
الظاهرة في ذلك ان يكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة

تعرف

يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات
من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من
مبداها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر كالصلاة
وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها قرا ابو عمرو وورش وحفص بضم الباء والباقون
بالكسر ولكن البر من اتقى وقرا نافع وابن عامر بتخفيف لكن ورفع البر كانت الانصار
اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة
وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر من اتقى المحارم والشهوات
ووجه اتصاله بما قبله انهم سالوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا
من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سالوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة
وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سالوه تنبيها على ان اللائق
بهم ان يسالوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم في
مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله وأتوا البيوت من ابوابها اذ
ليس في العدول بر فباشروا الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه والاعتراض
على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا
لاعلاء كلمته واعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال
المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال
ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء او الكفرة
منهم فانهم بصدد قتال المسلمين على قصده ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له
مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في
الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد
والمفاجاة به من غير دعوة والمثلة وقتل من نهيتم عن قتله ان الله لا يحب المعتدين
لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل
الثقف الحذق في ادراك الشيء علما كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك
استعمل فيها قال * فاما تثقفوني فاقتلوني * فمن اثقف فليس الى خلود *
واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح
والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن
اصعب من القتل لدوام تعبها وتالم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم
اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم
فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا
بقتالهم ثمة فانهم الذين هتكوا حرمته وقرا حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان

قتلوكم

والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلتنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم
يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم
ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين لله خالصا له ليس للشيطان
فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعدوا على المنتهين
اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة
كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس
الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم
المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان
يقاتلوهم فيه لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات
قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجري فيه القصاص فلما هتكوا
حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير
واتقوا الله في الانتصار ولا تعتدوا الى ما لا يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين
فيحرسهم ويصلح شانهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق
فيه فانه يقوي العدو ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري
انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها
فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا
وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء
والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر
كالتضرة والتسرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة
بايديكم ولا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم
او تفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما
تامين مستجمعي المناسك لوجه الله تعالى وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة
من قرا واقيموا الحج والعمرة لله وما روي جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج
فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك فمعارض بما روي ان رجلا قال لعمر رضي الله عنه اني وجدت
الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا لجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله
بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس
وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده
لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او ان تكون النفقة حلالا فان احصرتم منعتم
يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو

عند مالك والشافعي لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله عنه
لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة لما روي عنه عليه السلام
من كسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مؤول بما اذا شرط الاحلال به لقوله
عليه الصلاة والسلام لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني
فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا
ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من
بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه الصلاة والسلام ذبح عام الحديبية
بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة رضي الله عنه يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة اذا
جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا
حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون
بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدي
دليل على عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق على المكان
والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي
ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه كجراحة
وقمل ففدية فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس
الفدية واما قدرها فقد روي انه صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة لعلك
اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق
على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلاثة آصع فاذا امنتم الاحصار او
كنتم في حال سعة وامن فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله
تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم
استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه وقال
ابو حنيفة رضي الله عنه انه دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام
ثلاثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة في
اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز
يوم النحر وايام التشريق عند الاكثر وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي
الشافعي رضي الله عنه او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة
وقرئ بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم
ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن او ابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم
تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة
فانه يطلق لهما العدد والكثرة كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد
او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به تنتهي الاحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد

كالبدل منها من الهدي ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة اذ لا متعة
ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله
حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا فانه مقيم الحرم
او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك
واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج ان الله شديد العقاب
لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران
معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر
عند ابي حنيفة رضي الله عنه وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد بوقته وقت
احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا
كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام قبل شوال فقد استكرهه وانما
سمى شهرين وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل واطلاقا للجمع على ما فوق الواحد
فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا او بالتلبية او سوق الهدي
عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي رضي الله عنه ان من احرم بالحج لزمه الاتمام
فلا رفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع
بالسيئات وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه
نفى الثلاث على قصد النهي للمبالغة وللدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها
مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلاة والتطريب بقراءة القرآن لانه
خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع
على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف
في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف
بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب
النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا
لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون
نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال
والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب خشيته وتقواه وهو
مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم
جناح ان تبتغوا في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح
بالتجارة قيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج
وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات
دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول
كما حذف دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية

والتأنيث

والتأنيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكين وذهاب الكسرة تبع ذهاب
التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التأنيث اما ان يكون بالتاء
المذكورة وهي ليست تاء تأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة
كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها
بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه الصلاة والسلام فلما
ابصره عرفه او لان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان آدم وحواء
التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء
المرتجلة الا ان يجعل عرفة جمع عارف وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة
لا تكون الا بعده وهي مأمور بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة للذكر المأمور به وفيه
نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء
وقيل بصلاة العشائين عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل
ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه الصلاة والسلام
لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل
ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته
احترامه ومعنى عند المشعر الحرام ما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة
مكان علم كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم كما علمكم او اذكروه ذكرا
حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم
من قبله اي الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام
هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا
من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون
وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت
ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة
الى منى بعد الافاضة من عرفة الافاضة التي كانوا يفيضونها والتي امروا بها الا ان الخطاب
عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد آدم من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من
عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك
ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا
قضيتم العبادة الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا
فيه كما تفعلون بذكر آبائكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى
بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور
معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم او كذكر
اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب

بالعطف على آبائكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى أو كذكركم أشد مذكورية من آبائكم أو بمضمر دل عليه
المعنى تقديره أو كونوا أشد ذكرا لله منكم لآبائكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين إلى مقل
لا يطلب بذكر الله إلا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد الحث على الإكثار
والإرشاد إليه ربنا آتنا في الدنيا اجعل إيتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق
أي نصيب وحظ لأن همه مقصور بالدنيا أو من طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا
حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير وفي الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا
عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة
الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة
وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية إلى النار أمثلة للمراد بها
أولئك إشارة إلى الفريق الثاني وقيل إليهما لهم نصيب مما كسبوا أي من جنسه وهو جزاؤه
خيرا ومن أجله كقوله مما خطاياهم أغرقوا أو مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمي الدعاء
كسبا لأنه من الأعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة أعمالهم في
مقدار لمحة ويوشك أن يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا إلى الطاعات واكتساب الحسنات
واذكروا الله في أيام معدودات كبروه أدبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار
وغيرها في أيام التشريق فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده
أي فمن نفر في ثاني أيام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا إثم عليه
باستعجاله ومن تأخر فلا إثم عليه ومن تأخر في النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال
وقال أبو حنيفة رضي الله عنه يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الإثم بالتعجيل
والتأخير التخيير بينهما والرد على أهل الجاهلية فإن منهم من أثّم المتعجل ومنهم من أثّم
المتأخر لمن اتقى أي الذي ذكر من التخيير أو من الأحكام لمن اتقى لأنه الحاج على الحقيقة
والمنتفع به أو لأجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع أموركم
ليعبأ بكم واعلموا أنكم إليه تحشرون للجزاء بعد الإحياء وأصل الحشر الجمع وضم
المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض
للإنسان لجهله بسبب المتعجب منه في الحياة الدنيا متعلق بالقول أي ما يقوله في أمور
الدنيا وأسباب المعاش أو في معنى الدنيا فإنها مراده من ادعاء المحبة وإظهار الإيمان أو يعجبك
أي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة
أو لأنه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على أن ما في قلبه موافق
لكلامه وهو ألد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز أن يكون جمع
خصم كصعب وصعاب بمعنى أشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي
وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الإسلام وقيل في المنافقين
كلهم وإذا تولى أدبر وانصرف عنك وقيل إذا غلب وصار واليا سعى في الأرض ليفسد فيها

الحرث

الحرث والنسل كما فعله الأخنس بثقيف إذ بيتهم وأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم أو كما يفعله
ولاة السوء بالقتل والإتلاف أو بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل
والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه وإذا قيل له اتق الله أخذته
العزة بالإثم حملته الأنفة وحمية الجاهلية على الإثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من
قولك أخذته بكذا إذا حملته عليه وألزمته إياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا
جهنم علم لدار العقاب وهي في الأصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب
قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب
ومن الناس من يشري نفسه يبيعها يبذلها في الجهاد أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر
حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل إنها نزلت في صهيب بن سنان
الرومي أخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال إني شيخ كبير لا ينفعكم إن كنت
معكم ولا يضركم إن كنت عليكم فخلوني وما أنا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه
وأتى المدينة والله رؤوف بالعباد حيث أرشدهم إلى مثل هذا الشرى وكلفهم بالجهاد
فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة
السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والإسلام
فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لأنها تكف الأجزاء
من التفرق حال من الضمير أو السلم لأنها تؤنث كالحرب قال
السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع
والمعنى استسلموا لله وأطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين أو ادخلوا في الإسلام
بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني أهل الكتاب فإنهم بعد إسلامهم عظموا
السبت وحرموا الإبل وألبانها أو في شرائع الله كلها بالإيمان بالأنبياء والكتب جميعا والخطاب
لأهل الكتاب أو في شعب الإسلام وأحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين
ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق إنه لكم عدو مبين ظاهر العداوة
فإن زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج الشاهدة
على أنه الحق فاعلموا أن الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم إلا بحق هل ينظرون
استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده إلا إلا أن يأتيهم الله أي يأتيهم أمره أو بأسه
كقوله تعالى أو يأتي أمر ربك فجاءهم بأسنا أو يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به
للدلالة عليه بقوله إن الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما أظلك
وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الأبيض وإنما يأتيهم العذاب فيه لأنه مظنة
الرحمة فإذا جاء منه العذاب كان أفظع لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أصعب
فكيف إذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فإنهم الواسطة في إتيان أمره أو الآتون
على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل أو الغمام وقضي الأمر أتم أمر إهلاكهم

وفرغ منه ووضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر
عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قراه ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على انه
من الرجع وقرا الباقون على البناء للفاعل بالتانيث غير يعقوب على انه من الرجوع
وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول او لكل احد والمراد
بهذا السوال تقريعهم كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة او آية في الكتب شاهدة على الحق
والصواب على ايدي الانبيا وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية
او الرفع بالابتدا على حذف العايد من الخبر وآية مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة
الله اي آيات الله فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد
الرجس او بالتحريف والتاويل الزايغ المايل من الحق من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت
اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره
فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد
جريمة زين للذين كفروا الحياة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم
حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شي الا وهو
فاعله ويدل عليه قراءة زين على البنا للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق
الله فيها من الامور البهية والاشيا الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا
يريد فقرا المومنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزؤون بهم على رفضهم
الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتدا كانهم جعلوا السخرية مبتداة منهم
والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم
في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا
وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاهم
للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا
استدراجا تارة وابتلا اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق فيما بين آدم
وادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح
فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اي فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة
قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد الانبيا مائة واربعة وعشرون الفا
والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون
وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان
اكثرهم لم يكن له كتاب يخصه وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب
اي ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس اي الله او النبي المبعوث او كتابه فيما
اختلفوا فيه في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق
او الكتاب الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل

اشياعهم

مزيحا

مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا
بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه اي للحق الذي
اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبيا بعد مجي
الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للانكار ولما
يأتكم ولم يأتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعلت مقابل
قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء بيان له
على الاستيناف وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدايد حتى يقول الرسول
والذين آمنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرا نافع حتى
يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطالة لتا
الا ان نصر الله قريب استيناف على ارادة القول اي فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبهم
من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى
واللذات ومكابدة الشدايد والرياضات كما قال عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عمرو
ابن الجموح الانصاري كان شيخا ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ما ننفق من اموالنا
واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين
وابن السبيل سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة
باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق على
ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فان الله به عليم جوابه
اي ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكاة
لينسخ كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به
للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف
او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله تعالى حملته امه
كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان
الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم
وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان
النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه
دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم تعرف عينها وسمي بعثا يسألونك
عن الشهر الحرام روي انه صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى
الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عير القريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه

واسروا اثنين واستاقوا العير فيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى
فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر الناس الى معايشهم
وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم
العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهو اول
غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية
قتال فيه بدل اشتمال من الشهر وقرئ عن قتال بتكرير العامل قل قتال فيه كبير اي ذنب
كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء
وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الاية على حرمة القتال في الشهر الحرام
مطلقا فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم وصد صرف ومنع عن سبيل الله اي
الاسلام او ما يوصل العبد الى الله تعالى من الطاعات وكفر به اي بالله والمسجد الحرام
على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام كقول ابي دؤاد اكل امرئ تحسبين امرأ ونار
توقد بالليل نارا ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه
اذ لا يقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في به فان العطف على المجرور
انما يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اهل المسجد وهم النبي والمؤمنون اكبر عند الله
مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من
كبائر قريش وافعل فيه من يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر
من القتل اي ما ترتكبونه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي ولا يزالون
يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون
عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة لقوله
عز وجل ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان
ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت
وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها في احباط الاعمال كما هو مذهب
الشافعي والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة فيه في الدنيا لبطلان
ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والاخرة لسقوط الثواب واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين امنوا نزلت ايضا في السرية
لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله
كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمت الله
ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة
بالخواتيم والله غفور لما فعلوه خطأ وقلة احتياط رحيم باجزال الاجر والثواب يسئلونك
عن الخمر والميسر روي انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ
المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا في نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر

فانها

فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن
ابن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فأم احدهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت
لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فقل من يشربها ثم دعا عتبان
ابن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا
فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحيي بعير فشجه فشكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون
فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب
والتمر اذا اشتد وغلى لانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهو حرام
مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ
حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد
سمي به القمار لانه اخذ المال بيسر او سلب يساره الغير والمعنى يسالونك
عن تعاطيهما قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يؤدي الى الانتكاب
عن المأمور وارتكاب المحظور وقرأ حمزة والكسائي كثير بالثاء ومنافع للناس من كسب
المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير
المروة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد التي تنشأ منهما اعظم
من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة
اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر ويسئلونك ماذا ينفقون
قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سأل اولا عن المنفق والمصرف ثم سأل ثانيا عن كيفية
الانفاق قل العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر له
بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرر
مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه ثم قال يأتي احدكم
بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى وقرأ ابو عمرو برفع الواو
كذلك يبين الله لكم الايات اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام
والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة
والمخاطب به جمع على تأويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الدلائل والاحكام في الدنيا
والاخرة في امور الدارين فتأخذون بالاصلح والانفع منهما وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم
او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسئلونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين يأكلون اموال
اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم واصلاح اموالهم
خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين

ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من
المصلح وعد ووعيد لمن خالطهم لافساد واصلاح اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو
شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت
وهو المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم بما
تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن
وقرئ بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب
مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
الى قوله سبحانه عما يشركون ولكن خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم وروي انه عليه الصلاة والسلام بعث مرثد الغنوي الى مكة ليخرج
منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام
حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة اي ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة
فان الناس عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى
ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا
وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي عن مواصلتهم
وترغيب في مواصلة المؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون
الى النار اي الكفر المؤدي الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله اي واولياؤه
يعني المؤمنين حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم يدعون الى الجنة
والمغفرة اي الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه
اي بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون
اي لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير
ومخالفة الهوى ويسألونك عن المحيض روي ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا
الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سأل ابو الدحداح
في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه
وتعالى انما ذكر يسألونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات الاول كانت
في اوقات متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها
بحرف الجمع قل هو اذى اي الحيض مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء
في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه الصلاة والسلام انما امرتم ان تعتزلوا
مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد
بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالوا بالحيض وانما
وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن

ناسا

تاكيد

تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة
حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عياش حتى يطّهّرن اي يتطهرن بمعنى يغتسلن
والتزاما قوله فاذا تطهرن فأتوهن فانه يقتضي تاخر جواز الاتيان عن الغسل
وقال ابو حنيفة رضي الله عنه ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل من حيث
امركم الله اي المأتى الذي امركم الله به وحلله لكم ان الله يحب التوابين من الذنوب
ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في غير المأتى
نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف
بالبذور فأتوا حرثكم اي فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن
من حيث امركم الله انى شئتم من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته
من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
وقدموا لانفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية عند الوطء
واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به
وبشر المؤمنين الكاملين في الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان
تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت في الصديق رضي الله عنه لما حلف ان
لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة او في عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير
ابن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة
تطلق على ما يعرض دون الشيء وللمعرض للامر ومعنى الآية على الاول ولا تجعلوا الله
حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله
عليه الصلاة والسلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي
هو خير وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من
معنى الاعتراض ويجوز ان تكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اي ولا تجعلوا
الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه
بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة للنهي
اي انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله
والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم
عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من
كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا لمعناه كقول
العرب لا والله وبلى والله لمجرد التأكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
والمعنى لا يؤاخذكم بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما
بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل

في

بنا على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطاتم فيه من الايمان ولكن يؤاخذكم بما تعمدتم
الكذب فيها والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين
الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء
الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص اربعة
اشهر مبتدا ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف
اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء
ولا طلاق ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده
فان فاؤا اي ان رجعوا في اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه
اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار المراة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا
الطلاق اي وان صمموا قصده فان الله سميع لطلاقهم عليم بعزمهم فيه وقال ابو حنيفة
رضي الله عنه الايلاء في اربعة اشهر فما دونها وحكمه ان المولي ان فاء في المدة بالوطء ان قدر
وبالوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطئ ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا
يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد
بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الايات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف
ما ذكر يتربصن خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة للتاكيد والاشعار بانه مما يجب ان
يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله
وبناؤه على المبتدا يزيده فضل تاكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان
نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلاثة
قروء نصب على الظرف او المفعول به اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق
للحيض لقوله عليه الصلاة والسلام دعي الصلاة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين
لقول الاعشى: مورثة مالا وفي الحي رفعة ... لما ضاع فيها من قروء نسائكا
واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الاية لانه الدال على براءة الرحم
لا الحيض كما قال ابو حنيفة لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن
والطلاق المشروع لا يكون في الحيض واما قوله عليه الصلاة والسلام طلاق
الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة
ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك
بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله تعالى ان يطلق لها النساء
وكان القياس ان تذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون
كل واحد من البنائين مكان الاخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء
تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤه ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن
من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها

مقبول

مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن
بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له ان يفعل
وبعولتهن اي ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا
كان الطلاق رجعيا للاية التي تتلوها فالضمير في بعولتهن اخص من المرجوع اليه
ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتانيث الجمع
كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف
المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل هنا بمعنى الفاعل في ذلك اي في زمان التربص
ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المراة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح
للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف
اي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة
عليها لا في الجنس وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن
وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن
وحراس لهن يشاركوهن في غرض الازدواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق
والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالفه في الاحكام حكيم شرعها لحكم ومصالح الطلاق
مرتان اي التطليق الرجعي اثنتان لما روي انه عليه الصلاة والسلام سئل اين
الثالثة فقال عليه الصلاة والسلام او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي
تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين التطليقتين والثلاث
بدعة فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح
باحسان بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدا
وتخيير مطلق عقب به تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن
شيئا من الصدقات روي ان جميلة بنت اخت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض
زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع
راسي وراسه شيء والله لا اعيبه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما
اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا
واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب
مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الامرون بهما عند الترافع وقيل
انه خطاب للازواج وما بعده خطاب الحكام وهو مشوش النظم على القراءة المشهورة
الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما
حدود الله ترك اقامة احكامه من مواجب الزوجية وقرا حمزة ويعقوب يخافا على البناء
للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب
فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به

علي الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلي المراة في اعطايه **تلك حدود الله** اشارة الي ما حد من الاحكام **فلا تعتدوها** فلا تتعدوها بالمخالفة **ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون** تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في
التهديد واعلم ان ظاهر الاية يدل علي ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق
ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزايد ويويده قوله عليه الصلاة والسلام
ايما امراة سالت زوجها طلاقا في غير باس فحرام عليها رايحة الجنة وما روي انه عليه
افضل الصلاة والسلام قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها
فقال عليه الصلاة والسلام اما الزايد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان
المنع عن العقد لا يدل علي فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتدا واختلف
في انه اذا جري بغير لفظ الطلاق هل هو فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله
فان طلقها بان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان تكون طلقة رابعة
لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق
بالعوض قوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح
باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة علي ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض
اخري والمعني فان طلقها بعد الثنتين **فلا تحل له من بعد** من بعد ذلك الطلاق
حتى تنكح زوجا غيره حتي تتزوج غيره والنكاح يسند الي كل منهما كالتزوج
وتعلق بظاهره من اقتصر علي العقد كابن المسيب واتفق الجمهور علي انه لا بد من
الاصابة لما روي ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلي الله عليه وسلم ان رفاعة
طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الي رفاعة لا حتي تذوقي عسيلته
ويذوق عسيلتك فالاية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة
ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع
الي الطلاق والعود الي المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد
عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة رضي الله عنه مع الكراهة وقد لعن رسول الله
صلي الله عليه وسلم المحلل والمحلل له **فان طلقها** الزوج الثاني **فلا جناح عليهما
ان يتراجعا** ان يرجع كل من المراة والزوج الاول الي الاخر بالزواج **ان ظنا
ان يقيما حدود الله** ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حده الله وشرعه من
حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب
تظن ولا تعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي
العلم **وتلك حدود الله** اي الاحكام المذكورة **يبينها لقوم يعلمون** يفهمون ويعملون
بمقتضي العلم **واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن** اي اخر عدتهن والاجل يطلق

للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي به ينتهي قال كل حي مستكمل مدة
العمر ومود اذا انتهي اجله والبلوغ هو الوصول الي الشي وقد يقال للدنو منه علي الاتساع
وهو المراد في الاية ليصح ان يترتب عليه **فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف**
اذ لا امساك بعد انقضا الاجل والمعني فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتي تنقضي
عدتهن من غير تطويل وهو اعادة للحكم في بعض صوره للاهتمام به **ولا تمسكوهن
ضرارا** ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتي تشارف الاجل
ثم يراجعها لتطول العدة عليها فنهي عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا علي العلة
او الحال بمعني مضارين **لتعتدوا** لتظلموهن بالتطويل او الالجا الي الافتدا واللام متعلقة
بالضرار اذ المراد تقييده **ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه** بتعريضها للعقاب
ولا تتخذوا ايات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم
لمن لم يجد في الامر انما انت هازي كانه نهي عن الهزو واراد به الامر بضده وقيل
كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام
ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق **واذكروا نعمت الله عليكم**
التي من جملتها الهداية وبعثة محمد صلي الله عليه وسلم بالشكر والقيام بحقوقها **وما انزل
عليكم من الكتاب والحكمة** القران والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما **يعظكم به**
بما انزل عليكم **واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شي عليم** تاكيد وتهديد **واذا طلقتم
النساء فبلغن اجلهن** اي انقضت عدتهن وعن الشافعي رضي الله عنه دل سياق الكلام
علي افتراق البلوغين **فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن** المخاطب الاوليا لما روي
انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جملا ان ترجع الي زوجها الاول بالاستيناف
فيكون دليلا علي ان المراة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن
لعضل الولي معني ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه علي اذنهن
وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركونهن يتزوجن
عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاوليا والازواج وقيل الناس
كلهم والمعني لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا
كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت بيضها
فلم تخرج **اذا تراضوا بينهم** اي الخطاب والنسا وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن
بالمعروف بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروة حال عن الضمير المرفوع او صفة مصدر
محذوف اي تراضيا كاينا بالمعروف وفيه دلالة علي ان العضل عن التزوج من غير
كفو غير منهي عنه **ذلك** اشارة الي ما مضي ذكره والخطاب للجميع علي تاويل القبيل او كل واحد
او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين
او للرسول عليه الصلاة والسلام علي طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النسا للدلالة علي ان حقيقته للمشار اليه

امر لا يكاد يتصوره كل احد ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع
ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من
النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن
امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي
الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات يعم المطلقات
وغيرهن وقيل مختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة الكمال
لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن
اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة
والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما
وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له اي الذي يولد له يعني الوالد فان الولد
يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع
ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار الام فجوزه
الشافعي ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف حسبما يراه
الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد
بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد الا ما يطيقه وذلك لا يمنع امكانه
لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب اي لا يكلف
كل منهما الآخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف واصله على القرائتين لا تضارر بالكسر على البناء للفاعل
او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته
اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار
بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره
واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطافا لهما عليه وتنبيه على انه حقيق
بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق ولا ينبغي ان يضرا به او ان يتضارا بسببه
وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما
بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي اي تمون المرضعة
من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا وكلا
القولين يوافق مذهب الشافعي رضي الله عنه اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولادة وقيل
وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة
رضي الله عنه وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من
الرزق والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اي فصالا صادرا
عن التراضي منهما والتشاور وبينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة واستخراج الرأي

من

٦٤

من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة
لصلاح الطفل وحذارا ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض او غيره وان اردتم
ان تسترضعوا اولادكم اي تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المراة الطفل
واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول
للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع للولد ويمنع
الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى
اذا قمتم الى الصلاة وقرا ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم
اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اي بالوجه المتعارف
المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم
لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة
في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير
حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن
اربعة اشهر وعشرا اي وازواج الذين او والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يَتَوفَّون بفتح الياء اي يستوفون
آجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون
التذكير في مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله
ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في
غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى
الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما يضعف حركته في المبادي فلا يحس
بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قال الشافعي رضي الله عنه
والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة
للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن
حملهن وعن علي وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن
اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة او المسلمون جميعا فيما فعلن
في انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه
الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكر فعليهم ان يكفوهن فان قصروا
فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم
به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له ولا مجازا كقول
السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل
النجاد وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت
بالموعظة والمكسورة بطلب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول

لها انك لجميلة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطي لانه يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعني بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد اي ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموه واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفي ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي تجامعوهن وقرا حمزة والكسائي تماسوهن بضم التاء ومد الميم في جميع القران او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا او وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهرا اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمي لها فلها نصف المسمى فمنطوق الاية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخيرتين ومتعوهن عطف على المقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويؤيده قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي على كل من الذي له سعة والمقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام لانصاري طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الاية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم

وقرا

وقرا حمزة وحفص وابن ذكوان بفتح الدال متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروة حقا صفة متاعا او مصدر موكد اي حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون اي المطلقات فلا ياخذن شيا والصيغة تحتمل التذكير والتانيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المراة صغيرة وهو قديم قولي الشافعي وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الاخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما انهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفى عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها والصلوة الوسطى اي الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا وهي صلاة العصر لقوله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملا الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلاة الظهر لانها وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله عليه الصلاة والسلام افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلاتي النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفي النهار وعن عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم كان يقرا والصلاة الوسطى صلاة العصر فيكون صلاة الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقري بالنصب على الاختصاص والمدح وقوموا لله في الصلاة قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين وراكبين ورجال جمع راجل او رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب

الصلاة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن
الوقوف فاذا امنتم وزال الخوف عنكم فاذكروا الله صلوا صلاة الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم
من الشرائع وكيفية الصلاة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة
ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية
لازواجهم قرأها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون
منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون منكم وصية
ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير
ووصية الذين يتوفون او حكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية او كتب عليكم وصية
او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية
وبمتاع على قراءة من قرأ لانه بمعنى التمتيع غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك
هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون
ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى والنفقة وكان ذلك
اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة
فهو متأخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة
عندنا خلافا لابي حنيفة فان خرجن من منزل الازواج فلا جناح عليكم ايها الائمة
فيما فعلن في انفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا
يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة
واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم يراعي مصالحهم
وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعد
ما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص
المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب
والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان تكون اللام للعهد والتكرير
للتأكيد او لتكرر القصة كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة يبين
الله لكم آياته وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه
معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها فتستعملوا العقل فيها الم تر تعجيب
وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه
صار مثلا في التعجب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان قرية قبل واسط
وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من
قضاء الله وقدره او قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم
الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف اي قال الله لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون
والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد اي الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون وقيل

متالفون جمع الف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم
الله موتوا اي قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد
من غير علة بامر الله ومشيئته وقيل ناداهم ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا
ثم احياهم قيل مر حزقيل على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم
فتعجب من ذلك فاوحى الله تعالى اليه نادهم ان قوموا باذن الله فنادى فقاموا يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض
للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم
ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرونه
كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان
الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي
سبيل الله والا فالنصر والثواب لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه من وراء
الجزاء من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفته
او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه قرضا حسنا اي اقراضا مقرونا
بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق
في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم
بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض
الله احد وقرأ ابن كثير يضعفه بالرفع وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة
لا يقدرها الا الله تعالى وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال
من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على
ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع
على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم وقرأ
نافع والكسائي والبزي وابو بكر بالصاد ومثله في الاعراف واليه ترجعون فيجازيكم على
ما قدمتم الم تر الى الملأ من بني اسرائيل الملأ الجماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم
ومن للتبعيض من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع
او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه
للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رأيه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه
حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا
قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط
والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو
المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا
وابنائنا اي اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان

والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل
بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم
واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم
ثلثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد
وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود
وجعله فعلولا من الطول يدفعه منع صرفه روي ان نبيهم صلى الله عليه وسلم لما دعا الله ان
يملكهم اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له الملك
علينا من اين يكون له الملك ويتأهل ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال
والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا
ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم تكن فيهم النبوة
ولا الملك وانما كانت النبوة في اولاد لاوي بن يعقوب والملك في اولاد يهودا وكان فيهم
من السبطين خلق قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله
يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم
اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا
بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن
ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما
ذكرتم وقد زاده الله تعالى فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه وثالثا
بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل
يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره وقال لهم
نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم ان اية ملكه
ان يأتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه
ما يخرج منه كما ابدلت تاؤه من التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق
التوراة وكان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين
فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اي في اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت
اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التوراة وكان موسى عليه الصلاة والسلام اذا
قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد
او ياقوت لها راس وذنب كراس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت
نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور
الانبياء من ادم الى محمد عليهم الصلاة والسلام وقيل التابوت هو القلب والسكينة
ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقر العلم والوقار بعد ان لم يكن
وبقية مما ترك ال موسى وال هرون رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون

وانهما

وانهما ابناؤهما او انفسهما وال مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله
الملائكة قيل رفعه الله تعالى بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده
مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت
الى ان ملك الله طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت
فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين
يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي وان يكون ابتداء خطاب من الله فلما فصل طالوت
بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر
حذف مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع
اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسألوا الله ان يجري لهم نهرا
قال ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه
فليس مني فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه
من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا
وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي الا من اغترف غرفة
بيده استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية
بها كما قدم الصابئون على الخبر في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والمعنى
الرخصة في القليل دون الكثير وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم الغين فشربوا منه
الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بواسطة وتعميم
الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع
حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة
وثلاثة عشر رجلا وقيل ثلاثة الاف وقيل الف روي ان من اقتصر على الغرفة
كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت شفته
ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لقاصد الاخرة فلما جاوزه هو والذين امنوا
معه اي القليل الذي لم يخالفوه قالوا اي بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم
بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي قال
الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب
فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخزلين
عن القتال اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من
فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الاستفهام
والخبر ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته
او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا
لجالوت وجنوده اي ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت

ان يجري

المنخزلين

أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجاوا الى الله بالدعا وفيه ترتيب بليغ اذ سالوا
اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب
المسبب منه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا فهزموهم باذن الله فكسروهم
بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعايهم وقتل داود جالوت قيل كان ايشي
في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم
فاوحى الله الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجا وقد كلمه في الطريق
ثلاثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه
طالوت بنته وآتاه الله الملك في ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة
وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت
الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين
على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض ولفسدت الارض بشومهم
وقرا نافع هنا وفي الحج دفاع تلك آيات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك
طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق
اي بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين
لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها
في السورة او المعلومة للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على
بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفصيل له وهو موسى وقيل موسى
ومحمد عليهما الصلاة والسلام كلم الله موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا ليلة المعراج
حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله بالنصب فانه كلم الله كما
ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله
على غيره من وجوه متعددة او بمراتب متباعدة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فانه خص بالدعوة
والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والايات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضايل العلمية
والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه كانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن
التعيين وقيل ابراهيم عليه الصلاة والسلام خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس
عليه الصلاة والسلام لقوله ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل وآتينا عيسى
ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى
في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها
غيره ولو شا الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد
ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا
فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين الانبيا تفضلا ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه
ولو شا الله ما اقتتلوا كرر للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشا فضلا

ويخذل

الثالث عشر
تلك الرسل

ويخذل من يشا عدلا والاية دليل على ان الانبيا متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل
بعضهم على بعض لكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله
تابعة لمشيته خيرا كان او شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم
ما اوجبنا عليكم انفاقه من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان
ياتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون
ما تنفقونه او تفتدون به ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا شفاعة
الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعا تشفع لكم في حط ما في ذممكم
وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع فيه بيع
او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون
هم الظالمون يريد التاركون للزكاة هم الذين ظلموا انفسهم اذ وضعوا المال في غير
موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله
ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكاة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين
لا يؤتون الزكاة الله لا اله الا هو مبتدا وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة
خلاف في انه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم
ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان القيوم
الدايم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه وقرئ القيام والقيم
لا تاخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان اقصده
النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء
اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة
عن الاحساس راسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة
نفي للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه النعاس او النوم كان مئوف الحياة
قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده له ما في السموات
وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما
ما وجد فيهما فهو ابلغ من قوله له السموات والارض وما فيهما من ذا الذي يشفع
عنده الا باذنه بيان لكبريا شانه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل
بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا او مناصبة
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل
ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الاخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه
وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلا او لما دل عليه من ذا من
الملايكة والانبيا ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شا ان يعلموا وعطفه
على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته

وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق
قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة
ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك وقيل
جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عليه الصلاة والسلام ما السموات
السبع وما الارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك
الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد
عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرسي وهو الملبد ولا يؤده
ولا يثقله ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظ السموات والارض
فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه
العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الآية مشتملة على امهات المسائل
الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحياة واجب
الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز
والحلول مبرا عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح
مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع
عنده الا من اذن له عالم وحده بالاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك
والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤوده شاق ولا يشغله شان متعال
عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ان اعظم اية
في القران اية الكرسي من قراها بعث الله له ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سياته
الى الغد من تلك الساعة وقال من قرا اية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه
من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه
امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله لا اكراه في الدين اذ الاكراه
في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي
تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلايل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة
الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له
ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى
الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ
بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا
كان له ابنان تنصرا قبل البعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما
حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فمن يكفر بالطاغوت
بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان
قلب عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل فقد استمسك بالعروة الوثقى

طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهو مستعار لمتمسك المحق
من النظر الصحيح والراي القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم
اذا كسرته والله سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي
الذين امنوا محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه
يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول
الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة
خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من الموصول او منهما او استيناف مبين او مقرر
للولاية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين او المضلات من الهوى
والشيطان وغيرهما يخرجونهم من النور الى الظلمات من النور الذي منحوه بالفطرة
الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات
الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج
الى الطاغوت باعتبار التسبب لا يابى تعلق قدرته وارادته به اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون تحذير ووعيد ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم
الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته ان
اتاه الله الملك لان اتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله
شكرا له على طريقة العكس كقولك عاديتني لاني احسنت اليك او وقت ان
اتاه الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك للكافر من المعتزلة اذ قال ابراهيم
ظرف لحاج او بدل من اتاه الله على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت يخلق الحياة والموت
في الاجساد وقرا حمزة رب بحذف الياء قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل والقتل قال
ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب اعرض ابراهيم
عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه
رفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته
التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان
يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته
واعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له
من ربك الذي تدعو اليه وحاجه فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي
فغلب ابراهيم الكافر والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع
عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيامة
او كالذي مر على قرية تقديره او ارايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه
بحرف التشبيه لان المنكر للاحيا كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان تحصى بخلاف مدعي
الربوبية وقيل الكاف زايدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه

بحذف الياء

عطف محمول على المعنى كانه قيل اريت كالذي حاج او كالذي مر وهو عزير بن شرخيا
او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس
حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي خرج منها وقيل غيرهما واشتقاقها من القري
وهو الجمع وهي خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال
انى يحيي الله بعد موتها اعترافا بالعجز عن معرفة طريق الاحيا واستعظاما
لقدرة المحيي ان كان القايل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا وانى في موضع نصب على الظرف
بمعنى متى او الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام او اماته
الله فلبث مائة عام ثم بعثه بالاحيا قال كم لبثت القايل هو الله وساغ
ان يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي
قال لبثت يوما او بعض يوم كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة
قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية منها
فقال او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك
وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية
ان قدر لام السنة ها وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحما
المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضى البازي وانما افرد الضمير لان
الطعام والشراب كالجنس الواحد قيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا
او لبنا وكان الكل على حاله وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه او انظر اليه
سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ما وعلف كما حفظنا الطعام والشراب
من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك آية للناس اي وفعلنا
ذلك لنجعلك آية روي انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرا التوراة
من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى
منزله وكان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة
وانظر الى العظام يعني عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من احيايهم كيف ننشزها
كيف نحييها او كيف نرفع بعضها الى بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها
والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب
ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر ثم نكسوها
لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله
على كل شي قدير قال اعلم ان الله على كل شي قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه
وما قبله اي فلما تبين له ما اشكل عليه وقرا حمزة والكسائي قال اعلم على لفظ الامر
والامر مخاطبه وهو نفسه خاطبها به على طريقة التبكيت واذ قال ابراهيم رب ارني
كيف تحيي الموتى انما ساله ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيي واميت

قال له

قال له ان احيا الله الموتى برد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر
ان يقول نعم وانتقل الى تقرير اخر ثم سال ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب
ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم تؤمن باني قادر على الاحيا باعادة التركيب
والحياة قال له ذلك وقد علم انه اعرف الناس في الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم
السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى آمنت ولكن سالت لازيد
بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال قال فخذ اربعة
من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمام وفيه
ايما الى ان احيا النفس بالحياة الابدية انما يتاتى باماتة حب الشهوات والزخارف
التي هي صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل
المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام
وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي
به او جمع كصحب فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك لتتاملها وتعرف
شانها لئلا تلتبس عليك بعد الاحيا وقرا حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر
وهما لغتان قال ولكن اطراف الرياح تصورها قال وفرع يصير الجيد
وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ فصرهن بضم الصاد
وكسرها مشددة الرا من صره يصره ويصره اذا جمعه وفصرهن من
التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اي جزئهن وفرق اجزاءهن
على الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة ثم ادعهن قل لهن
تعالين باذن الله ياتينك سعيا ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا
روي انه امر ان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤوسها ويخلط
ساير اجزائها فيوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير
الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤوسهن وفيه اشارة
الى ان من اراد احيا نفسه بالحياة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية
فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات
متى دعاهن بداعية العقل والشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابراهيم
ويمن الضراعة في الدعا وحسن الادب في السوال انه تعالى اراد ان يريه
في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام واعلم ان
الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره
مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة اي مثل نفقتهم كمثل
او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف مضاف انبتت سبع سنابل في كل
سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض

والما والمنبت على الحقيقة هو الله والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها
منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه
وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الاراضي المغلة والله يضاعف تلك
المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجله
تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل
به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمن فانه جهز
جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى
النبي صلى الله عليه وسلم باربعة الاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على
من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت
بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم
اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة
وتجاوز عن السائل الحاجة او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من السائل
بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح الابتداء
بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غني عن انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة
من يمن ويؤذي بالعقوبة يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن
والاذى لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء
الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه
لا يريد به رضا الله ولا ثواب الاخرة او مماثلين الذي ينفق رئاء فالكاف
في محل النصب على المصدر ورئاء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا
او المصدر اي انفاق رئاء فمثله فمثل المرائي في انفاقه كمثل صفوان
كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا
املس نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا
رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس او الجمع
كما في قوله ان الذين حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين
الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرئاء والمن والاذى على الانفاق من صفة
الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم
ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان
فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل
ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدءا من اصل

انفسهم

انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال
كمثل جنة بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكا كمثل بستان بموضع مرتفع
فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرا ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ
بالكسر وثلاثتها لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها
ثمرتها وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت
تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما يريد بالزوج الواحد في قوله
من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا فان لم
يصبها وابل فطل اي فيصيبها او فالذي يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها
وبرودة هوائها لارتفاع وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقة هؤلاء زاكية
عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها ويجوز
ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة
الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون
له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات
جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما
ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون
المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر اي كبر السن فان الفاقة والعالة في الشيخوخة
اصعب والواو للحال او للعطف حملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت
له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب
فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على اصابه او تكون باعتبار المعنى
والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل
حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء في الحسرة والاسف
اذا كان يوم القيامة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه
واشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت
ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا
كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون اي تتفكرون فيها فتعتبرون بها
يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده ومما اخرجنا
لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف
المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا الردي اي من المال
وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تاممو ولا تيمموا بضم التاء
تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق منه به ويكون الضمير للخبيث
ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا

اي وحالكم انكم لا تاخذونه
في حقوقكم لرداءته
الا ان تغمضوا فيه

تحملوا على الاغماض وتجدوا مغمضين وعن ابن عباس يتصدقون بحشف التمر وشراره
فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم حميد بقبوله
واثابته الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد في الاصل شائع في الخير
والشر وقري الفقر بضم الفا والسكون وبضمتين وفتحتين ويامركم بالفحشا
ويغريكم على البخل والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة
منه اي يعدكم في الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في
الدنيا او في الاخرة والله واسع اي واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه
يؤتي الحكمة بناه للمفعول لانه المقصود وقرا يعقوب بالكسر اي ومن يؤته الله
فقد اوتي خيرا كثيرا اي خير كثير اذ حيز له خير الدارين وما يذكر وما
يتعظ بما قص من الايات او ما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودعه الله في
قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذوو العقول الخالصة عن شوائب
الوهم والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا
وعلانية في حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية
فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون
فيها ويمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور من انصار من ينصرهم من الله
ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيا ابداوها
وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وان تخفوها
وتؤتوها الفقرا اي تعطوها مع الاخفا فهو خير لكم فالاخفا خير لكم وهذا
في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان ابدا الفرض لغيره افضل لنفي التهمة
عن ابن عباس صدقة السر في التطوع تفضل على علانيتها افضل من سرها
بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سياتكم قرا ابن عامر وعاصم في
رواية حفص بالياء والله يكفر او الاخفا وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية
ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتداة او اسمية معطوفة
على ما بعد الفا اي ونحن نكفر وقرا نافع وحمزة والكسائي به مجزوما على محل الفا
وما بعده وقري بالتا مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات والله بما تعملون
خبير ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين
وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والاذى وانفاق
الخبيث ولكن الله يهدي من يشا صريح بان الهداية من الله وبمشيته وانها
تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو
لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون
الا ابتغا وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين

الابتغا

الا ابتغا وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اي وليس نفقتكم الا ابتغا وجهه
فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من
خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد للشرطية السابقة او ما يخلف
المنفق استجابة لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا
روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون
عليهم فلما اسلموا ان ينفعوهم فنزلت هذا في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى
الكافر وانتم لا تظلمون لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقرا متعلق بمحذوف
اي اعمدوا للفقرا او اجعلوا ما تنفقونه للفقرا او صدقاتكم للفقرا الذين احصروا
في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض ذهابا
فيها للكسب وقيل هم اصحاب الصفة كانوا نحوا من اربعماية من فقرا المهاجرين يسكنون صفة
المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنيا من التعفف من اجل تعففهم عن
السوال تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول او لكل
احد لا يسالون الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسول حتى يعطيه من قولهم لحفني من
فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسالون وان سالوا للضرورة
لم يلحوا وقيل نفي للامرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر
فانه كنوع من السوال او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في
الانفاق وخصوصا على هولا الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية
اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر الصديق تصدق باربعين الف دينار
عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي رضي الله عنه لم يملك الا
اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية
وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفا للسببية وقيل للعطف والخبر
محذوف اي ومنهم الذين ولذلك جوزوا الوقف على وعلانية الذين ياكلون الربوا اي
الاخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربا شايع في المطعومات
وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان يباع
احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلاة للتفخيم على لغة وزيدت الالف
بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان
يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشوا من المس اي الجنون وهذا
ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا

فكرهوا

الناس

يقومون

اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكل الربا او يقوم او يتخبط فيكون نهوضهم
وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلاف عقلهم ولكن لان الله اربى في بطونهم ما اكلوا من الربوا
فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا
والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوا استحلاله وكان الاصل انما الربوا
مثل البيع لكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين
فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن يشتري سلعة بدرهمين فلعل
مساسة الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا
انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضته النص فمن جاءه موعظة من ربه فـ
بلغه وعظ من الله وزجر كالنهي عن الربا فانتهى فاتعظ وتبع النهي فله ما سلف
تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة
وبالابتداء ان جعلت شرطية على راي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره
الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في
شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون لانهم كفروا يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال
الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه
وعنه عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربي احدكم مهره
وعنه ما نقصت زكاة من مال قط والله لا يحب لا يرضى ولا يحب محبته للتوابين
كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين امنوا بالله ورسله
وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة عطفهما على
ما يعمهما لانافتهما على سائر الاعمال لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون على فات يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من
الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم
فان دليله امتثال ما امرتم به روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم
عند المحل بالمال والربا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله
اي فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرا حمزة وعاصم في رواية ابن عياش اي
فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب
للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر الله
كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله
ورسوله وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون
باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم
راس مالهم وهو سديد على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء وان كان ذو عسرة

وان

وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم
نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار وقرئ فناظره على الخبر اي فالمستحق
ناظره بمعنى منتظره او صاحب نظرته على طريقة النسب وعلى الامر اي فسامحه بالنظرة
الى ميسرة يسار وقرا نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافا
بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا
بالابراء وقرا عاصم بتخفيف الصاد خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون
لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه الصلاة
والسلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون
ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيامة
او يوم الموت فتاهبوا لمصيركم اليه وقرا ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم
ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب
وتضعيف عقاب وعن ابن عباس انها اخر اية نزل بها جبريل عليه السلام وقال
ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها
احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات
يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته
اذا عاملته نسيئة معطيا او اخذا وفائدة ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة
ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه
الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق
وارفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال
لما حرم الله الربا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية
لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء
مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب
ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله من كتبة الوثائق او لا يأب ان ينفع الناس
بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة
المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تاكيدا ويجوز ان تتعلق الكاف بالامر فيكون النهي
عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي
من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي
المملي او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق او مما املى عليه فان كان الذي
عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا
او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل
وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم

ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه
القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل
اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تسمع شهادة الكفار
بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامرأتان
فليشهدوا او فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا
الحدود والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم
ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى علة اعتبار العدد اي لاجل ان احداهما
ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن
لما كان الضلال سببا نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه
وكانه قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن
وقلة ضبطهن وقرأ حمزة والكسائي ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير
وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة
او التحمل وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان
تكتبوه ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كني
بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت
صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله
الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله
اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من
اقسط واقام على غير قياس او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في
اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى ان لا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في
جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها
بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة
الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اي
الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان
ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة
حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا * اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا *
ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا
اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه الآية
للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها
ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البناءين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر
والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي

وطلبوا ان يشهد على الدين شاهد النبي [uncertain margin note]

عن الفرار

الفرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى
الكاتب جعله والشهيد مؤونة مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار وما نهيتم عنه فانه
فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم
الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر لفظة الله في الجمل الثلاث
لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة
تعظيم لشانه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر اي مسافرين
ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهان او فعليكم رهان
او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك
لانه صلى الله عليه وسلم رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من
شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالكتب في السفر
الذي هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير
ورهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف
فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته
عن الارتهان فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة لائتمانه عليه
بترك الارتهان به وقرئ الذيتمن بقلب الهمزة ياء والذتمن بادغام الياء في التاء
وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم وليتق الله ربه في الخيانة
وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديونون
والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه آثم قلبه اي يأثم قلبه
او قلبه يأثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره
العين زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال
وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه
بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد لله ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يوم القيامة
وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته
ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما
ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستئناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب
الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا منه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله
متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا * وادغام الراء في
اللام لحن اذ الراء لا تدغم الا في مثله والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحياء
والمحاسبة آمن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله على صحة
ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته

وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنون او يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين باعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائي وكتابه يعني القران او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها كقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطأ من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطأ فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه الصلاة والسلام رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه على من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة اصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكاة او ما اصابهم من الخسف والمسخ ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد هاهنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء او المراد به عامة الكفرة روي انه صلى الله عليه وسلم دعا بهذه الدعوات فقيل له فعلت وعنه صلى الله عليه وسلم انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة

من

٧٥

من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه الصلاة والسلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القران فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهور وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم يحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه صلى الله عليه وسلم قال ان اسم الله الاعظم في ثلاث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القران نجوما بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل التوراة والانجيل جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العرب من قبل من قبل تنزيل القران هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد الكتب الثلاثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل سائر ما يفرق بين الحق والباطل او الزبور او القران وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق بين المحق والمبطل او المعجزات ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم

في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل على القيوم والاستدلال على انه
عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه
وعبادته **لا اله الا هو** اذ لا يعلم جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله **العزيز
الحكيم** اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان
ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من
اولها الى نيف وثمانين اية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم **هو الذي
انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات** احكمت عبارتها بان حفظت من
الاحتمال **هن ام الكتاب** اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تاويل
كل واحدة او على ان الكل بمنزلة اية واحدة **واخر متشابهات** محتملات لا يتضح
مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد
حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط
المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق
بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله الر كتاب احكمت اياته فمعناه
انها حفظت من فساد المعنى وركاكته واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه
وصف معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف
ولم يعرف لانه في معنى المعرف او عن اخر من **فاما الذين في قلوبهم زيغ** عدول
عن الحق كالمبتدعة **فيتبعون ما تشابه منه** فيتعلقون بظاهره او بتاويل
باطل **ابتغاء الفتنة** طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة
المحكم بالمتشابه **وابتغاء تاويله** الذي يجب ان يحمل عليه وطلب ان يأولوه
على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل منهما
على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلايم الجاهل **وما يعلم تاويله**
الذي يجب ان يحمل عليه **الا الله والراسخون في العلم** اي الذين ثبتوا وتمكنوا
فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت
قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير
مراد ولم يدل على ما هو المراد **يقولون امنا به** استيناف موضح لحال الراسخين
او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدا **كل من عند ربنا** اي كل من المتشابه والمحكم
من عنده **وما يذكر الا اولوا الالباب** مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر
واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال
الاية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته في تصوير الجسد
وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم
وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون جوابا بانه

مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ودون غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور
لا يكون اب المصور **ربنا لا تزغ قلوبنا** من مقال الراسخين وقيل استيناف والمعنى
لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال صلى الله عليه وسلم
قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه
وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا **بعد اذ هديتنا** الى الحق والايمان بالقسمين
وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان **وهب
لنا من لدنك رحمة** تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق
او مغفرة للذنوب **انك انت الوهاب** لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال
من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء **ربنا انك جامع الناس ليوم**
لحساب يوم او جزائه **لا ريب فيه** في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا
به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالاخرة فانها المقصد والمال **ان الله
لا يخلف الميعاد** فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعد لون الخطاب
واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لادلة
منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا **ان الذين كفروا** عام في الكفرة وقيل
المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا العرب **لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا** اي من رحمته او من طاعته على معنى البدلية او من عذابه **واولئك هم
وقود النار** حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها **كداب ال فرعون** متصل
بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اوليك او توقد بهم كما توقد باوليك
او استيناف مرفوع المحل وتقديره داب هولا كدابهم في الكفر والعذاب
وهو مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان **والذين من قبلهم**
عطف على ال فرعون وقيل استيناف **كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم**
حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدات بالذين من قبلهم **والله
شديد العقاب** تهويل للمواخذة وزيادة تخويف للكفرة **قل للذين كفروا ستغلبون
وتحشرون الى جهنم** اي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه
عليه الصلاة والسلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم
ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن
قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء
بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرا
حمزة والكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه
وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استيناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما
مهدوه لانفسهم **قد كان لكم اية** الخطاب لقريش او اليهود وقيل للمومنين

في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم
يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين وكان قريب الف او مثلي عدد المؤمنين وكانوا
ثلثماية وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم في اعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا
اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين
مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله به
في قوله ان يكن منكم ماية صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء
وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل
من فئتين على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا رأي العين رؤية ظاهرة
معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك اي التقليل
والتكثير وغلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة اية محتملة
وقوع الامر على ما اخبر به الرسول لعبرة لاولي الابصار اي لعظة لذوي
البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اي المشتهيات سماها
شهوات مبالغة وايماء الى انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله
احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله
زينه ابتلاء ولانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرضاه
الله ولانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الاية في معرض
الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة
من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات
والقنطار المال الكثير وقيل ماية الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في انه
فعلال او فنعال والمقنطرة ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة
المعلمة من السمة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة
والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع الحياة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن
الماب اي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية
بالشهوات المخدجة الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله
خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير وترتفع جنات على
هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء
ورضوان من الله قراه عاصم بضم الراء وهما لغتان والله بصير بالعباد اي باعمالهم
فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد
نبه بهذه الاية على نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان لقوله ورضوان
من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا

وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال
على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها الصابرين
والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات
السالك على احسن الترتيب فان معاملته مع الله اما توسل واما طلب والتوسل اما
بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو
اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال
وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب
بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحد منها وكمالهم فيها
او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان
العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم
كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو
بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الايات الناطقة بها والملائكة
بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف
بشهادة الشاهد قائما بالقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال
من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا
اسحق ويعقوب نافلة او من هو والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه لانها
حال مؤكدة او على المدح او على الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج
في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل
من هو او الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرره للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة
التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف
بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من
الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه عليه الصلاة والسلام قال
يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق
من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله
ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله
سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد صلوات الله عليه
وقرا الكسائي بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه
وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل
على الثاني واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة
في دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه اخرون مطلقا

او في التوحيد فثلث النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا
بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى إلا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد ما علموا
حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالايات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا
للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب
وعيد لمن كفر منهم فإن حاجوك في الدين او جادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فقل اسلمت
وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت
عليه الحجج ودعا اليه الايات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس الفضل او ومن اتبعن
وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب ءأسلمتم
كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون
وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم
بان اخرجوها من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ اي فلم يضروك اذ ما عليك
الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بايات
الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس
فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولهم الانبيا ومتابعيهم
وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة
البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفا في خبر ان كليت ولعل
ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة كقولك زيد فافهم
رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتدا بخلافهما وما لهم من ناصرين يدفع عنهم
العذاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التوراة او جنس الكتب السماوية
ومن للتبعيض او البيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله
ليحكم بينهم الداعي محمد صلوات الله عليه وكتاب الله القرآن او التوراة لما روي انه
عليه السلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال على
دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التوراة فانها بيننا وبينكم
فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البنا للمفعول فيكون الاختلاف
فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم
استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم
عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة ذلك اشارة
الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيل
العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم
ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل وان اباهم الانبيا يشفعون
لهم وان الله تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف

لانه اشرف الاعضا الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التا في اسلمت وحسن

اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم في الاخرة وتكذيب لقولهم
لن تمسنا النار الا اياما روي ان اول راية ترفع يوم القيامة رايات الكفار راية
اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما
كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار
ولا قبل دخولها فاذن هي بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى
لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من
خصائص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتا القسم وقيل
اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته
مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه
فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منها
ما تشاء من تشاء وتسترد فالملك الاول عام والاخران بعضان منه وقيل المراد
بالملك الاول النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم بيدك الخير انك على كل شيء قدير
ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي
ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ
روي انه صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا
واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجا فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها
وبرق منها برق اضا ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر
وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب
ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب
الثالثة فقال اضاءت قصور صنعا واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا
فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب
قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت
ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار
وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من
تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحياة
وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك
ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الاخر
بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشا الحيوانات من موادها
واماتتها او انشا الحيوان من النطفة والنطفة منه واخراج المؤمن من الكافر والكافر
من المؤمن لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة

جاهلية ونحوها حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو
وساير الامور الدينية من دون المؤمنين اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان
في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس
من الله في شيء من ولايته في شيء يصح ان تسمى ولاية فان موالاة المتعادين لا يجتمعان
قال: تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب
الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل
معدى بمن لانه في معنى تحذروا وتخافوا وقرا يعقوب تقية منع عن موالاتهم
ظاهرا وباطنا في الاوقات الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال
عيسى عليه الصلاة والسلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه والى الله
المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم
مشعر بتناهي المنهي عنه في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه
دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله
اي انه يعلم ضمايركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم
ما في السموات وما في الارض فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فيقدر
على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والاية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه
وكانه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي يحيط بالمعلومات كلها وقدرة
ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجترؤا على عصيانه اذ ما من معصية وهو
مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما
عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود اي
تتمنى كل نفس يوم تجد صحايف اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك
اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت
من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت
وعلى هذا يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كاين واوفق
للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره للتوكيد والتذكير والله رؤف بالعباد
اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو
مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادرك فيه بحيث يحملها الى ما يقربه اليه والى الله لم يكن حبه
والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله
وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه
فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص
على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي يرضى عنكم ويكشف الحجب عن

قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر
عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه
بطاعته واتباع نبيه روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه
وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انا نعبد المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا
على عهده عليه الصلاة والسلام انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من
العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا
فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد
العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة وان محبته مخصوصة
بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين بالرسالة
والخصايص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب
طاعة الرسول وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليهم
وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم
الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث
ابن لاوي بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن اشعا زار
ابن ابي يوز بن رحب نابل بن ساليان بن يوحنا بن اوشا بن اموذ بن منشكن
حازقا بن نوقام بن عزريا بن يوذام بن ساقط بن ايشا بن راجيم بن سليمن
ابن داود بن ايشى بن عوبد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عميا داب بن رام
ابن حصروم بن فارص بن يهودا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمان ماية سنة
ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة
متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد
والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت
والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع
بقول امرأة عمران عليم بنيتها اذ قالت امرأت عمران رب اني نذرت لك
ما في بطني فينتصب به وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة
عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون فظن انه المراد زوجته
ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع فكان
يحيى وعيسى ابني خالة من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينا هي في ظل شجرة
اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته وقالت اللهم ان لك علي نذرا
ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم
وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان فلعلها بنت الامر
على التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة

ونصبه على الحال **محررا** ما نذرته **إنك أنت السميع العليم** بقولي ونيتي **فلما وضعتها**
قالت رب إني وضعتها أنثى الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كان انثى وجاز
انتصاب انثى حالا عنه لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على
تاويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالت تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجوا
ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره **والله أعلم بما وضعت** اي بالشيء الذي وضعت
وهو استيناف من الله تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها وقرا ابن عامر
وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اي ولعل لله
فيه سرا والانثى كان خيرا وقرئ وضعت على خطاب الله لها **وليس الذكر كالأنثى**
بيان لقوله والله اعلم اي وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما
للعهد ويجوز ان يكون من قولها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه
وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم
بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة **وإني أعيذها بك**
اجيرها بحفظك **وذريتها من الشيطان الرجيم** المطرود واصل الرجم الرمي
بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد
فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود
بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة
فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر **بقبول حسن** بوجه حسن يقبل به
النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح
للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها
عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم
وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤوس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا
انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا
الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز
ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى
استقبل كتقضى وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن
وأنبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها **وكفلها**
زكريا شددها الفاحرة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن
عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها
وخفف الباقون ومدوا زكريا مرفوعا **كلما دخل عليها زكريا المحراب** اي الغرفة التي
بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان
كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس **وجد عندها رزقا** جواب كلما وناصبه

روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب وكان يجد
عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس **قال يا مريم أنى لك هذا** من اين لك هذا
الرزق الاتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء
وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر **قالت هو من عند الله** فلا تستبعد
قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة **إن الله**
يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو
يحتمل ان يكون من كلامهما وان يكون من كلام الله روي ان فاطمة رضي الله عنها اهدت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت
الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق
من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع
عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها **هنالك دعا**
زكريا ربه في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى
كرامة مريم ومنزلتها عند الله **قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة** كما وهبتها
لحنة العجوز العاقر وقيل لما راى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر
من الشيخ فسال وقال رب هب لي من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب
المعهودة **إنك سميع الدعاء** مجيبه فناداه بالامالة والتذكير **فنادته الملائكة**
اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبريل وحده وقرا حمزة
والكسائي فناداه بالامالة والتذكير **وهو قائم يصلي في المحراب** اي قائما في الصلاة
ويصلي صفة قائم او خبر او حال عن الضمير في قائم **أن الله يبشرك بيحيى** اي بان الله
وقرا نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرا حمزة والكسائي
يبشرك من بشر ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل **مصدقا**
بكلمة من الله اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات
التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته **وسيدا**
يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم في انه ما هم بمعصية **وحصورا** مبالغة
في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب
فقال ما للعب خلقت **ونبيا من الصالحين** ناشئا منهم او كائنا من عداد من لم يات
كبيرة ولا صغيرة **قال رب أنى يكون لي غلام** استبعادا من حيث العادة او استعظاما
وتعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه **وقد بلغني الكبر** ادركني كبر السن واثر في
وكان له تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون **وامرأتي عاقر** لا تلد من العقر
وهو القطع لانها ذات عقر من الولادة **قال كذلك الله يفعل ما يشاء** اي يفعل
ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر وكانت

عليه وذلك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدا وخبر اي الله
على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر محذوف اي الامر كذلك والله
يفعل ما يشاء بيان رب اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة
بالشكر وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام
ان لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص
المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكانه قال آيتك ان تحبس لسانك الا عن
مكالمتهم خالصة ليخلص المدة للشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال إلا رمزا
اشارة بنحو يد او رأس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع
وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز ورمزا
كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله • متى ما تلقني
فردين ترجف روانف الاليتين وتستطارا واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة
وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد
التكرار وسبح بالعشي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب
الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة
جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك
واصطفاك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم
ان ذلك معجزة زكريا او ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ
امرأة لقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول
تقبلها من امها ولم يتقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة
عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة
اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود
بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي
واركعي مع الراكعين امرت بالصلاة بالجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة
عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو
لا توجب الترتيب او ليقترن اركعي مع الراكعين للايذان بان من ليس في صلاتهم
ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله امن هو قانت
آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلاة كقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع
والاخبات ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب
التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع
وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة تبركا والمراد تقرير
كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقايع المشاهدة والسماع

وعدم

وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان
ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم
اي يلقونها ليعلموا او ليقولوا ايهم يكفل وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا
في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاول وما بينهما اعتراض
او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك
لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن
مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه
المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره
من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض
يعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تمييز الاسما
نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدا فانه اسم جنس مضاف
ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم
علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدا محذوف وابن
مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب
اذ الاولاد تنسب الى الآباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا
والآخرة حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها
تذكير للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة ومن المقربين
من الله وقيل اشارة الى علو درجته او رفعه الى السما وصحبة الملائكة •
ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبيا
من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع
شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشادا الى انه
بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي في
يكلم قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب او استبعاد عادي
او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل
جبريل او الله وجبريل حكى لها قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن
فيكون اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشيا مدرجا من غير اب ويعلمه
الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل كلام مبتدا ذكر تطييبا لقلبها
وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف
على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان
لفضلهما ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بآية من ربكم منصوب بمضمر
على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال

باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة

المقترنة متضمنا معنى النطق وكأنه قال ناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل
لخصوص بعثته او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق لكم من الطين
كهيئة الطير نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل اية او رفع على هي اني اخلق
لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في
ذلك المماثل فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به على ان احياءه
من الله لا منه وابرئ الاكمه والابرص الذي ولد اعمى او الممسوح العين روي
انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى
ولم يداوي الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم الالوهية
فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في
بيوتكم بالمغيبات من الاحوال التي لا تشكون فيها ان في ذلك لاية لكم ان
كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق
غير معاندين ومصدقا لما بين يدي من التوراة عطف على رسولا على الوجهين
او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي قد جئتكم مصدقا ولاحل لكم
مقدر باضماره او مردود على قوله قد جئتكم باية او معطوف على معنى مصدقا
كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذي حرم عليكم في شريعة موسى
كالشحوم والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا
لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتوراة كما لا يعود نسخ القران بعضه
ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان
وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهو قوله
ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبي
والساحر او جئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون
اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية بعد
اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب
عليه بالفاء قوله فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات القاهرة والايات الباهرة
فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها
بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد
الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه
بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان
الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام
قل امنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق

ما يدرك بالحواس من انصاري الى الله ملتجئا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه
ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اي من الذين يضيفون
انفسهم الى الله في نصرتي وقيل الى هاهنا بمعنى مع او في او اللام قال الحواريون
حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات
لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم
وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى على اليهود وقيل قصارون يحورون
الثياب اي يبيضونها نحن انصار الله اي انصار دينه امنا بالله واشهد بانا
مسلمون لتشهد لنا يوم القيامة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا امنا
بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الشاهدين
بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد صلى الله عليه وسلم
فانهم شهداء على الناس ومكروا اي الذين احس عيسى منهم الكفر من اليهود
بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من
قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره
الى مضرة لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين
اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر
الله او خير الماكرين او المضمر مثل وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك
ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت
مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن
العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه
ذهبت النصارى ورافعك الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا
من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة
يعلونهم بالحجة او بالسيف في غالب الامر ومتبعوه من امن بنبوته من المسلمين والنصارى والى
الان لم تسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الي مرجعكم الضمير
لعيسى ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطب على الغائبين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون
من امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من
ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم اجورهم تفسير الحكم وتفصيل
له والله لا يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو
مبتدأ خبره نتلوه عليك وقوله من الايات حال من الهاء ويجوز ان يكون نتلوه
حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه
والذكر الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به القران
وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم ان شأنه الغريب كشأن ادم خلقه من تراب

جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق ادم من التراب
بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق
قالبه من التراب ثم قال له كن اي انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا اخر او قدر
تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر والمخبر فيكون حكاية
حال ماضية الحق من ربك خبر مبتدا محذوف اي هو الحق وقيل مبتدا ومن ربك
خبره اي الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين خطاب للنبي على طريق التهييج
لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما
جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالراي والعزم
ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل اي يدع
كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها
الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت
الناقة اذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف على فيه
فيه بيان روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب
وكان ذا رايهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في
امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم
فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين اخذا
بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا
فقال اسقفهم يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل
جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وبذلوا له الجزية الفي حلة حمراء وثلثين درعا من حديد فقال عليه السلام
والذي نفسي بيده لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي
نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته
وفضل من اتى بهم من اهل بيته ان هذا ما قص من نبا عيسى ومريم لهو القصص
الحق بجملتها خبر ان وهو فصل يفيد ان ما ذكره من شان عيسى ومريم حق دون
ما ذكروه وما بعده خبره واللام دخلت لانه اقرب الى المبتدا من الخبر واصلها
ان تدخل على المبتدا وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق
تاكيدا للرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد
سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية
فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد ووضع المظهر موضع المضمر
ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد
المودي الى فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين

وقيل يريد وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف
فيها الرسل والكتب ويفسرها ما بعدها الا نعبد الا الله اي نوحده بالعبادة
ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه
اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن الله
ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم
بعضنا بشر مثلنا روي انها لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون
فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا
بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا دونكم او اعترفوا بانكم كافرون
بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى في هذه القصة
من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاور
عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما راى
عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها
وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم
بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد
ذلك ايضا عليهم وعلم ان الايات والنذر لا تغني عنهم اعرض عنهم وقال اشهدوا بانا
مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل
الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم وزعم كل فريق انه منهم وترافعوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثت
بنزول التوراة والانجيل على موسى وعيسى وكان ابراهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين
فكيف يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما
لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم
التي غفلوا عنها وانتم مبتدا وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى
اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه
في التوراة والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به
ولا ذكر في كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل انتم اصله
اانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه
وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة
مسلما منقادا لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما
كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين

انهم على ملة ابراهيم ان اولى الناس بابراهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو
القرب للذين اتبعوه من امته وهذا النبي والذين امنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع
لهم على الاصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم
والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل
الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى
اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود
وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون الا امثالهم وما يشعرون
وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله بما نطقت
من التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وانتم تشهدون
انها ايات الله او بالقران وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات
انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورته
او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون
الحق مع الباطل كقوله كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد ونعته
وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي
انزل على الذين امنوا وجه النهار اي اظهروا الايمان بالقران اول النهار واكفروا
اخره لعلهم يرجعون واكفروا به اخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم
لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما
لما حولت القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار
وصلوا الى الصخرة اخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل
اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا اخره
نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التوراة لعل
اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق
الا لاهل دينكم ولا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان
رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي به من يشاء الى الايمان
ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان
يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان
يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد
ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله ان الهدى هدى الله
اعتراض على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى
وقراءة ابن كثير ءان يؤتى على الاستفهام للتقريع يؤيد الوجه الاول اي لان يؤتى احد
دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع

دينكم

دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على
ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا
حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو
الفضل العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب
من ان تامنه بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا
ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص
بن عازوراء استودعه قرشي اخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى
اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة
وقرأ حمزة وابو بكر وابو عمرو يؤده اليك ولا يؤده اليك باسكان الهاء وقالون
باختلاس كسرة الهاء وكذا روي عن هشام والباقون باشباع الكسرة الا ما دمت
عليه قائما الا مدة دوامك قائما على راسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي
والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده بانهم
قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي ليس علينا في شان من ليسوا
من اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ويقولون على الله الكذب بادعائهم
ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا
لم يجعل لهم في التوراة حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم
فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي
عليه الصلاة والسلام انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية
الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه
اي بلى عليهم فيه سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استئناف
مقرر للجملة التي سدت مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب عن الراجع
من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات
والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا
عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم بما حلفوا به من قولهم والله
لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم
الله بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة يسالونهم يوم القيامة او لا ينتفعون
بكلمات الله واياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم
يوم القيامة فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه
والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم
ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوه قيل انها نزلت في احبار حرفوا التوراة

وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة
وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به
وقيل في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه
الحلف على اليهودي **وان منهم لفريقا** يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي **يلوون
السنتهم بالكتاب** يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف
او يعطفونها بشبه الكتاب يلوون على قلب الواو همزة ثم تخفيفها بحذفها والقا
حركتها على الساكن قبلها **لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب** الضمير للمحرف
المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه باليا والضمير للمسلمين **ويقولون هو من
عند الله وما هو من عند الله** تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان
لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضي ان
فعل العبد فعل الله **ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** تاكيد وتسجيل عليهم
بالكذب على الله والتعمد فيه **ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم
والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله** تكذيب ورد على عبدة
عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك
ونتخذك ربا قال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نامر بغير عبادة الله فما بذلك
بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على
بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا
نبيكم واعرفوا الحق لاهله **ولكن كونوا ربانيين** ولكن يقول كونوا ربانيين
والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل
في العلم والعمل **بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** بسبب كونكم
معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة
الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى
عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم
وكرم ويجوز ان تكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه
على الناس **ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا** نصبه ابن عامر
وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول وتكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي
في قوله ما كان اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر
باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا يامر
باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف
ويحتمل الحال **ايامركم بالكفر** انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله **بعد اذ انتم مسلمون**
دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجدوا له **واذ اخذ الله ميثاق**

رجل

النبيين

**النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به
ولتنصرنه** قيل انه على ظاهره واذا كان حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه
انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل
اضافة الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه
الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل
وسماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب
والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف
وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية
وقرا حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم
مجيء رسول مصدق له اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى
اخذه للذي اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين اتيتكم
او لمن اجل ما اتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلث
استثقالا وقرا نافع اتيناكم بالنون واللام جميعا **قال ااقررتم واخذتم على ذلكم
اصري** اي عهدي سمي به لانه يوصر اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر
وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به **قالوا اقررنا قال فاشهدوا** اي فليشهد
بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة **وانا معكم من الشاهدين**
وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم **فمن تولى بعد
ذلك** بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة **فاولئك هم الفاسقون** المتمردون
من الكفرة **افغير دين الله يبغون** عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة
بينهما للانكار او محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم
المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في
رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم **وله اسلم من في
السموات والارض طوعا وكرها** اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين
بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على
الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين او مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون
ان يمتنعوا عما قضي عليهم **واليه ترجعون** وقرئ بالياء على ان الضمير لمن **قل امنا
بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون** امر للرسول بان يخبر عن نفسه
ومتابعيه بالايمان والقران كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم
وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة
الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق

وانما قدم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل لانه هو المعرف له والعيار عليه لا نفرق
بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون في
عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى
فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين اي الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض
عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة
التي فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب
انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدي الله
قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم
الله فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار
له وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل
ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار
باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه
اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز
لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون
عن الهدى مايوسون عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون
او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه
خالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد
واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح حين ندم
على توبته فان الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل عليه قيل انها نزلت في الحارث
ابن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه
الجلاس بالآية فرجع الى المدينة ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا
كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد ما آمنوا به قبل مبعثه
ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق
او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع
اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا
اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا
لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون الثابتون
على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا

تغليظا

٨٦

تغليظا في شانهم وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع
قبول الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملؤه وذهبا نصب على التمييز وقرئ
بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل
من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل
من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة
او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه
والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم
مبالغة في التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من
ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة
البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا
مما تحبون اي من المال او مما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعته
والمهجة في سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي
بيرحا فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح او رائح واني ارى ان
تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذا في سبيل الله
فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة فقال زيد انما اردت ان اتصدق به
فقال عليه الصلاة والسلام ان الله قبلها منك وذلك يدل على انفاق احب الاموال
على اقرب الاقارب افضل وان الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون
وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شيء من اي شيء محبوب او غيره
ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم عليه كل الطعام اي المطعومات والمراد اكلها
كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث قال تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل على نفسه كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق
النسا فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احب اليه وقيل فعل ذلك للتداوي
باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فهو
كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التوراة اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم
عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعي
عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذي ظفر الآيتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح
وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ قل فاتوا
بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه
قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي انه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم بهتوا
ولم يجسروا على ان يخرجوا التوراة وفيه دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب

الربع لن تنالوا

ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التوراة على بني اسرائيل ومن قبلهم **من بعد**
ذلك من بعد ما لزمهم الحجة **فاولئك هم الظالمون** الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون
الحق بعدما وضح **قل صدق الله** تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل
وانتم الكاذبون **فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا** اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة
ابراهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة
لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها لابراهيم ومن تبعه
وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة
في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود **ان اول بيت وضع**
للناس اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه
قرئ على البناء للفاعل **للذي ببكة** للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط
وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هي بكة موضع المسجد ومكة البلد من بكه
اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روي انه صلى الله عليه وسلم
سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل عن كم بينهما فقال
اربعون سنة وقيل اول من بناه ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة
ثم قريش وقيل اول من بناه ادم عليه الصلاة والسلام فانطمس في الطوفان ثم بناه
ابراهيم وقيل كان في موضعه قبل بنائه ادم عليه الصلاة والسلام بيت يقال له
الضراح تطوف به الملائكة فلما اهبط ادم امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في
الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الاية وقيل المراد
به اول بالشرف لا بالزمان **مباركا** كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف
دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف **وهدى للعالمين** لانه قبلتهم
ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة كما قال **فيه ايات بينات** كانحراف الطيور
عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في
الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهر كاصحاب الفيل والجملة مفسرة
للهدى او حال اخرى **مقام ابراهيم** مبتدا محذوف خبره اي منها مقام ابراهيم
او بدل من ايات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالايات اثر القدم
في الصخرة وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقائه
دون سائر اثار الانبيا وحفظه مع كثرة اعدائه الف سنة ويؤيده انه قرئ
اية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على
هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه **ومن دخله كان امنا**
جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام ابراهيم لانه في
معنى امن من دخله اي ومنها امن من دخله او فيه ايات بينات مقام ابراهيم

وامن

وامن من دخله اقتصر بذكرهما من الايات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه
الصلاة والسلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنسا وقرة عيني في الصلاة
لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب
يوم القيامة قال عليه الصلاة والسلام من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة
امنا وعند ابي حنيفة من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض له ولكن
الجي الى الخروج **ولله على الناس حج البيت** قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرا
حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد **من استطاع اليه**
سبيلا بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد
والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي انها بالمال ولذلك اوجب النيابة على الزمن اذا وجد
اجرة من ينوب عنه وقال مالك رحمه الله تعالى انها بالبدن فيجب على من قدر على
المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى انها بمجموع الامرين
والضمير في اليه للبيت او للحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيله **ومن كفر فان الله**
غني عن العالمين وضع كفر موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا
وقد اكد امر الحج في هذه الاية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر
وابرازه في الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله تعالى
في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام
وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر
الاستغنا في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين
بدل عنه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغنا عنه بالبرهان والاشعار
بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال
والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روي انه لما نزل صدر الاية جمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به
ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر **قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات**
الله اي باياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من
وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم
وان زعموا انهم يؤمنون بالتوراة والانجيل فهم كافرون بهما **والله شهيد على**
ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار
قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن كرر الخطاب والاستفهام
مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في
نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه المامور بسلوكه وهو الاسلام

تكفرون
كافرون

قيل كانوا يفتنون المومنين ويحرشون بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا
لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو اي باغين طالبين لها
اعوجاجا بان يلبسوا علي الناس ويوهمون ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة
رسول الله صلي الله عليه وسلم ونحوهما او بان يحرشوا بين المومنين لتختلف كلمتهم
ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم
عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل
عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الاية الاولي كفرهم وهم يجهرون به ختمها
بقوله والله شهيد ولما كان في هذه الاية صدهم للمومنين عن الاسلام وكانوا يخفونه
ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا
من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الاوس
والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تألفهم
واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم
بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا
وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلين خلق عظيم فتوجه اليهم
رسول الله صلي الله عليه وسلم واصحابه وقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ
اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من
الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا
وانصرفوا مع الرسول صلي الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ما امر الرسول بان يخاطب
اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم ويكلمهم
وكيف تكفرون وانتم تتلي عليكم ايات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم
في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الي الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله
ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره فقد هدي الي صراط مستقيم
فقد اهتدي لا محالة يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب
منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا
ما استطعتم وعن ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصي ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسي
وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر
تاكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية قلبت واوها المضمومة تاء
كما في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن علي حال سوي
حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه
بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخري وقد يتوجه نحو المجموع منهما وكذلك النفي
واعتصموا بحبل الله بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه الصلاة والسلام

القران حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب النجاة عن الردي
كما ان التمسك بالحبل سبب السلامة عن التردي وللوثوق به والاعتماد عليه والا
[عتصام] ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع
الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا
او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من
جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المودي الي التاليف وزوال الغل اذ كنتم اعداء
في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحا[بين]
مجتمعين علي الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما
العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتي اطفأها الله تعالي بالاسلام
والف بينهم برسوله صلي الله عليه وسلم وكنتم علي شفا حفرة من النار مشفين علي
الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار
فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او النار او للشفا وتانيثه لتانيث
ما اضيف اليه او لانه بمعني الشفة فان شفا البير وشفتها طرفها كالجانب والجانبة
واصله شفو فقلبت الواو في المذكر وحذفت في المونث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم
اياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم علي الهدي وازديادكم فيه ولتكن
منكم امة يدعون الي الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض
لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ
للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب
وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل علي انه
واجب علي الكل حتي لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا
كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعني وكونوا امة تامرون كقوله كنتم خير امة
اخرجت للناس تامرون بالمعروف والدعاء الي الخير يعم الدعاء الي ما فيه صلاح ديني
او دنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص علي العام
للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح روي انه عليه السلام
سئل من خير الناس فقال امرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم [للرحم]
والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا علي حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب
كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب عليه ان ينهي عما يرتكبه
لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الاخر ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصاري اختلفوا في التوحيد والتنزيه
واحوال الاخرة علي ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات الايات والحجج المبينة
للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق في الاصول

دون الفروع لقوله عليه الصلاة والسلام اختلاف امتي رحمة ولقوله عليه الصلاة والسلام
من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم وعيد
للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب
بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور
بهجة السرور وكآبة الخوف وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق
البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين
اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم
والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا به
حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والايات فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت
وجوههم ففي رحمة الله نعيم الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة
تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته
وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه
حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد كانه
قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده
نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل
الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه
المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع
الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعد كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما
مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل
كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهرت
لهم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة
او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به
انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه
ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا
بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الاية على ان الاجماع حجة لانها
تقتضي كونهم آمرين بكل معروف ناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق
فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو آمن اهل الكتاب ايمانا
كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان مما عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام
واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها

امراهانة

واردتان

واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد
وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون
ثم لا يكن احد ينصرهم عليكم او يدفع باسكم عنهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز
والخذلان نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاتلوا مولوا القتال
كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه تكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا
على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية
من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان ذلك لقريظة والنضير وبني قينقاع
ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل
والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء
من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او متلبسين
بذمة الله او كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين او بدين الاسلام واتباع سبيل المؤمنين
وباؤا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة
بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة
الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله
ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء ذلك اي الكفر
والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله
فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل
معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم
وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا
سواء في المساوي والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة قائمة استئناف
لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين
اسلموا منهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يتلون القرآن في تهجدهم
عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل
المراد صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه عليه الصلاة والسلام
اخرها فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر
الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات اخر لامة وصفهم بخصائص
ما كانت في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون
في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون
عن الخيرات واولئك من الصالحين اي الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت
احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وما يفعلوا من خير فلن يكفروه فلن

بقوله

ينبغي

ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين
لتضمنه معنى الحرمان والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ
الخير وحسن العمل فان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغنا فيكون مصدرا
واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة
قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء او خوفا في هذه الحيوة الدنيا كمثل
ريح فيها صر برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في
الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد اصابت
حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك
عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر
فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة في الدنيا والاخرة وهو من التشبيه المركب
ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل
مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اي ما ظلم
المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة
او لكن اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف
الا في الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
بطانة وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب
كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار والناس دثار من دونكم
من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اي
بطانة كائنة من دونكم لا يالونكم خبالا لا يقصرون لكم في الفساد والالو
التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدي الى مفعولين كقولهم لا الوك نصحا
على تضمين معنى المنع او النقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة
الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم اي في
كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما تخفي صدورهم اكبر
مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب
الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين
لكم والجمل الاربع مستانفات على التعليل ويجوز ان يكون الثلاث
الاول صفة لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اي انتم
اولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم
في موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد
تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل

يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتاب كله وهو
حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما
بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب
منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا امنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا
عليكم الانامل من الغيظ من اجله تاسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي
سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة
الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم
من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو
اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم
ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم
ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي
عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم
من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على
مشاق التكليف وتتقوا موالاتهم وما حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا
بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب
بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا على الخصم وضمة الراء للاتباع
كضمة مد وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره
ان الله بما يعملون محيط من الصبر والتقوى وغيرهما محيط علمه فيجازيكم
بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم فيعاقبهم عليه واذ غدوت
اي واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة عائشة تبوئ المؤمنين تنزلهم
او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن
له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى في مقعد
صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم
روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة
فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي ولم يدعه
قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما
خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت
فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم
النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج
فقال عليه السلام رايت بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب
سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها

المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم
الله بالشهادة يوم احد اخرج يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس
لامته فلما راوا ذلك ندموا على مبالغتهم فقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت
فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة واصبح
بشعب احد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى
صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا
اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت طائفتان منكم
بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا
تجبنا وتضعفا روي انه عليه الصلاة والسلام خرج في زهاء الف رجل ووعدهم
النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابي بثلثمائة وقال علام نقتل
انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله في نبيكم
وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم
الله تعالى فمضوا مع رسوله فالظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما
اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما
يفشلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم
كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم التوكل
وبدر ما بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من
الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة
المراكب والسلاح فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون ما انعم عليكم بتقواكم
من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه
سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان
قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا
عن الغنائم وخالفوا امر الرسول لم تنزل الملائكة الن يكفيكم ان يمدكم
ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما
جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة
العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف من الملائكة ثم صاروا
ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة وقرا ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير
او للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر
والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا وياتوكم
اي المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر من
فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي

والمعنى

والمعنى ان ياتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة في حال اتيانهم
بلا تراخ وتاخير مسومين معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيما الشيء لقوله
عليه الصلاة والسلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين
من التسويم بمعنى الاسامة وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو
وما جعله الله وما جعل امدادكم الا بشرى لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به
ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو
تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعدهم به بشارة لهم
وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب وحثا على ان لا يبالوا
بمن تاخر عنهم العزيز الذي لا يغالب في قضيته الحكيم الذي ينصر ويخذل بوسط
وغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق
بنصركم او وما النصر اذ كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض
واسر اخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم
او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب واو للتنويع لا
للترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الآمال ليس لك من الامر شيء
اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك
امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا
وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد مامور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون
معطوفا على الامر او شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من
تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعنى
الا ان اي ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتتشفى
منهم وروي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح
الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم
ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا
التعذيب بظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض صريح في نفي وجوب التعذيب
والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء
عليهم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات
مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه
زيادة اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرا ابن كثير وابن عامر
ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح
واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم
وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا الله

والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة
ولعل وعسى في امثال ذلك للتعليل عزه التوصل الى ما جعل خبرا وسارعوا بادروا واقبلوا
الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرا نافع وابن عامر
سارعوا بلا واو وجنة عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضهما وذكر العرض
للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع
سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل
على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة
او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء في حال الرخاء والشدة او الاحوال
كلها اذ الانسان لا يخلو من مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق
ما قدروا عليه من قليل وكثير والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه
مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت راسها وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن
الناس التاركين عقوبة من استحقوا مواخذته وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء
في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين
يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فتكون الاشارة اليهم والذين اذا فعلوا
فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان
وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم
النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا
لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض
بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار
والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين
لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون
حال من يصروا اي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من
ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به
وجملة مستانفة مبينة لما قبلها ان عطفت على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم
من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات
على الاول يدل على ان ما لهم دون ما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة
في الاية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل ايتهم بان بين انهم محسنون
مستوجبون محبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص
بمكارمه وفصل اية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره
كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير

ولعل

ولعل لفظ الجزاء والاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين
ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقايع سنها الله في الامم المكذبة
كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال الشاعر
من فضل كفضلكم ولا ارى مثله في سالف السنن فسيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من اثار هلاكهم هذا بيان للناس وهدى
وموعظة للمتقين اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه
بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين
وقوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القران ولا تهنوا ولا تحزنوا
تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا
على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم
لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم
اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة
فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح
ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون ان يمسسكم قرح
فقد مس القوم قرح مثله قرا حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون
بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها
والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا
ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل
كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول عليه السلام
وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى
كقوله فيوما لنا ويوما علينا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال
داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها تحتمل الخبر والحال
والمراد بها اوقات النصر والغلبة وليعلم الله الذين امنوا عطف على علة محذوفة اي
نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب
المؤمن فيه من المصالح اما لا يعلمه او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز
الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه
ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان
وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم
شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد ويتخذ منكم شهودا معدلين
بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون
خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض فيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافر

93

عاقبة

على الحقيقة وانما يعلمهم احيانا استشهدوا اجالهم وابتلا للمومنين وليمحص الله الذين امنوا
ليطهرهم ويصفيهم ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت
عليهم والمحق نقص الشي قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه
الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا والفرق بين لما
ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرى بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت
النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرى بالرفع على ان
الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت
اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا
بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء
بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه
وتعرفوا شدته فقد رايتموه وانتم تنظرون اي فقد رايتموه معاينين له حين
قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الموت وتسببوا
لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل
افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم
عن الدين بخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به
وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم
على اعقابهم بعد وفاته روي انه لما رمي عبد الله بن قمية الحارثي رسول الله
بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان
صاحب الراية حتى قتله ابن قمية وهو يرى انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال
قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفا الناس وجعل الرسول
يدعو الي عباد الله فانحاز اليه ثلثون رجلا من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين
وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان م
وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال
انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد لا يموت
وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك
مما يقولون وابرا اليك منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ومن ينقلب
على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين
على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله
الا بمشيته تعالى او باذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا
مسمى في علمه تعالى وقضايه لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام

عن

عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول بالحفظ وتاخير
الاجل كتابا مصدر موكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له اي موقتا لا يتقدم
ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا نوته منها تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد
فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما راى الرماة ذلك
اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورايهم فهزموهم
ومن يرد ثواب الاخرة نوته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا
نعمة الله فلم يشغلهم شي عن الجهاد وكاين اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم
والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرا ابن كثير وكاين ككاع ووجهه انه قلب
قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كياين ثم حذفت الياء الثانية
للتخفيف ثم ابدلت الياء الفا كما ابدلت في طاي من نبي بيان له قاتل معه ربيون
كثير ربانيون علما اتقيا وعابدون لربهم ويعقوب قتل واسناده الى ربيون
وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرا ابن كثير
ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل بالتشديد وقرى ربيون بالفتح على الاصل
وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله
فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي عليه السلام وما ضعفوا عن
العدو او في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون
لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون
من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم
عند الارجاف بقتله عليه السلام والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم
وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت
اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين
وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم
هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت
في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب
الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة
النسبة وزمان الحدث فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب
الاخرة والله يحب المحسنين فاتاهم الله بسبب الاستغفار واللجا الى
الله تعالى النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الاخرة
وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده يا ايها الذين
امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين
نزلت في قول المنافقين للمومنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم وقيل

كع عن خ

ياء ثبتت م

ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستامنوهم
يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى
موافقتهم **بل الله مولاكم** ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم
وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره **سنلقي في**
قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا
القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر
القابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض
الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستاصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم
وقرا ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل القران **بما اشركوا**
بالله بسبب اشراكهم به **ما لم ينزل به سلطانا** اي الهة ليس على اشراكها
حجة ولم ينزل به عليهم سلطان وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة
القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان **ومأواهم النار وبئس**
مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل **ولقد صدقكم**
الله وعده اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف
الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم بالنبل والباقون يضربونهم بالسيف
حتى انهزموا والمسلمون على اثارهم **اذ تحسونهم باذنه** تقتلونهم من احسه اذا ابطل
حسه **حتى اذا فشلتم** جبنتم وضعف رايكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من
ضعف العقل **وتنازعتم في الامر** يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون
فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال اخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه
اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله **وعصيتم**
من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا
محذوف وهو امتحنكم **منكم من يريد الدنيا** وهم التاركون المركز للغنيمة
ومنكم من يريد الاخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول **ثم صرفكم عنهم** ثم
كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم **ليبتليكم** على المخالفة **ولقد عفا عنكم** تفضلا
ولما علم من ندمكم على المخالفة **والله ذو فضل على المؤمنين** يتفضل عليهم بالعفو
او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلا ايضا رحمة **اذ تصعدون**
متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في
الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة **ولا تلوون على احد** لا يقف احد لاحد
ولا ينتظره **والرسول يدعوكم** كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله
من يكر فله الجنة **في اخراكم** في ساقتكم وجماعتكم الاخرى **فاثابكم غما**
بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم والمعنى

فجازاكم

فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر
المشركين والارجاف بقتل الرسول او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه الرسول بعصيانكم
له لتتمرنوا على الصبر على الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق
وقيل لا مزيدة والمعنى لتاسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة او على ما اصابكم
من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول اي فاساكم في
الاغتمام بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية
لكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة **والله خبير**
بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم بها **ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة**
نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس
في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه والامنة الامن
نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول
له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع امن كبار وبررة وقرئ امنة
بسكون الميم كانها المرة من الامن **يغشى طائفة منكم** اي النعاس وقرا حمزة
والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة هم المؤمنون حقا **وطائفة** هم المنافقون
قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها
يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة او حال او استئناف
على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اي يظنون بالله غير الظن الحق
الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالجاهلية اهلها
يقولون لرسول الله وهو بدل من يظنون **هل لنا من الامر من شيء** هل لنا مما امر
الله ووعد من الامر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج
فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق
لنا من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شيء **قل ان الامر**
كله لله اي الغلبة الحقيقية لله واوليائه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء
له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرا ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على
الابتدا **يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك** حال من ضمير يقولون اي يقولون
مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب
يقولون اي في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون او استئناف على وجه
البيان له **لو كان لنا من الامر شيء** كما وعد محمد عليه السلام او زعم ان الامر كله لله
ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان راي ابن ابي وغيره
ما قتلنا ههنا لما غلبنا او لما قتل من قتل منا في هذه المعركة **قل لو كنتم**
في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله

عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفع الاقامة بالمدينة ولم ينج
منه احد فانه قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله
ما في صدوركم وليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق
وهو علة فعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف اي لبرز لنفاذ
القضا او لمصالح جمة وللابتلا او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم
وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفياتها
قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلا وانما فعل ذلك لتمرين
المومنين واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم
الشيطان ببعض ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم
ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة
او على الحياة بمخالفة النبي فمنعوا التاييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان
توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة
وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج
من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب
حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا
يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم في النسب
او المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها
وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى جمع
غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو
يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق
بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا
اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم
خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي
اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفا كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم
ومضادتهم مما يغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحياة
والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم
والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمومنين على ان يماثلوهم وقرا ابن كثير
وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله
او متم اي متم في سبيله وقرا نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات
لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزا
والمعنى ان السفر والغزا ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيله

فما تنالون من الرحمة والمغفرة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا
وقرا حفص بالياء ولئن متم او قتلتم اي على اي وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون
لا الى معبود غيره الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون
فيوفي جزاكم ويعظم ثوابكم وقرا حمزة ونافع والكسائي متم فبما رحمة من الله لنت
لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله
وهو ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو
كنت فظا سيء الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا
عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم
في الامر اي في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برايهم
وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك
على شي بعد المشاورة فتوكل على الله في امضا امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه
سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي فاذا عزمت لك على شي او عينته لك فتوكل علي
ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح
ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم
كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله
بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض
على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل
المومنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وامنوا به وما كان
لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل
شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية والمراد منه اما براة
الرسول عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمرا فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين
لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها او ظن به الرماة يوم احد حتى تركوا المركز
للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم
الغنايم واما المبالغة في النهي للرسول على ما روي انه بعث طلايع فغنم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلايع فنزلت فيكون تسمية
حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرا نافع وابن عامر
وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل على البنا للمفعول والمعنى وما صح له ان
يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة ياتي بالذي
غله يحمله على عنقه كما جا في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل
نفس ما كسبت تعطى جزا ما كسبت وافيا وكان اللايق بما قبله ان يقال ثم يوفى
ما كسبت لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان

كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب
مطيعهم ولا يزاد عقاب عاصيهم أفمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع
بسخط من الله بسبب المعاصي ومأواه جهنم وبئس المصير الفرق بينه
وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات
عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب او هم ذووا
درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم
على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على من امن مع الرسول من قومه وتخصيصهم
مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر
محذوف مثل منه او بعثه إذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او من جنسهم
عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة
مفتخرين به وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم لانه عليه الصلاة والسلام كان من
اشرف قبائل العرب وبطونهم يتلوا عليهم اياته اي القران بعد ما كانوا جهالا
لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد والاعمال ويعلمهم
الكتاب والحكمة اي القران والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي
المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان كانوا من قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم
في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة
للتقرير والتقريع والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف
مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف الى اصابتكم اي حين اصابتكم مصيبة وهي قتل
سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين
من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله سبحانه وتعالى النصر قل هو من عند انفسكم اي مما
اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات
والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن علي رضي الله عنه باختياركم الفداء
يوم بدر ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم
وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله
فهو كائن بقضائه وتخلية الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين
وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هولاء وكفر هولاء
وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة وكلام مبتدأ تعالوا قاتلوا في سبيل الله
او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للاخرة او للدفع عن الانفس والاموال
وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوا بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد
مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى
قتالا لاتبعناكم ولكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم

وانما

وانما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخذالهم وكلامهم هذا فانهما
اول امارة ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان
اذ كان انخذالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس
في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة
القول للافواه تاكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم
الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا
من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في بافواههم
او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد
من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا حال مقدرة بقد اي قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا
في القعود ما قتلوا كما لم نقتل وقرأ هشام ما قتلوا بالتشديد في التاء قل فادرءوا عن انفسكم
الموت ان كنتم صادقين اي ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن
كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير
مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود يكون سببا
للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في
شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرأ
هشام بالياء والتاء ايضا كالباقين على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا
والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدا جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر
قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء
عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين بما آتاهم
الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله والتمتع
بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم
المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف
عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الاخرة
وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حياة لا يكدرها
خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والاية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس
بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه
ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها الاية وما روي ابن
عباس انه عليه الصلاة والسلام قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار
الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير
الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيامة وانما وصفوا به في الحال لتحققه
ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على

يستبشرون

ازدياد الطاعة واجا لمن يتمنى لاخوانه مثل ما أنعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح
كرره للتأكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف عليهم ويجوز ان يكون الاول بحال
اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله
تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرها للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين
من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائي بالكسر على انه استئناف معترض
دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة
الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب
على المدح او مبتدا خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان
والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون
متقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن
معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى
بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا
على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت
الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم من عبد القيس او نعيم بن مسعود
الاشجعي فاطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس
واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
يعني ابا سفيان واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم
بدر القابل ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله فلما كان القابل خرج في اهل
مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب
من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا
المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا
من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت
منكم احد الا شريد افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه
الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين
راكبا كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول
او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم
لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا
حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص
ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل
صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة

الايمان ولذا ان لم تجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج وقالوا
حسبنا الله محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه
لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل ونعم الموكول
اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة
فيه وفضل ربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا
لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز
بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت
وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراءة على
العدو وبالحفظ عن كل ما يسوؤهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة
منه وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به
انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما
بعده بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبر ويجوز ان تكون الاشارة الى قوله
على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين
عن الخروج مع الرسول او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم
الضمير للناس الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني وخافون في مخالفة امري
وجاهدوا مع رسولي ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف
الناس ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم
المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان
يضروك ويعينوا عليك انهم لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم
في الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر وقرأ نافع
يحزنك بضم الياء وكسر الزاي حيث وقع ما خلا قوله لا يحزنهم الفزع
الاكبر فانه على فتح الياء وضم الزاي فيه والباقون كذلك في الكل يريد الله ان
لا يجعل لهم حظا في الاخرة نصيبا من الثواب في الاخرة وهو يدل على تمادي
طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية
حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم في
الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظا في الاخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان
عن الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم
تكرير للتأكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من
الاعراب ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم خطاب للرسول
او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد
لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم

يسمعون او المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان
الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية
فكان حقها ان تنفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع وقرا ابن كثير
وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما في حيزه
مفعول وفتح سينه في جميع القران ابن عامر وعاصم وحمزة والاملاء الامهال
واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم من املا لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء
انما نملي لهم ليزدادوا اثما استيناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام
لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح وكسر الاولى ولا يحسبن
كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير
اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب
مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين
ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب
لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم
من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة
التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس
في سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وقرا حمزة والكسائي حتى
يميز هنا وفي الانفال بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء وتشديدها والباقون بفتح
الياء وكسر الميم وسكون الياء وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي
من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب
من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات
او ينصب له ما يدل عليها فامنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه
وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله
ولا يقولون الا ما اوحي اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا
من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي انه عليه الصلاة والسلام قال
عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه
يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان
وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون
بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءات فيه على ما سبق من قرا بالتاء
قدر مضافا ليتطابق مفعولاه اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم
وكذا من قرا بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول او من يحسب وان جعله الموصول كان
المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم

بل

بل هو اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة
بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه الصلاة والسلام
ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله الا جعل الله شجاعا في عنقه يوم القيامة ولله ميراث
السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه في
سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة
والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فمجازيهم وقرا نافع وابن عامر
وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول
الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا وروي انه عليه الصلاة والسلام كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني
قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا
فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حين سال القرض فلطمه ابو بكر في وجهه وقال
لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما
قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا
وقتلهم الانبياء بغير حق اي سنكتبه في صحائف الكتبة او نحفظه في علمنا
لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله او استهزاء بالقران والرسول ولذلك
نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوها وان من
اجترى على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول وقرا حمزة سيكتب
بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء ونقول ذوقوا عذاب
الحريق اي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات
في الوعيد والذوق ادراك المطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر
المحسوسات والحالات وذكره هاهنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن
البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم
بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة الى العذاب
بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدي
عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على
ما قدمت وسببية للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي
اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي
وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا في التوراة واوصانا ان
لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار بان لا نؤمن للرسول حتى
ياتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب
بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتاكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق

وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم لأن أكل القربان لم يوجب الإيمان إلا لكونه معجزة فهو
وسائر المعجزات سواء في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم
فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين تكذيب وإلزام بأن رسلا جاءوهم قبله كزكريا
ويحيى بمعجزات أخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب
للتصديق هو الإتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الإيمان لأجله فما لهم لم يؤمنوا
بمن جاء به في معجزات أخر واجترؤوا على قتله فإن كذبوك فقد كذب رسل من
قبلك جاؤوا بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول من تكذيب
قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت
الشيء إذا حسنته والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والأحكام ولذلك
جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من
زبرته إذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر وهشام وبالكتاب بإعادة الجار للدلالة
على أنها مغايرة للبينات بالذات فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا
بالبينات وبالذي كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب
وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين كقوله ولا ذاكر الله إلا قليلا وإنما
توفون أجوركم تعطون جزاء أعمالكم خيرا كان أو شرا تاما وافيا يوم القيامة
يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بأنه قد يكون قبلها بعض الأجور ويؤيده
قوله عليه الصلاة والسلام القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار فمن
زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة في الأصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة
وأدخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته
وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه وما الحياة الدنيا
أي لذاتها وزخارفها إلا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به على
المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب بها
الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر أو جمع غار لتبلون أي والله لتختبرن
في أموالكم بتكليف الإنفاق وما يصيبها من الآفات وأنفسكم بالجهاد والقتل
والأسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والأمراض والمتاعب ولتسمعن من
الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا من هجاء الرسول
والطعن في الدين وإغراء الكفرة على المسلمين أخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا
أنفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها
وإن تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة أمر الله فإن ذلك يعني الصبر والتقوى
من عزم الأمور من معزومات الأمور التي يجب العزم عليها أو مما عزم الله عليه

أي أمر به

أي أمر به وبالغ فيه والعزم في الأصل ثبات الرأي على الشيء نحو إمضائه وإذ أخذ الله
أي اذكر وقت أخذه ميثاق الذين أوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه للناس
ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية ابن
عياش بالياء لأنهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله أخذ الله ميثاق
الذين والضمير للكتاب فنبذوه أي الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا
إليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله
نصب عينيه وإلقاؤه بين عينيه واشتروا به وأخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام
الدنيا وأعراضها فبئس ما يشترون يختارون لأنفسهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من كتم علما عن أهله ألجم بلجام من نار وعن علي رضي الله عنه ما أخذ الله تعالى على أهل
الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا
ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الأول
الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد والمعنى لا تحسبن الذين
يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من
الوفاء بالميثاق وإظهار الحق والإخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب أي فائزين بالنجاة
منه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو لا يحسبن بالياء وفتح الباء في الأول وضمها في الثاني على أن الذين
فاعل ومفعولا يحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده فكأنه قيل ولا يحسبن الذين
يفرحون بما أتوا فلا يحسبن أنفسهم بمفازة أو المفعول الأول محذوف وقوله فلا يحسبنهم
تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الأول ولهم عذاب أليم بكفرهم وتدليسهم روي أنه
عليه الصلاة والسلام سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فأخبروه بخلاف ما كان فيه
وأروه أنهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن
الغزو ثم اعتذروا بأنهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في
المنافقين فإنهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون إلى المسلمين بالإيمان الذي
لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك السماوات والأرض فهو يملك أمرهم والله على كل شيء قدير
فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم إن الله فقير إن في خلق السماوات والأرض
واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب لدلائل واضحة على وجود الصانع
ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم
كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الآية لأن مناط
الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة أنواعه فإنه إما أن يكون في ذات الشيء
كتغير الليل والنهار أو جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها أو الخارج عنه كتغير
الأفلاك بتبدل أوضاعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها

الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه دايما على الحالات كلها قايمين وقاعدين
ومضطجعين وعنه صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل
معناه يصلون على الهيات الثلاث حسب طاقتهم لقوله عليه الصلاة والسلام لعمران
ابن حصين صل قايما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء وهو
حجة للشافعي رضي الله عنه في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا
بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو
افضل العبادات كما قال عليه الصلاة والسلام لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب
والمقصود من الخلق وعنه عليه الصلاة والسلام بينما رجل مستلق على فراشه اذا
رفع راسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي
فنظر الله تعالى اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا
ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قايلين ذلك وهذا
اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما
لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضايعا من غير حكمة بل خلقته لحكمة
عظيمة من جملتها ان يكون مبدا لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على
معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك
سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار
للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفايدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم
بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار
فقد اخزيته فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان
فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية
منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع وما للظالمين من انصار اراد
بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم
النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة
لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل
على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه
على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به
الرسول وقيل القران والدعاء والنداء ونحوهما تعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء
والاختصاص ان امنوا بربكم فامنا اي بان امنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا
كبايرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سياتنا صغايرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة
عن مجتنب الكباير وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم
وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر

ادبار

قال النبي عليه السلام تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة

١٠١

او بار كارباب واصحاب ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق
رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سال ما وعد عليه خوفا من اخلاف الوعد
بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة او قصور في الامتثال وتعبدا واستكانة
ويجوز ان يتعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل
معناه على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيامة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف
الميعاد باثابة المومن واجابة الداعي وعن ابن عباس رضي الله عنه الميعاد البعث
بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو
شانها وفي الاثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله تعالى مما يخاف فاستجاب لهم
ربهم اي طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني لا اضيع
عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من ذكر او انثى بيان
عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او
لفرط الاتصال والاتحاد او للاتفاق والاجتماع في الدين وهي جملة معترضة بين بها
شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله
اني اسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الخ
تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين
هاجروا الشرك والاوطان والعشاير للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا في
سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرا حمزة
والكسائي بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثاني افضل او لان المراد لما قتل منهم
قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن
عنهم سياتهم لامحونها ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله
اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر موكد والله عنده حسن
الثواب على الطاعة قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله تعالى فلا تطع
المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب
منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر
بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض المومنين
كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا
من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل
لقصر مدته في جنب ما اعد الله للمومنين قال عليه الصلاة والسلام ما الدنيا في الاخرة
الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد
ايما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين

أنه

نُزُلًا مِنْ عِندِ اللَّهِ النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر
الضبي ● وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا ● جعلنا القنا والمرهفات له نزلا ●
وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير
انزلوها نزلا وَمَا عِندَ اللَّهِ لكثرته ودوامه خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ مما يتقلب فيه الفجار لقلته
وسرعة زواله وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ نزلت في ابن سلام واصحابه
وقيل في اربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى
فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى
عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وانما دخلت اللام
على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ من القرآن وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ
من الكتابين خَاشِعِينَ لِلَّهِ حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لَا يَشْتَرُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا كما يفعله المحرفون من احبارهم أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ
ما خصهم من الاجر ووعدوه في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين إِنَّ اللَّهَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ لعلمه بالاعمال وما تستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التأمل
والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي
سرعة الجزاء يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وَصَابِرُوا
وغالبوا اعداء الله في الصبر على شدائد الحروب واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى
وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته وَرَابِطُوا ابدانكم وخيولكم في الثغور
مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام من الرباط انتظار
الصلاة بعد الصلاة وعنه من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه
لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ واتقوا الله
بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل
المقامات الثلاث المترتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس
في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها
بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة آل عمران اعطي
بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلاة والسلام من قرا السورة التي
يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس والله اعلم

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يَا أَيُّهَا النَّاسُ خطاب يعم بني آدم اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي
خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ هي آدم وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا عطف على خلقكم اي خلقكم
من شخص واحد وخلق منه امكم حوا من ضلع من اضلاعه او محذوف تقديره من نفس

واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة
منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة
تقتضي ان يكن اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه
القصة لما فيها من الدلالة على القدرة الظاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة
الباهرة التي توجب طاعة موليها او لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل
بحقوق اهل منزلته وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ وخالق
وباث على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
اي يسأل بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء
في السين وقرا حمزة وعاصم والكسائي بطرحها وَالْأَرْحَامَ بالنصب عطف على محل
الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام
فصلوها ولا تقطعوها وقرا حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه
كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما
يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان
منه وعنه عليه الصلاة والسلام الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله
الله ومن قطعني قطعه الله إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا حافظا مطلعا وَآتُوا الْيَتَامَىٰ
أَمْوَالَهُمْ اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد
ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتايم ثم قلب
فقيل يتامى او على انه جمع على يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على
يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن
العرف خصصه بمن لم يبلغ وروده في الآية اما للبلغ على الاصل والاتساع
لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان تدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول
عنهم حد الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا او لغير البلغ
والحكم مقيد كانه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ما روي ان رجلا من غطفان
كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها
العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ
ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال
اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تاخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا
الخسيس من مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ولا تاكلوها
مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوهما ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذا حرام وهو فيما
زاد على قدر اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف إِنَّهُ الضمير للاكل كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ذنبا عظيما

ها

وقرئ حَوباً وهو مصدر حاب حوباً وحاباً كقال قولاً وقالاً **وان خفتم ألا تقسطوا في**
اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء اي ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء
اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة
ذات مال وجمال فيتزوجها ضناً بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام
بحقوقهن او ان خفتم الا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضاً
ان لا تعدلوا بين النساء وانكحوا مقداراً يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب
ينبغي ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روي انه تعالى لما عظم اليتامى تحرجوا من ولايتهم
وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون
من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا
في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهاباً الى الصفة
او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانكم
وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم ان تجوروا **مثنى**
وثلاث ورباع معدولة من اعداد مكررة هي ثنتان ثنتان وثلاث
ثلاث واربع اربع غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان
اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة
والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد
الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا
هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو افردت كان المعنى تجويز
الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف
في العدد **فان خفتم ألا تعدلوا** بين هذه الاعداد ايضاً **فواحدة** فاختاروا
او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبر تقديره
فتكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة **او ما ملكت ايمانكم** سوى بين الواحدة
من الازواج والعدد من السراري لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن
ذلك اي التقليل منهن واختيار الواحدة والتسري **ادنى ألا تعولوا** اقرب
ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل
عن حد السهام المسماة وفسر بأن لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم
اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا
من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد
فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج
الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع **وآتوا النساء صدقاتهن** مهورهن وقرئ
بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صُدقة

كغرفة

١٠٢

كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صُدقة كظُلمة في ظُلُمة **نحلة** عطية
يقال نحله كذا نحلة ونُحلاً اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن
فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ
ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات
اي آتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا
منه عليهن فتكون حالاً من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا
اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اي ديناً من الله شرعه
والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور موليّاتهم **فان**
طبن لكم عن شيء منه نفساً الضمير للصدقات حملاً على المعنى او اجري مجرى
اسم الاشارة كقول رؤبة * في قوله * كأنه في الجلد توليع البهق * اردت
كان ذلك * وقيل للايتاء * ونفساً تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى
فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس
للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثاً
لهن على تقليل الموهوب **فكلوه هنيئاً مريئاً** فخذوه وانفقوه حلالاً
بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من
غير غصص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا حالاً
من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما تحمد عاقبته روي ان
ناساً كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئاً مما ساق اليها فنزلت
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم
فيضيعوها وانما اضاف الاموال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم
للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال
فيعطي امرأته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافاً
بعقلهم واستهجاناً لجعلهم قواماً على انفسهم وهو اوفق لقوله **التي جعل**
الله لكم قياماً اي تقومون بها وتتعيشون وعلى الاول يؤول بانها التي من جنس
ما جعل الله لكم قياماً سمي ما به القيام قياماً للمبالغة وقرئ قيماً بمعناه كعوذ
بمعنى عياذ وقواماً وهو ما يقام به **وارزقوهم فيها واكسوهم** واجعلوها
مكاناً لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون
اليه **وقولوا لهم قولاً معروفاً** عدة جميلة تطيب نفوسهم بها والمعروف
ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه **وابتلوا**
اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى
ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابي حنيفة

اضافه

لكل احد

بان يدفع اليه ما يتصرف فيه **حتى اذا بلغوا النكاح** حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عليه الصلاة والسلام اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ماله وما عليه واقيمت عليه الحدود وثمانية عشر عند ابي حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده **فان آنستم منهم رشدا** فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم **فادفعوا اليهم اموالهم** من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم الاية ان ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء وكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم فاستحقاق دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال ابو حنيفة اذا زاد على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع المال اليه وان لم يؤنس منه الرشد **ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا** مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم **ومن كان غنيا فليستعفف** من اكلها **ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف** بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي وعنه عليه الصلاة والسلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تاكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان ياخذوا او ينفقوا على انفسهم اموال اليتامى **فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم** بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا ولا تتجاوزوا ما حد لكم ومذهب مالك خلافا لابي حنيفة **وكفى بالله حسيبا** محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تتجاوزوا ما حد لكم **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون** يريد بهم المتوارثين بالقرابة **مما قل منه او كثر** بدل مما ترك باعادة العامل **نصيبا مفروضا** نصب على المصدر مؤكد كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيبا او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روي اوس بن الصلت الانصاري خلف زوجته ام كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله

بضم الكاف وفتح الجيم المشددة

قد

قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين الله فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب **واذا حضر القسمة اولوا القربى** ممن لا يرث **واليتامى والمساكين فارزقوهم منه** فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبالغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة **وقولوا لهم قولا معروفا** وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم** امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضربهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده **فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا** امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدا والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم في الشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة **ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما** ظالمين او على وجه الظلم **انما ياكلون في بطونهم** ملء بطونهم **نارا** ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابي بردة انه قال عليه الصلاة والسلام يبعث الله قوما من قبورهم تتاجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا **وسيصلون سعيرا** سيدخلون نارا واي نار وقرا ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا يقال صلي النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها **يوصيكم الله** يامركم ويعهد اليكم **في اولادكم** في شان ميراثهم وهو اجمال تفصيله **للذكر مثل حظ الانثيين** اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به **فان كن نساء** اي ان كان

كذ

الاولاد نسا خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على تاويل المولودات **فوق**
اثنتين خبر ثان او صفة لنسا اي نسا زايدات على اثنتين **فلهن ثلثا ما ترك** المتوفي
منكم ويدل عليه المعنى **وان كانت واحدة فلها النصف** اي وان كانت المولودة واحدة
وقرا نافع بالرفع على كان التامه واختلف في اثنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الوا
لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى
لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان
فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك
بقوله فان كن نسا فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت
الثلث مع اخيها فبالحري ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من
الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك **ولابويه** ولابوي
الميت **لكل واحد منهما** بدل منه بتكرير العامل وفايدته التنصيص على استحقاق
كل منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا **السدس مما ترك ان كان له** للميت **ولد**
ذكرا او انثى غير ان الاب ياخذ السدس مع الانثى بالفرضية وما بقي من ذوي الفروض
ايضا بالعصوبة **فان لم يكن له ولد وورثه ابواه** فحسب **فلامه الثلث** مما
ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام
علم ان الباقي للاب وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وهذا ينبغي ان يكون لها حيث معهما
احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قال الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس فانه يفضي
الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع **فان كان**
له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان
كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور
على ان المراد بالاخوة سوا كان من الاخوة او الاخوات وقال ابن عباس لا يحجب الام من الثلث
ما دون الثلاثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرا حمزة والكسائي فلامه
بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها **من بعد وصية يوصي بها او دين** متعلق بما تقدمه
من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصبا للورثة بعد ما كان من وصية او دين وانما
عبر باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب متقدمان على
القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهي متاخرة في الحكم لانها
مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور
اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم ممن
يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم واجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا
الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الاخر في الجنة
سال ان يرفع اليه فيرفع اليه بشفاعته او من مورثكم منهم او من اوصى منهم فعرضكم للثواب

عدد من الاخوة من غير اعتبار التثليث صح

الاخوة

بامضا

امضا وصيته ام من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية
فريضة من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يامركم ويفرض عليكم
ان الله كان عليما بالمصالح والرتب **حكيما** فيما قضى وقدر **ولكم نصف ما ترك**
ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث
من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم
من بعد وصية يوصين بها او دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمراة كما
في النسب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه
الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن
وان كان رجل اي الميت **يورث** اي يورث منه من ورث صفة رجل **كلالة**
خبر كان او يورث خبر وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا
او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث
ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقري يورث بالبنا للفاعل فالرجل
الميت وكلالة يحتمل المعاني الثلاثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له
وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى
فاليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كالة
بالاضافة اليه ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي
او امراة عطف على رجل **وله** اي للرجل واكتفى بحكمه عن حكم المراة لدلالة العطف على تشاركهما
فيه **اخ او اخت** اي من الام ويدل عليه قراة ابي وسعد بن مالك وله اخ او اخت
من الام وانه ذكر في اخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد
الام وان ما قدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها **فلكل واحد منهما السدس**
فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركا في الثلث سوى بين الذكور والاناث في القسمة
لان الادلا بمحض الانوثة ومفهوم الاية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما
لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع **من بعد وصية يوصى بها او دين**
غير مضار اي غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية
دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصي المذكور في هذه
القراة والمدلول عليه بقوله يوصى على البنا للمفعول في قراة ابن كثير وابن عامر
وعاصم في رواية ابن عياش **وصية من الله** مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار
على المفعول به ويؤيده ان قري غير مضار وصية بالاضافة اي لا يضار وصية
من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصيته بالاولاد بالاسراف في الوصية
والاقرار الكاذب **والله عليم** بالمضار وغيره **حليم** لا يعاجل بعقوبته **تلك** اشارة
الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث **حدود الله** شرايعه التي هي كالحدود

كما

المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله
ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد
الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون
وخالدا حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا
وليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما
له واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة
وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها
فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين تشهد
عليهن فان شهدوا فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن في البيوت واجعلوها
سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة
الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون
المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب
الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني
او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح
واللذان يأتيانها منكم يعني الزانية والزاني وقرأ ابن كثير واللذان بتشديد
النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين فآذوهما بالتوبيخ
والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا
عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر ان الله كان توابا رحيما علة الامر
بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الاية سابقة على الاولى نزولا وكانت عقوبة الزناة
الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية
والزاني في الزناة انما التوبة على الله اي ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى
وعده من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة متلبسين بها سفها
فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع
من جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله
تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقال عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل توبة
عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحياة قريب لقوله قل متاع الدنيا قليل
او قبل ان يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض
اي يتوبون في اي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان
الموت او تزين السوء فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب
على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم في التوبة

حكيما

حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر
احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين
من سوف بالتوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر
في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء
وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون
السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك
اعتدنا لهم عذابا اليما تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعده لهم
لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعدد
فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل
اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امرأته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها
الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من
زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تأخذوهن على سبيل الارث فتتزوجوهن
كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما
لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما
آتيتموهن عطف على ان ترثوا ولا لتأكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزويج واصل العضل
التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون
النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله
كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان يأتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء
العشرة وعدم التعفف والاستثناء من عموم الظرف او المفعول له تقديره ولا تعضلوهن
للافتداء الا وقت ان يأتين بفاحشة او لا تعضلوهن الا لان يأتين بفاحشة وعاشروهن
بالمعروف بالانصاف في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا
شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما
هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين
وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا
عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم استبدال زوج مكان زوج
تطليق امرأة وتزوج اخرى وآتيتم احداهن اي احدى الزوجات جمع الضمير لانه
اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تأخذوا منه شيئا اي من القنطار
أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ اي اتأخذونه
باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ
بسبب بهتانهم واقترافهم الاثم وقيل كان الرجل منهم اذا اراد جديدة بهت
التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة

فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل
الباطل ولذلك فسر هاهنا بالظلم وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض انكار
لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر واخذن منكم ميثاقا
غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم في شانهن بقوله تعالى
فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اخذتموهن
بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم اي ولا تنكحوا التي نكحها
آباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر
من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهي وكانه قيل
تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم
كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل
آبائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما
قد سلف فانه لا مؤاخذة عليه لانه مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اي ان نكاحهن
كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروات ولذلك سمي ولد
الرجل من زوجة ابيه المقتي وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله حرمت عليكم امهاتكم
وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس
المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم
كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح وامهاتكم تعم من
ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها او ولدت من ولدها
وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى
ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات
الاخ والاخت يتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من
الرضاعة نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا
وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي در عليه اللبن قال عليه الصلاة
والسلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثنى اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاع
هذا الاصل ليس بمخصص فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب وامهات
نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا
محرمات النسب ثم الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان
تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المراة
من آخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما
لحقه التاء لانه صار اسما واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع
قضية للنظم ومن نسائكم متعلقة بربائبكم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها

بالربائب

١٠٦

بالربائب كانت ابتدائية فان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان تكون بيانا لنسائكم
والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم الا اذا جعلتها للاتصال بين
لكن الرسول صلوات الله عليه فرق بينهما فقال في رجل تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها
انه لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روي عن
علي رضي الله تعالى عنه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة للنسائين لان عاملهما
مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن
وهن في احتضانكم او بصدده قوي الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان
تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي رضي الله عنه انه جعله
شرطا والامهات والربائب يتناول القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اي دخلتم معهن الستر
وهي كناية عن الجماع ويؤثر فيما ليس بنكاح كالوطء بشبهة او ملك اليمين وعند ابي حنيفة لمس المنكوحة
ونحوه كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد اشعار دفعا للقياس
وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج الذين من اصلابكم
احتراز عن المتبنين لا عن ابناء الولد وان تجمعوا بين الاختين في موضع الرفع عطفا على المحرمات
والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح
محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضي الله عنهما حرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه
الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل وقول علي اظهر لان آية
التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه الصلاة والسلام ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب
الحرام الا ما قد سلف استثناء من لازم المعنى او منقطع معناه لكن ما قد سلف مغفور لقوله
ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء ذوات الازواج احصنهن التزويج
او الازواج وقرا الكسائي في جميع القرآن غير هذا الحرف بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن
الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانكم من اللاتي سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال
للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد اصبنا يوم اوطاس سبايا ولهن ازواج
فكرهنا ان نقع عليهن فسالنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهن واياه عنى
الفرزدق بقوله وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق وقال
ابو حنيفة لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي واطلاق الآية والحديث حجة عليه
كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه
فرائض الله وكتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله
وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات
الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين
المراة وعمتها ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى احل لكم
ما وراء ذلكم لان تبتغوا باموالكم الصرف في مهورهن او اثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين

للاتصال كقوله ... بمعنى ... وبناتهن

الخامس عشر

ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين
او بدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لا بد وان يكون مالا
والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح
وهو صب المني فانه الغرض منه فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما
استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن فآتوهن أجورهن مهورهن فان المهر في مقابلة
الاستمتاع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا
او مصدر مؤكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط
عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت الآية في المتعة التي كانت
ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روي انه عليه الصلاة والسلام اباحها ثم اصبح يقول يا ايها
الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النسا الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وهي النكاح
الموقت بوقت معلوم سمي بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمراة وتمتيعها بما تعطى
وجوزها ابن عباس ثم رجع عنه ان الله كان عليما بالمصالح حكيما فيما شرع من الاحكام ومن
لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة أن ينكح المحصنات المؤمنات
في موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اي ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات
او من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحراير لقوله فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم
المؤمنات يعني الاما المؤمنات وظاهر الآية حجة للشافعي في تحريم نكاح الامة على من ملك
ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة طول المحصنات بان يملك
فراشهن على ان النكاح هو الوطي وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه في قوله
المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة رق الولد وما
فيه من المهانة ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم
بالسرائر او بتفاضل ما بينكم في الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا
فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تانيسهم بنكاح الاما ومنعهم عن الاستنكاف
ويويده بعضكم من بعض انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من ادم ودينكم الاسلام
فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان
لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية وآتوهن اجورهن
اي ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف
للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك المهر للامة
ذهابا الى الظاهر بالمعروف بغير مطل وضرار ونقصان محصنات عفايف غير
مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر فاذا
احصن بالتزويج فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات
يعني الحراير من العذاب من الحد كقوله وليشهد عذابهما طائفة من المومنين وهو يدل

لمن قدر على المرة الكتابية دون المومنة حذرا عن مخالطة الكفار وسلامة الولد في نكاح الامة

على

١٠٧

على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك اي نكاح الاما لمن خشي
العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة
وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم باخس القبايح وقيل المراد به الحد وهذا شرط
آخر لنكاح الاما وأن تصبروا خير لكم اي وصبركم عن نكاح الاما متعففين خير لكم
قال عليه الصلاة والسلام الحراير صلاح البيت والاما هلاكه والله غفور رحيم
يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام وخفي عليكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم
وان يبين مفعول يريد واللام زايدة لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول
قيس بن سعد ارادت لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس والوفود شهود وقيل المفعول
محذوف وليبين مفعول له اي يريد الحق لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج
من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقتهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم ويرشدكم
الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم حكيم
في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتاكيد والمقابلة ويريد الذين يتبعون
الشهوات يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الايتمار بها واما المتعاطي لما سوغه الشرع
منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات
وبنات الاخ وبنات الاخوات ان تميلوا عن الحق ميلا بموافقتهم على اتباع الشهوات
واستحلال المحرمات عظيما فلذلك شرع لكم الشريعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم
في المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يحتمل
مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمان آيات في سورة النسا هي خير لهذه الامة
مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث وان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه ان الله لا يغفر
ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين
آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار
الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اي ولكن كون تجارة عن تراض غير
منهي عنه او اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراضي
المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي يحل بها مال الغير لانه اغلب واوفق لذوي المروات
ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه
الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرا الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم
اي الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند
او بالقاء النفس الى التهلكة ويويده ما روي ان عمرو بن العاص تاوله في التيمم لخوف البرد
فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم او بارتكاب ما يودي الى قتلها او باقتراف ما يذللها
ويرديها فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان
المومنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من

لمن لم يصبر

والمبالغة

من الاب

حيث انه سبب قوامها استبقاء لها ريثما تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رافة
بكم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما اي امر ما امر ونهى عما نهى لفرط
رحمته عليكم وقيل معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس
ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا في
التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم
الظلم على النفس بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى
وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك
من حيث انه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة
الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب ان
الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه الحد او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة
واكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس الكبائر الى سبعمائة
اقرب منها الى سبع وقيل اراد هاهنا انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر
الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عنّ
له امران [في الهامش: منها ودعت نفسه اليها بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرها كفر عنه ما ارتكبه لما استحق] من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال
الا ترى انه تعالى عاتب نبيه في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذ
عليها وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرا نافع
بفتح الميم هنا وفي الحج وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم
على بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة
الى التحاسد والتعادي معربة عن عدم الرضى بما قسم الله له وانه تشه لحصول الشيء له
من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له
بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال للرجال نصيب
مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب
بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه الصلاة والسلام
ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه
وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له
واسالوا الله من فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسالوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد
وهو يدل على ان المنهي عنه هو الحسد ولا تتمنوا واسالوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه
اليكم ان الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي

ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا
فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون اي ولكل تركة جعلنا وراثا [في الهامش: يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا وراثا]
مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استئناف
مفسر للموالي وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او لكل
قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع
اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدا وخبر والذين عقدت ايمانكم موالي الموالاة كان
الحليف يورث السدس من حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله
وعن ابي حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث
او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدا ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم
او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدين وقوله
فآتوهم جملة متسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرا الكوفيون
عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه
مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد
على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل
ذلك بامرين وهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال
على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا
بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد
والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا
من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت
عليه امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فشكى فقال عليه الصلاة والسلام لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي
اراد الله خير فالصالحات قانتات مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب
لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه
الصلاة والسلام خير النساء امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت
عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الاية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر
على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذي حفظه الله لهن عليهم
من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما
موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله
وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن
وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن واهجروهن في المضاجع في [في الهامش: المبايت]
المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع

أي لا تبايتوهن واضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شائن والأمور الثلاثة
مرتبة ينبغي أن يتدرج فيها فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والإيذاء
والمعنى فأزيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فإن التائب من الذنب
كمن لا ذنب له إن الله كان عليا كبيرا فاحذروه فإنه أقدر عليكم منكم على من تحت أيديكم أو أنه
تعالى ويتكبر أن يظلم أحدا أو علي شأنه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فأنتم أحق بالعفو
عن أزواجكم أو أنه تعالى يتكبر أن يظلم أحدا أو ينقص حقه وإن خفتم شقاق بينهما
خلافا بين المرأة وزوجها أضمرهما وإن لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما وإضافة الشقاق إلى
الظرف إما لإجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة أهل الدار أو الفاعل كقوله نهارك
صائم فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها فابعثوا أيها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما
لتبيين الأمر وإصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والإصلاح من أهله
وآخر من أهلها فإن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال وأطلب للصلاح وهذا على وجه
الاستحباب فلو نصبا من الأجانب جاز وقيل الخطاب للأزواج والزوجات واستدل
به على جواز التحكيم والأظهر أن النصب لإصلاح ذات البين أو لتبيين الأمر ولا يليان
الجمع والتفريق إلا بإذن الزوجين وقال مالك لهما أن يتخالفا إن وجدا الصلاح فيه
إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الأول للحكمين والثاني للزوجين أي إن
قصدا الإصلاح يوفق الله بينهما فتتفق كلمتهما أو يوقع بينهما الوفاق وفيه تنبيه على أن
من أصلح نيته فيما يتحراه أصلح الله مبتغاه إن الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن
فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما أو غيره
أو شيئا من الإشراك جليا أو خفيا وبالوالدين إحسانا وأحسنوا بهما إحسانا وبذي القربى
وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل الذي
له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه
والجار الجنب البعيد أو الذي لا قرابة له وعنه صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاثة فجار له
ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام وجار له حقان حق الجوار وحق
الإسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من أهل الكتاب والصاحب بالجنب
الرفيق في أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فإنه صحبك وحصل بجنبك وقيل
المرأة وابن السبيل المسافر أو الضيف وما ملكت أيمانكم العبيد والإماء إن الله لا يحب
من كان مختالا متكبرا يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا يلتفت إليهم فخورا
يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان أو نصب على
الذم أو رفع عليه أي هم الذين أو مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به
ويأمرون الناس بالبخل به وقرأ حمزة والكسائي بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة ويكتمون
ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم فهما حقيقان بكل ملامة وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا

ووضع الظاهر

ووضع الظاهر فيه موضع المضمر إشعارا بأن من هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة
فله عذاب مهين كما أهان النعمة بالبخل والإخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا
يقولون للأنصار تنصيحا لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا
صفة محمد صلى الله عليه وسلم والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس عطف على الذين
يبخلون أو الكافرين وإنما شاركهم في الذم والوعيد لأن البخل والسرف الذي هو الإنفاق على
ما لا ينبغي من حيث إنهما طرفا إفراط وتفريط سواء في القبح واستجلاب الذم أو مبتدأ خبره
محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا
بالإنفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا
فساء قرينا تنبيه على أن الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله إن المبذرين
كانوا إخوان الشياطين والمراد إبليس وأعوانه الداخلة والخارجة ويجوز أن يكون وعيدا لهم
بأن يقرن بهم الشيطان في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله
أي وما الذي عليهم أو أي تبعة تحيق بهم بالإيمان والإنفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم
على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب
الجواب لعله يؤدي بهم إلى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على أن المدعو
إلى أمر لا ضرر فيه ينبغي أن يجيب إليه احتياطا فكيف إذا تضمن المنافع وإنما قدم الإيمان
ههنا وأخره في الآية الأخرى لأن القصد بذكره إلى التخصيص ههنا والتعليل ثمة وكان
الله بهم عليما وعيد لهم إن الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الأجر ولا يزيد في
العقاب أصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من أجزاء الهباء والمثقال
مفعال من الثقل وفي ذكره إيماء إلى أنه وإن صغر قدره عظم جزاؤه وإن تك حسنة وإن
يك مثقال الذرة حسنة وأنث الضمير لتأنيث الخبر أو لإضافة المثقال إلى مؤنث
وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع
على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب
يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل
زائدا على ما وعد في مقابلة العمل أجرا عظيما عطاء جزيلا وإنما سماه أجرا لأنه تابع
للأجر مزيد عليه فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود
وغيرهم إذا جئنا من كل أمة بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح
أعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الأمر وتعظيم الشأن
وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء لعلمك بعقائدهم واستجماع
شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء إشارة إلى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل إلى المؤمنين
لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا
وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض بيان لحالهم حينئذ أي يود الذين جمعوا بين الكفر

الكفر وعصيان الرسول او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض
كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء **ولا يكتمون الله حديثا** ولا يقدرون
على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض
وحالهم انهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ
روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر
عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرا نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى
فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته
فتسوى **يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون**
لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في
صلاتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع مادبة ودعا نفرا من الصحابة حين
كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم احدهم
ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلاة مواضعها وهي المساجد
وانما المراد منه النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ
سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى او سكرى
كحبلى على انها صفة للجماعة **ولا جنبا** عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في
موضع النصب على الحال والجنب الذي اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث
والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر **الا عابري سبيل** متعلق بقوله ولا جنبا
استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلاة في عامة الاحوال الا في السفر وذلك
اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا
غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلاة بمواضعها
فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رضي
الله تعالى عنه وقال ابو حنيفة لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق
حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الاية تنبيه على ان المصلي ينبغي
ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه **وان كنتم
مرضى** تخافون معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعكم عن الوصول
اليه **او على سفر** لا تجدونه فيه **او جاء احد منكم من الغائط** فاحدث بخروج الخارج
من احد السبيلين واصل الغائط المطمئن من الارض **او لامستم النساء** او ماسستم
بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعي على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن
وقرا حمزة والكسائي لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة **فلم تجدوا
ماء** فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان
المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر والجنب

وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلاة

هنا وفي المائدة

لما سبق

لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات
وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر
مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لامستم
النساء فلم تجدوا ماء **فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم** اي
فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على
حجر صلد ومسح اجزاه وقال اصحابنا لا بد ان يعلق باليد شيء من التراب لقوله في المائدة
فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم
من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم العضو الى المنكب وما روي انه عليه الصلاة والسلام
تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل ان المراد وايديكم الى المرافق
ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم **الم تر الى الذين اوتوا**
من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالى لتضمين معنى الانتهاء **نصيبا من
الكتاب** حظا يسيرا من علم التوراة لان المراد احبار اليهود **يشترون الضلالة**
يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة
محمد عليه الصلاة والسلام وقيل ياخذون الرشى ويحرفون التوراة **ويريدون
ان تضلوا** ايها المؤمنون **السبيل** سبيل الحق **والله اعلم** منكم **باعدائكم** وقد اخبركم
بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم **وكفى بالله وليا** يلي امركم **وكفى بالله
نصيرا** يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتاكيد
الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي **من الذين هادوا** بيان للذين اوتوا فانه
يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم
من الذين هادوا ويحفظكم منهم او خبر محذوف صفته **يحرفون الكلم عن مواضعه**
اي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله
فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه
عما انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة
ويقولون سمعنا قولك **وعصينا** امرك **واسمع غير مسمع** اي مدعوا عليك بلا
سمعت بصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع
كلاما ترضاه او غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير
مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا **وراعنا**
انظرنا نكلمك او نفهم كلامك **ليا بالسنتهم** فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه
السب والتحقير حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع
انظرنا وغير مسمع موضع لا سمعت مكروها او فتلا بها وضما لما يظهرون
من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا **وطعنا في الدين**

فق

به وسخرية **ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا** ولو ثبت
قولهم هذا مكان ما قالوه **لكان خيرا لهم واقوم** ووقوعه موقعه لكان
قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة
ان عليه ووقوعه موقعه **ولكن لعنهم الله بكفرهم** ولكن خذلهم وابعدهم
عن الهدى بسبب كفرهم **فلا يؤمنون الا قليلا** الا ايمانا قليلا لا يعبا به وهو الايمان
ببعض الايات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه
او الا قليلا منهم امنوا او سيؤمنون **يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا**
مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان
نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفا او ننكسها الى وراها
في الدنيا او في الاخرة واصل الطمس ازالة الاعلام المائلة وقد يطلق بمعنى الطلس
في ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير
وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى
حيث جاءت منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول
من قال ان المراد بالوجوه الرؤسا او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار
عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية
الى الضلالة **او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت** او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب
السبت او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه
او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس
بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على
تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم الايمان
وقد امن منهم طائفة **وكان امر الله** بايقاع شيء او وعيد او ما حكم به وقضاه
مفعولا نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا **ان الله لا يغفر ان**
يشرك به لانه بت الحكم على خلود عذابه ولان ذنبه لا ينمحي عنه اثره فلا يستعد
للعفو بخلاف غيره **ويغفر ما دون ذلك** اي ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا
لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا وعلقه المعتزلة بالفعلين على معنى ان الله لا يغفر
الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد
بلا دليل اذ ليس عموم ايات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق
الامر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالاية كما هي
حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار
ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه الاثام
وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافترا كما يطلق على القول

يطلق

يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق **الم تر الى الذين يزكون انفسهم** يعني اهل الكتاب
قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا هل على هؤلاء ذنب فقال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار
كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه واثنى عليها
بل الله يزكي من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه
العالم بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبيح وقد ذمهم وزكى المرتضين من
عباده المؤمنين واصل التزكية نفي ما يستقبح قولا او فعلا **ولا يظلمون** بالذم والعقاب
على تزكيتهم انفسهم بغير حق **فتيلا** ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة
يضرب به المثل في الحقارة **انظر كيف يفترون على الله الكذب** في زعمهم انهم
ابناء الله وازكيا عنده **وكفى به** بزعمهم هذا او بالافترا **اثما مبينا** لا يخفى كونه
ماثما من بين اثامهم **الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت**
والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعو
اليه محمد وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة
يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب
وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا
والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما يعبد من دون الله وقيل اصله الجبس
وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره
ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم **هؤلاء** اشارة اليهم **اهدى من الذين**
امنوا سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا **اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله**
فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنهم بشفاعة او غيرها **ام لهم نصيب من الملك**
ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت
اليهود من ان الملك سيصير اليهم **فاذا لا يؤتون الناس نقيرا** اي لو كان لهم نصيب
من الملك فاذن لا يؤتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا
هو الاغراق في بيان شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا
اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية
وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذن اذا وقع بعد الواو والفا لا لتشريك مفرد جاز
فيه الالغا والاعمال ولذلك قرئ فاذن لا يؤتوا على النصب **ام يحسدون**
الناس بل يحسدون رسول الله واصحابه او العرب او الناس جميعا لان من
حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد
كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكان بينهما تلازما وتجاذبا **على ما اتاهم الله**
من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم

فقد آتينا آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وابناء عمه الكتاب والحكمة
النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ما اتاهم فمنهم من
اليهود من آمن به بمحمد او بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه
اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن
في ذلك توهين امره فكذا لا يوهن كفر هؤلاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة
يعذبون بها اي ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم
ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى
كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه
للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه
جلد آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور
ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين
آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر
المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب
فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة
مشتقة من الظل لتأكيده كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم ان الله
يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات
وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى
ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي يده
واخذه منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج
سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فأمره الله ان
يرده اليه فأمر عليا بان يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل
الوحي بان السدانة في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل
اي وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى
بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اي نعم
شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة
موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل
في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون في
الامانات يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم يريد بهم امراء
المسلمين في عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس

الامانات جمع

بطاعتهم

بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع
لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم
انتم واولو الامر منكم في شيء من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان
ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة
الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه
والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكرو القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد
المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما
يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله
وطاعة الرسول فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت
بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان يوجب
ذلك ذلك اي الرد خير لكم واحسن تأويلا عاقبة او احسن تأويلا من تأويلكم بلا رد
الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان
يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي
صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر
قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق
اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب
به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله
فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على
هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمي بذلك لفرط طغيانه
او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه
كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ
ان يكفروا بهن على ان الطاغوت جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا
قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام
الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا
وهو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس
والسد محسوس ويصدون في موضع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة
كقتل عمر المنافق او النقمة من الله بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم
الرضى بحكمك ثم جاؤوك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون
وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا
بذلك الا الفضل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء

اصحاب النبي طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا
ويوفق بينه وبين خصمه **اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم** من النفاق فلا يغني
عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب **فاعرض عنهم** اي عن عقابهم
لمصلحة في استبقائهم او عن قبول معذرتهم **وعظهم** بلسانك او كفهم عما هم عليه
وقل لهم في انفسهم اي في معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح في السر انجع
قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امره بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة
فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبيا وتعليق الظرف ببليغا
على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم الموصوف
والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به **وما ارسلنا
من رسول الا ليطاع باذن الله** بسبب اذنه في طاعته وامر المبعوث اليهم
بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان
كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم
يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل
ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق والتحاكم الى الطاغوت **جاؤك** تائبين من
ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به **فاستغفروا الله** بالتوبة والاخلاص **واستغفر
لهم الرسول** واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب
تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان
عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كباير الذنوب **لوجدوا الله توابا
رحيما** لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا
حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه **فلا وربك** اي فوربك ولا مزيدة
لتاكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله **لا يؤمنون** لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله
لا اقسم بهذا البلد **حتى يحكموك فيما شجر بينهم** فيما اختلف بينهم واختلط ومنه
الشجر لتداخل اغصانه **ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت** ضيقا مما حكمت
به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره **ويسلموا تسليما** وينقادوا
لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم **ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم** تعرضوا
بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة
لان كتبنا في معنى امرنا **او اخرجوا من دياركم** خروجهم حين استتيبوا من عبادة
العجل وقرا ابو عمرو ويعقوب ان بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا
بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل بينكم وقرا حمزة
بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل
ما فعلوه الا قليل منهم الا ناس قليل منهم وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا

بان

بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه
كتبنا او لاحدى مصدري الفعلين وقرا ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا
فعلا قليلا **ولو انهم فعلوا ما يوعظون به** من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة
لكان خيرا لهم في عاجلهم واجلهم **واشد تثبيتا** في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم
ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والاية ايضا نزلت في شان
المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا
في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك
فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه الصلاة والسلام اسق يا زبير ثم احبس الماء الى
الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك **واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما** جواب
لسؤال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو تثبتوا لاتيناهم
لان اذا جواب وجزاء **ولهديناهم صراطا مستقيما** يصلون بسلوكه جناب القدس
ويفتح عليهم ابواب الغيب قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة
بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا **من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين** بيان للذين او حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم
في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون
بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين
صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والايات واخرى بمعارج التصفية والرياضات
الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليه ثم الشهداء الذين ادى
بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون
الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم
العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال
والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشي
قريبا وهم الانبيا او لا فيكونون كمن يرى الشي من بعيد وهم الصديقون والاخرون اما
ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه
واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون **وحسن اولئك رفيقا**
في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه
اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما
وقد تغير وجهه ونحل جسمه فساله عن حاله فقال ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت
اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك
لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل

فذاك حين لا اراك اذا فترت **ذلك** اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة
المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم **الفضل** صفته **من الله** خبره او الفضل خبره ومن
الله حال والعامل فيها معنى الاشارة **وكفى بالله عليما** بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل
واستحقاق اهله **يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم** تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر
والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح **فانفروا** فاخرجوا الى الجهاد
ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبت على فلان تثبيتا اذا ذكرت متفرق محاسنه
ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه **او انفروا جميعا** مجتمعين كوكبة واحدة
والاية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيف
ما امكن قبل الفوات **وان منكم لمن ليبطئن** الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ
بمعنى ابطأ وهو لازم او ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن ابي ناسا يوم احد من بطأ منقولا
من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية
جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن
والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن **فان اصابتكم مصيبة** كقتل وهزيمة
قال اي المبطئ **قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا** حاضرا فيصيبني ما اصابهم
ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة **ليقولن** اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ
بضم اللام اعادة للضمير على معنى من **كأن لم تكن بينكم وبينه مودة** اعتراض بين الفعل
ومفعوله وهو **يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما** للتنبيه على ضعف عقيدتهم
وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد
المال او حال من الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه من
المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كأن لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث
لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى
وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة
من الثقيلة واسمها ضمير الشان وهو محذوف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس
عن يعقوب تكن بالتاء لتانيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم
وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع
على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت **فليقاتل في سبيل الله الذين
يشرون الحياة الدنيا بالآخرة** اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال
فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على
الآخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكى عنهم **ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل
او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما** وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال

وتكذيبا

114

وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد
ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون
قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين **وما لكم** مبتدأ وخبر **لا تقاتلون
في سبيل الله** حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل **والمستضعفين** عطف على
اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على
السبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص
فان سبيل الله تعالى يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار اعظمها واخصها
من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد
المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث
وتنبيها على تناهي ظلم المشركين حيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت
بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية
وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد **الذين يقولون ربنا اخرجنا من
هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا**
فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي
وناصر ففتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب
ابن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره
لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا اجري على غير من هو له كان كالفعل يذكر
ويؤنث على حسب ما عمل فيه **الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله** فيما يصلون به الى الله
والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان **فقاتلوا اولياء
الشيطان** لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله
ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف
لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه **الم تر الى الذين قيل لهم
كفوا ايديكم** اي عن القتال **واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** واشتغلوا بما امرتم به **فلما كتب
عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله** اي يخشون الكفار ان يقتلوهم
كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجاة جواب لما وفريق مبتدأ منهم صفته
ويخشون خبره وكخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل
يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه **وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال
لولا اخرتنا الى اجل قريب** استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل
انهم تفوهوا به وان قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم **قل متاع الدنيا قليل** سريع التقضي
والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا
عنه او من آجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة **اينما**

يكونوا يدرككم الموت وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها
او على انه كلام مبتدأ واينما متصل بلا تظلمون ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور
وحصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المرأة اذا
ظهرت وقرئ مشيّدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد
القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة
يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية تقعان على النعمة
والبلية وهما المراد في الاية اي ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله تعالى وان تصبهم
بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشومك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة
نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله اي يبسط ويقبض حسب ارادته
فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو
فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من عند الله او حديثا ما كبهائم لا افهام لها او حادثا
من صروف الزمان فيتفكروا فيه ليعلموا ان القابض والباسط هو الله ما اصابك يا انسان
من حسنة من نعمة فمن الله اي تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافي نعمة
الوجود فكيف تقتضي غيره ولذا قال عليه الصلاة والسلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى
قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاجتلابها
بالمعاصي وهو لا ينافي قوله تعالى قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان
الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها
ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب
وما يعفو الله اكثر والايتان كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا
حال قصد بها التأكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله
وما ارسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من فيّ زور كلام
وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه
في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله تعالى روي انه عليه الصلاة والسلام قال من احبني فقد احب الله
ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد
الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك
عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو
حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة اي امرنا طاعة او منا طاعة واصلها
النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيت
طائفة منهم غير الذي تقول زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول
وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر
او من البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرأ ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما

في الخروج والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة او في جملة ما يوحي اليك فيطلعك
على اسرارهم فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله في الامور كلها
سيما في شأنهم وكفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القرآن
يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء ولو كان من عند
غير الله اي ولو كان من كلام البشر كما تزعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض
المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه تصعب معارضته
وبعضه تسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل
لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره
ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف
الاحوال في الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب الامن
او الخوف اذاعوا به افشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن
سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم او اخبرهم الرسول بما اوحي اليه من وعد بالظفر
او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم فكانت اذاعتهم مفسدة والباء
مزيدة او لتضمن الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم
الى رأيه والى رأي كبار اصحابه البصراء بالامور او الامراء لعلمه على اي وجه يذكره الذين
يستنبطونه منهم يستخرجون تدابيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون
اراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول
والى اولي الامر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين
يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط
اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول ما تحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته
بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا الا قليلا
منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه من متابعة
الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور
فقاتل في سبيل الله ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك الا فعل
نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد
فان الله ناصرك لا الجنود روي انه عليه الصلاة والسلام دعا الناس في بدر الصغرى
الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون ولم يلو على احد
وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اي لا نكلفك الا فعل
نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسه لقوله وحرض المؤمنين على القتال اذ ما
عليك في شأنهم الا التحريض عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا يعني قريشا وقد
فعل بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد بأسا من قريش واشد تنكيلا

تقريبا وهو تفريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم
ودفع بها عنه ضررا وجلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء لمسلم قال عليه الصلاة
والسلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك
يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها ومن يشفع
شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها في القدر
وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اذا اقتدر قال

وذي ضغن كففت النفس عنه ... وكنت على اساءته مقيتا

او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه واذا حييتم
بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور انه في السلام ويدل على وجوب الجواب
اما باحسن منها وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهو النهاية
واما برد مثله لما روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال
وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله
وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني
فاين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك
لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه
قيل او للترديد بين ان يحيي المسلم ببعض التحية وبين ان يحيي بتمامها وهذا الوجوب
على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام
وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحياة
ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية
العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي رضي الله تعالى عنه
ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدأ
وخبر ليجمعنكم الى يوم القيامة اي الله والله ليجمعنكم ليحشرنكم من قبوركم الى يوم
القيامة او مفضين اليه او في يوم القيامة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيامة
كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه في اليوم او في الجمع فهو
حال من اليوم او صفة للمصدر نحو ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون
احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال
فما لكم في المنافقين فئتين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فئتين اي فرقتين
ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى
لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم احد او في قوم
هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او قوم اظهروا الاسلام

وقعدوا

وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم كقولك ما لك قائما وفي المنافقين حال
من فئتين اي متفرقين فيهم او من الضمير اي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق
مستفاد من فئتين والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم
للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه
من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما
كفروا تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال
وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا
في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله
لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث
وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا استثناء من قوله فخذوهم
واقتلوهم اي الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم
والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه عليه السلام وادع وقت خروجه الى مكة
هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل
ما له وقيل بنو بكر بن زيد مناة او جاءوكم عطف على الصلة او الذين جاءوكم كافين عن
قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المامور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق
بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكانه قال
الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر
لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون
او استئناف حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم
وحصرات او بيان لجاءوكم وقيل صفة محذوف اي جاءوكم قوما حصرت وهم بنو مدلج جاءوا
رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم
اي عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم
وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم
فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل
الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون ان
يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا
الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر والى
قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا
اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم
حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض واولئكم
جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم

ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم **وما كان لمؤمن** وما صح له وليس من شانه **ان يقتل مؤمنا** بغير حق **الا خطأ** فانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اي لا يقتله في شيء من الاحوال الا حال الخطأ ولا يقتله الا للخطأ او على انه صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما يضامه القصد الى الفعل والشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله **ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة** اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالراس **مؤمنة** محكوم باسلامها وان كانت صغيرة **ودية مسلمة الى اهله** مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول الضحاك ابن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم يكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله **الا ان يصدقوا** يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف **فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة** اي فان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم لانهم محاربون **وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة** وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية لعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم **فمن لم يجد** رقبة بان لا يملكها ولا ما يتوصل اليه **فصيام شهرين متتابعين** فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين **توبة** نصب على المفعول له اي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر اي وتاب عليكم توبة او حال بحذف مضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة **من الله** صفتها **وكان الله عليما** بحاله **حكيما** فيما امر في شانه **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما** لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب

لقوله

لقوله واني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم **يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله** سافرتم وذهبتم للغزو **فتبينوا** فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه **ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام** لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الالف اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا **لست مؤمنا** وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا لك الامان **تبتغون عرض الحياة الدنيا** تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت **فعند الله مغانم كثيرة** تغنيكم عن قتل امثاله لماله **كذلك كنتم من قبل** اي من قبل ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنتم بها دماءكم واموالكم من غير ان يعلم مواطأة قلوبكم السنتكم **فمن الله عليكم** بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين **فتبينوا** وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تأكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم **ان الله كان بما تعملون خبيرا** عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر برجل في غنمه فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطأه مغتفر **لا يستوي القاعدون** عن الحرب **من المؤمنين** في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه **غير اولي الضرر** بالرفع صفة للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم كيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر **والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم** اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته **فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة** جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق درجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى

وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا من التثبت في الموضعين

وقرأ نافع وابن عامر والكسائي غير بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه

التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوي درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين
وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهو الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في
زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما
نصب على المصدر لان فضل بمعنى آجر والمفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء
ولانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة
كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته
سوطا واجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار
فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا
فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل
لهم في الآخرة وقيل المراد بالدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله وبالدرجات منازلهم
في الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن
لهم في التخلف وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد
نفسه وعليه قوله عليه الصلاة والسلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر
وكان الله غفورا لما عسى يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفاهم الملائكة
يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم الملائكة وتوفاهم الملائكة على مضارع وفيت
بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي
انفسهم اي في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة
اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا فيم كنتم
اي في اي شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذروا مما
وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا الم تكن ارض
الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة
فاولئك مأواهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء
فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر
قالوا والعائد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها
وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن
فيه من اقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان
كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابرهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة
والسلام الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم
دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر
وان اريد الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم
اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم

مني

متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت
فيه او حال عنه او المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما تتوقف عليه
واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة
الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن ويترصد
الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض
مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم فيه قومه بسلوكه اي يفارقهم
على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته
مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر اي ثم هو
يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان
الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره على الله ثبوت الامر
الواجب والآية نزلت في جندب بن ضمرة حملوه بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم
اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع
عليه رسولك فمات واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة
بتنصيفها كما قاله ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عليه الصلاة والسلام
اتم في السفر وان عائشة اعتمرت مع رسول الله وقالت يا رسول الله قصرت واتممت و
صمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة واوجبه ابو حنيفة لقول عمر صلاة السفر ركعتان تمام
غير قصر على لسان نبيكم ولقول عائشة اول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين فاقرت
في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف الآية فان صحا فالاول مؤول بانه كالتام
في الفضيلة والآخر والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى تاويل الآية بانهم الفوا الاربع
فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمي الاتيان بهما قصرا على ظنهم
ونفي الجناح فيه لتطيب به نفوسهم واقل سفر تقصر فيه اربعة برد وستة عند ابي حنيفة
وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلاة صفة محذوف اي شيئا من الصلاة عند
سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا
ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شرطه باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم
يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما
فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلاة
ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره واذا
كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة تعلق بمفهومه من خص صلاة الخوف بحضرة الرسول لفضل
الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم
نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين
فلتقم احداهما معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليه

تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اي المصلون حزما وقيل الضمير للطايفة وذكر الطايفة
الاول يدل عليه فاذا سجدوا يعني المصلين فليكونوا اي غير المصلين من ورائكم يحرسونكم
يعني النبي ومن يصلي معه فغلب المخاطب الغايب ولتات طايفة اخرى لم يصلوا
لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طايفة مرة
كما فعله عليه الصلاة والسلام ببطن نخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة فان كانت الصلاة
ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قايما حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا
الى وجه العدو وتاتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظر قاعدا حتى يتموا صلاتهم
ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة يصلي بالاولى
ثم تذهب وتقف بازاء العدو وتاتي الاخرى فتصلي معه ركعة وتتم صلاتها ثم تعود الى وجه
العدو وتاتي الاولى فتودي الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلاتها وليأخذوا حذرهم
واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب
الاخذ ونظيره قوله تعالى والذين تبوءوا الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون
عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة
في صلاتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح
ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا
حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يهجم عليهم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا
مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر
بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور على مراسم
التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلاة اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله
قياما وقعودا وعلى جنوبكم فداوموا على الذكر في جميع الاحوال او فاذا اردتم اداء الصلاة
واشتد الخوف فصلوها كيفما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى
جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلاة فعدلوا
واحفظوا اركانها وشرايطها واتوا بها تامة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء من الاحوال وهذا
دليل على ان المراد بالذكر الصلاة فانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب في
المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها كيفما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلي المحارب حتى
يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تألمون
فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التواني
فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار
الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها
وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يألمون
علة للنهي عن الوهن لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما باعمالكم وضمائركم

حكيما

حكيما فيما يامر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة
ابن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل
الدقيق ينتثر من خرق فيه فخباها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند
طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى
الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر
انطلقوا بنا الى رسول الله فسالوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك
وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله ان يفعل بما اراك الله بما عرفك الله واوحى به
اليك وليس من الروية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل ولا تكن للخائنين
اي لاجلهم والذب عنهم خصيما للبرآء واستغفر الله مما هممت به ان الله كان
غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان
وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها والضمير لطعمة وامثاله او له
ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على براته وخاصموا عنه ان الله لا يحب
من كان خوانا مبالغا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه روي ان طعمة هرب
الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله يستخفون
من الناس يستترون منهم حياء ولا يستخفون من الله وهو احق بان يستحيى ويخاف
منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويواخذ عليه اذ يبيتون
يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة
الزور وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شيء ها انتم هؤلاء مبتدا وخبر
جادلتم عنهم في الحياة الدنيا جملة مبينة لوقوع خبرا او صلة عند من جعله موصولا
فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم من
عذاب الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه
وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة
يجد الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة
والاستغفار ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله
لقوله وان اساتم فلها وكان الله عليما حكيما فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته
ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة او ما كان عمدا ثم يرم به
بريئا كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل بهتانا واثما مبينا
بسبب رمي البريء وتبرية النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف
احدهما دون مقترف الاخر ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلامهم ما هم عليه
بالوحي والضمير للرسول وجمعه للتعظيم او له وللامة فان عصمة الرسول واطلاعه
على الاحوال لطف في حقهم لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء

الحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى نفي تاثيره فيه
وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك
من شيء فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم
ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر وانزل الله عليك الكتاب والحكمة
وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام وكان فضل الله
عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير في كثير من نجواهم من متناجيهم كقوله تعالى
واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة او معروف على حذف المضاف
اي الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف
كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسرها هنا بالقرض واغاثة الملهوف
وصدقة التطوع وسائر ما فسر به او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات البين ومن
يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام ورتب الجزاء
على الفعل ليدل على انه لما ادخل الامر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة
والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون
لطلب مرضات الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق
به من الله اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من اعراض
الدنيا ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير الاخر
من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين
غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال
ونخل الله بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه
وساءت مصيرا والاية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد
على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او الجمع بينهما
والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث
لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم واجبا لان
ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام
فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وامنت به
ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جراءة وما توهمت طرفة عين اني اعجز
الله هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد
ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب
والاستقامة وانما ذكر في الاية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب

ومنشا شركهم نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله ان يدعون من دونه الا اناثا
يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني
فلان وذلك اما لتانيث اسمائها كما قال وما ذكر فان تيمن فانثى شديد الازم
فانه عن القراد وهو ما كان صغيرا سمي قرادا فاذا كبر سمي حلمة او لانها جمادات
والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها
بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق
المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم
وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ
انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف
والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واسد واثنا بهما على قلب الواو لضمها
همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه الذي امرهم
بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق
بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء للتي تناثر
ورقها لعنه الله صفة ثانية وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف
عليه اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس
وقد برهن سبحانه اولا ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون
ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله
ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهو افظع
الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير
والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله
فلا تستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة
والسعي في اهلاككم وموالاة من هذا شانه غاية الضلالة فضلا عن عبادته والمفروض
المقطوع اي نصيب قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم عن الحق
ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحياة وان لا بعث ولا عقاب ولامرنهم فليبتكن
اذان الانعام يشقونها لتحريم ما احله الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل
بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم ما احل الله ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل
او القوة ولامرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه
ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق
ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام واستعمال الجوارح
والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ
يمنع الخصاء لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره

الشيطان او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثاره ما يدعوه اليه على ما امر
الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع راس ماله
وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم
الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة
او بلسان اوليائه اولئك ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من
حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل
فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه
لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينصب الموصول
بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على
انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الاية
معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة
في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب اي ليس
ما وعد الله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا اماني اهل الكتاب وانما
ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه
العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم
وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين
وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم
ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار او قولهم ان كان الامر كما يزعم
هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال
من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روي انه لما نزلت قال ابو بكر فمن ينجو مع هذا
يا رسول الله قال عليه الصلاة والسلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللاواء قال
بلى يا رسول الله قال هو ذاك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه
اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل
من الصالحات بعضها او شيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر
او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي كائنة من ذكر
او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب
تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فيه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا
بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد على عقاب العاصي
لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم

وجهه لله

وجهه لله اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي
هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات
تارك للسيئات واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا
عن سائر الاديان وهو حال من المتبع او الملة او ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه
وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له
وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل
فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان
في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف
جيء بها للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي
ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس من
يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد
اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس
فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت
حوارى واختبزت فاستيقظ ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذا فقالت
من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما ما يشاء ومن يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر
لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان الله
بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة وكان عالما باعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها
ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصن اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد
القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم
حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم الله او ضميره
المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما في القرآن من قوله
يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد وعطاؤه او استئناف
معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدا وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح
المحفوظ ويجوز ان ينتصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم كانه
قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا
ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى في شانهن و
الا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء
كما تقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه
وقرئ ييامى على انه ايامى فقلبت همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن من

وترغبون أن تنكحوهن أي في أن تنكحوهن أو عن أن تنكحوهن فإن أولياء اليتامى كانوا يرغبون
فيهن إن كن جميلات ويأكلون مالهن وإلا كانوا يعضلوهن طمعا في ميراثهن والواو تحتمل
الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة إذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها
جريان العقد في صغرها والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب
ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء وأن تقوموا لليتامى بالقسط أيضا عطف عليه
أي ويفتيكم أو ما يتلى في أن تقوموا هذا إذا جعلت في يتامى صلة لأحدهما فإن
جعلته بدلا فالوجه نصبها عطفا على موضع فيهن ويجوز أن ينتصب وأن تقوموا إضمار
فعل أي ويأمركم أن تقوموا وهو خطاب للأئمة في أن ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم
أو للقوام بالنصفة في شأنهم وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما وعد لمن
آثر الخير في ذلك وإن امرأة خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة
فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا
لحقوقها أو إعراضا بأن يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما
صلحا أي أن يتصالحا بأن تحط له بعض المهر أو القسم أو تهب له شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون
أن يصلحا من أصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز أن ينتصب صلحا على المفعول به
وبينهما ظرف أو حال منه أو على المصدر كما في القراءة الأولى والمفعول بينهما أو هو محذوف
وقرئ يصلحا من أصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة أو من
الخصومة ويجوز أن لا يراد به التفضيل بل بيان أنه من الخيور كما أن الخصومة
من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله وأحضرت الأنفس الشح ولذلك اغتفر عدم
تجانسهما والأول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماسكة ومعنى
إحضار الأنفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالإعراض
عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بأن يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي إذا
كرهها أو أحب غيرها وإن تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والإعراض ونقص
الحق فإن الله كان بما تعملون من الإحسان والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه
فيجازيكم عليه أقام كونه عالما بأعمالهم مقام إثابته إياهم عليها الذي هو في الحقيقة
جواب الشرط إقامة للسبب مقام المسبب ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء لأن
العدل أن لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم
بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك
ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور
على المرغوب عنها فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست
ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل مع إحداهما
جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل وإن تصلحوا ما كنتم تفسدون من أمورهن وتتقوا فيما يستقبل

فإن

فإن الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وإن يتفرقا وقرئ يتفارقا أي
وإن يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا عن الآخر ببدل أو سلو من سعته غناه وقدرته
وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في أفعاله وأحكامه ولله ما في السماوات وما في
الأرض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعني
اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا أو بأوتوا ومساق
الآية لتأكيد الأمر بالإخلاص وإياكم عطف على الذين أن اتقوا الله بأن اتقوا الله ويجوز
أن تكون أن مفسرة لأن التوصية في معنى القول وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات
وما في الأرض على إرادة القول أي وقلنا لهم ولكم إن تكفروا فإن الله مالك الملك كله
لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وإنما وصاكم لرحمته
لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته
حمد أو لم يحمد ولله ما في السماوات وما في الأرض ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا
حميدا فإن جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما أفاض عليها من الوجود وأنواع
الخصائص والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع إلى قوله يغن الله كلا من
سعته فإنه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك إن يشأ يذهبكم أيها الناس
يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب ويأت بآخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم
أو خلقا آخرين مكان الإنس وكان الله على ذلك من الإعدام والإيجاد قديرا بليغ القدرة
لا يعجزه مراد وهذا أيضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف أمره
وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله من العرب ومعناه معنى قوله وإن تتولوا
يستبدل قوما غيركم لما روي أنه لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على
ظهر سلمان وقال إنهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة
فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فماله يطلب أخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا
آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة أو ليطلب الأشرف منهما فإن من جاهد خالصا
لله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء أو فعند الله ثواب الدارين
فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له الآية وكان الله سميعا
بصيرا عارفا بالأغراض فيجازي كلا بحسب قصده يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط
مواظبين على العدل مجتهدين في إقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه
الله وهو خبر ثان أو حال ولو على أنفسكم ولو كانت الشهادة على أنفسكم بأن تقروا
عليها لأن الشهادة بيان الحق سواء كان عليه أو على غيره أو الوالدين والأقربين ولو على
والديكم وأقاربكم إن يكن أي المشهود عليه أو كل واحد منه ومن المشهود له غنيا أو فقيرا
فلا تمتنعوا عن إقامة الشهادة أو لا تجوروا فيها ميلا وترحما فالله أولى بهما بالغني
والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما أو لهما صلاحا لما شرعها وهو علة للجواب

اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير لا اليه
والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا
لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم عن شهادة
الحق او حكومة العدل وقرئ وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا
عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم يا ايها الذين آمنوا خطاب
للمسلمين او المنافقين او لمؤمني اهل الكتاب اذ روي ان ابن سلام واصحابا له قالوا
يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فنزلت
آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل
اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بالسنتكم او آمنوا
ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القرآن
والثاني الجنس ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اي ومن يكفر
بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه
ان الذين آمنوا يعني اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا
بعد عوده اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلوات الله عليهم او
قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله
ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان
فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم
يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تتعلق به اللام مثل لم يكن
الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان الآية في المنافقين
وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار
على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان انذر تهكما بهم الذين يتخذون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين
او هم الذين ايبتغون عندهم العزة ايتعززون بموالاتهم فان العزة لله جميعا
لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين ولا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن
وقرئ نزل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم آيات الله وهي ان المخففة
والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات جيء بهما لتقييد
النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي
هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا
تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا الآية والضمير في معهم
للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم في الاثم لانكم قادرون

على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك وان الذين يقاعدون الخائضين
في القرآن من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه ان الله جامع المنافقين والكافرين
في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر
ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى
الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني كقوله مثل ما انكم تنطقون الذين يتربصون
بكم ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين
والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن
معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب
فانها سجال قالوا الم نستحوذ عليكم قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا
عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل
ونمنعكم من المؤمنين بان اخذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم
فاشركونا فيما اصبتم وانما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه
مقصور على امر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين
على المؤمنين سبيلا حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد
شرى الكافر للمسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي
ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
سبق الكلام فيه اول سورة البقرة واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره
على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان يراؤون الناس ليخالوهم مؤمنين
والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يرائيه عمله
وهو يريه استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يرائيه
وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد
بالذكر الصلاة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين
بين ذلك حال من واو يراؤون كقوله ولا يذكرون اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين
او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة
وهو جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون
قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال
غير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى
هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين ومن
يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل
الله له نورا فما له من نور يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون
المؤمنين فانه صنيع المنافقين وديدنهم فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله

لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق او سلطانا يسلط
عليكم عقابه إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم
وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين
واما قوله عليه السلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من
اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ
وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ
الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك
ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه إلا الذين تابوا عن النفاق وأصلحوا ما افسدوا من اسرارهم
واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه وأخلصوا دينهم
لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه فأولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين وسوف
يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم
أيتشفى به غيظا او يدفع به ضررا او يستجلب به نفعا وهو الغني المتعال عن النفع والضر
وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا زال بالايمان
والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا
فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا
يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول
إلا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي ان رجلا ضاف قوما
فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون
الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله وكان الله سميعا لكلام
المظلوم عليما بالظالم إن تبدوا خيرا طاعة وبرا أو تخفوه او تفعلوه سرا
أو تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تشبيبا له
ولذلك رتب عليه قوله فإن الله كان عفوا قديرا اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال
قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث للمظلوم على العفو بعدما رخص له في
الانتصار حملا على مكارم الاخلاق إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون
أن يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا
طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله انما
يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا واجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر
بالكل في الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال أولئك هم الكافرون هم الكاملون
في الكفر لا عبرة بايمانهم هذا حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى
هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين

والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل
بين على احد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي أولئك سوف يؤتيهم
أجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة
وان تأخر وقرأ حفص عن عاصم ويعقوب بالياء على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط
منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء
نزلت في احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى وقيل
كتابا محررا بخط سماوي على الواح كما كانت التوراة او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا
بانك رسول الله فقد سألوا موسى أكبر من ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك
فهذا السؤال فانه كان من آبائهم أسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهم والمعنى
ان عرقهم راسخ في ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا أرنا
الله جهرة عيانا اي ارنا نره جهرة او مجاهرين معاينين فأخذتهم الصاعقة نار
جاءت من السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال
التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم
البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها
على التوراة اذ لم تأتهم بعد فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا
عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم
بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى والطور مظل عليهم وقلنا
لهم لا تعدوا في السبت على لسان داود ويحتمل على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فانه
شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود وقرأ ورش عن نافع لا تعدّوا
على ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في الدال وأخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم
سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلناه
بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان تتعلق بحرمنا عليهم
طيبات احلت لهم فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل
عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة
وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله بالقرآن او بما في كتابهم
وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم او في اكنة مما تدعو
اليه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها التوفيق للتدبر
في الآيات والتذكر بالمواعظ فلا يؤمنون إلا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا
لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع
او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله
ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم

وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى
ابن مريم رسول الله اي بزعمهم ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون وان يكون استينافا من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان
ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود
سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه
يرفعه الى السما فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة
فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل
عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه
فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من
الخوارق لا تستبعد في زمن النبوة وانما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جراتهم على الله وقصدهم
قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم
وشبه مسند الى الجار والمجرور وكانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر
على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله وشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة
انا قتلنا على ان ثم مقتولا وان الذين اختلفوا فيه في شان عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة
اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد اخرون وقال
بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا
وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السما انه رفع الى السما وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت
لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد
وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن
استثناء منقطع اي ولكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد
الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا
قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله
كذلك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت
الشي علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات
لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى وان من اهل
الكتاب الا ليؤمنن به اي وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به جملة قسمية وقعت
صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد
الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه
ويؤيد ذلك انه قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد
لهم والتحريض على معالجة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى
والمعنى انه اذا نزل من السما امن به اهل الملل جميعا روي انه ينزل حين يخرج الدجال فيهلكه

ملابيق

فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع
الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى
ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب
وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اي فباي ظلم منهم حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل
الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربا محرما عليهم
كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة
وساير الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وامن لكن الراسخون
في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون منهم او من المهاجرين والانصار يؤمنون
بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا والمقيمين الصلاة نصب على المدح ان جعل يؤمنون
الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبيا اي يؤمنون بالكتاب وبالانبيا وقرئ
بالرفع عطفا على الراسخين او الضمير في يؤمنون او على انه مبتدا والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون
الزكاة رفعه لاحد الاوجه المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الاخر قدم عليه الايمان بالانبيا والكتب
وما يصدقه من اتباع الشرايع لانه المقصود بالاية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم
بين الايمان الصحيح والعمل الصالح انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده
جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السما واحتجاج عليهم بان امره في
الوحي كسائر الانبيا واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى
وايوب ويونس وهرون وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان
ابرهيم اول اولي العزم منهم وعيسى اخرهم والباقين اشراف الانبيا ومشاهيرهم واتينا
داود زبورا قرا حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر دل
عليه اوحينا اليك كارسلنا او فسره قد قصصناهم عليك من قبل اي من قبل هذه السورة
او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به
وقد فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين
ومنذرين نصب على المدح او الحال فيكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم
نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبيا الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات
المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين
وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والاخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد
ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة
وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله وكانه
لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السما واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال

انهم يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل اليك من القران المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم والجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة يشهدون اي وكفى بما اقام من الحجج ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني عن النظر والتامل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتوا بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا وكفى بالله شهيدا اي وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اغرق في الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا بانكار نبوته والناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك والاية تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فامنوا خيرا لكم اي ايمانا خيرا لكم او ايتوا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يودي الى حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض يعني وان تكفروا فانه غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما باحوالهم حكيما فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى حتى رموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله ولا تقولوا على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات والقلوب فامنوا بالله ورسله

ولا تقولوا ثلاثة اي الالهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه كما سبق انما الله اله واحد اي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد اي اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله ويتطرق اليه الفناء له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا لا يماثله شي من ذلك فيتخذه ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشيا كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه ويعينه لن يستنكف المسيح لن يانف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا لله فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله لم تعيب صاحبنا فقال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شي اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبيا وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف عليه اعلى درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الاية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان اراد التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة على المسيح من الانبيا وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الاخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكانه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا عني بالبرهان المعجزات وبالنور القران اي جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او رسول الله والقران فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه ثواب قدره بايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب

وفضل احسان زايد عليه في الدنيا ويهديهم اليه الى الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما
هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الاخرة يستفتونك اي في الكلالة حذفت
لدلالة الجواب عليه روي ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله فقال اني كلالة
فكيف اصنع في مالي فنزلت وهي اخر ما نزل من الاحكام قل الله يفتيكم في الكلالة سبق
تفسيرها في اول السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ
بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال من المستكن في هلك والواو في وله يحتمل
الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة والولد
على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها لا ترث
النصف وهو يرثها اي والمرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس ان لم يكن لها ولد ذكرا كان
او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والاية
كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم
لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله يفتيكم في الكلالة ان فسرت بالميت فان كانتا
اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة
الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما
وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين اصله وان كانوا اخوة
او اخوات فغلب المذكر يبين الله لكم ان تضلوا اي يبين لكم ضلالكم الذي
من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتتحرزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق
والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين والله
بكل شيء عليم فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن
اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم والله اعلم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا اوفوا
بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق قال
الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا
واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها
الله على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات
والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب
والندب احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز
وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة

من الانعام

من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها الظبا وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة
ونحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة
الشبه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم لقوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى
عليكم تحريمه غير محلي الصيد حال من الضمير في لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثنا
وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول وانتم حرم حال عما استكن في محلي وحرم
جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد من تحريم وتحليل يا ايها الذين امنوا لا تحلوا
شعائر الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا سمي به
اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحج واعلام النسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم
شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه التي حدها الله لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال
فيه او بالنسي ولا الهدي ما اهدي الى الكعبة جمع هدية كجدي في جمع جدية السرج
ولا القلائد اي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فانها
اشرف الهدي او القلائد انفسها والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض
للهدي ونظيره قوله ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي
من نعل او لحا شجر او غيرهما ليعلم انه هدي فلا يتعرض له ولا امين البيت الحرام
قاصدين لزيارته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى عنهم
والجملة في موضع الحال من المستكن في امين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم
العامل الموصوف لا يعمل وفايدته استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له
وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روي ان الاية نزلت عام
القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطم
شريح بن ضبيعة وقد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالاية منسوخة وقرئ تبتغون على
خطاب المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم
من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الاتي بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ
بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ احللتم يقال احل المحرم واحل ولا
يجرمنكم لا يحملنكم او لا يكسبنكم شنان قوم شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف
الى المفعول او الفاعل وقرا ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون
وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر ان صدوكم
عن المسجد الحرام اي لان صدوكم عام الحديبية وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه
شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام وهو ثاني مفعولي يجرمنكم فانه
يعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرا يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدي الى
مفعول واحد بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا على البر والتقوى في العفو والاغضاء ومتابعة
الامر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان للتشفي والانتقام واتقوا الله

ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه
الروح من غير تذكية والدم اي الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل
الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي
رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي
ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو خشب او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته
والمتردية التي تردت من علو او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت
والتاء فيها للنقل وما اكل السبع اي وما اكل السبع منه فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد
اذا اكلت مما اصطادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة
من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمري
بمحدد وما ذبح على النصب واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت
يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير
وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام
اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة
اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث غفل
فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل
اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام
وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام
زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه
دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد
بربي وشرك ان اريد به الصنم او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم اليوم
لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل
اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين
كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيره
او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون واخلصوا
الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص
على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم
نعمتي بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ورضيت
لكم الاسلام اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير فمن
اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان
تناولها فسق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي
والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم

غير مائل له ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة لقوله غير باغ ولا عاد
فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه باكله يسألونك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى
القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان
يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ في امثاله والمسؤول ما احل لهم من المطاعم
كانهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سألوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه
الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب او ما لم يدل
نص ولا قياس على حرمته وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات ان جعل ما موصولة
على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح
كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب
مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه
واثر او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه
على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استئناف
مما علمكم الله من الحيل وطرق التاديب فان العلم بها الهام من الله او مكتسب
بالعقل الذي هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه
وينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما امسكن
عليكم وهو ما لم ياكل منه لقوله عليه الصلاة والسلام لعدي بن حاتم وان اكل منه
فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في
سباع الطير لان تاديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقا واذكروا
اسم الله عليه الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا عليه
اذا ادركتم ذكاته واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب فيؤاخذكم بما جل
ودق اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول الذبائح
وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه نصارى
بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس
في ذلك وان الحقوا بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب
غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه
منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات الحرائر او العفائف وتخصيصهن
بعث على ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات
وقال ابن عباس لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل باتيانها
لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها محصنين اعفاء
بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان مسرين به والخدن
الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين

ويبطل الايمان شرايع الاسلام والكفر به انكاره والامتناع عنه يا ايها الذين امنوا اذا
قمتم الى الصلاة اي اذا اردتم القيام كقوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله عبر
عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي
ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلاة لان التوجه الى
الشيء والقيام اليه قصد له وظاهر الاية يوجب الوضوء على كل قايم الى الصلاة وان لم يكن محدثا
والاجماع على خلافه لما روي انه عليه الصلاة والسلام صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال
عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد
والمعنى اذا قمتم الى الصلاة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر
ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه الصلاة والسلام المائدة من اخر القران نزولا فاحلوا حلالها
وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك
وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع
كقوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره مضافة الى
المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فايدة لان مطلق اليد يشتمل
عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم وخروجها منه فلا دلالة لها عليه
وانما يعلم من خارج ولم يكن في الاية وكانت الايدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل
من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة
وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تتميز الغاية هاهنا من ذي الغاية وجب ادخالها
احتياطا وامسحوا برؤوسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت
المنديل وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل
والصقوا المسح برؤوسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤوسكم
فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما يقع
عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة مسح ربع الراس لانه عليه الصلاة والسلام مسح على ناصيته
وهو قريب من الربع ومالك مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع
وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشايعة وعمل
الصحابة وقول اكثر الايمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير
في القران والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة وقولهم جحر
ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفايدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء
عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين اخوته ايماء على وجوب
الترتيب وقري بالرفع على وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا
وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغايط او لامستم النساء فلم تجدوا
ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل

تكريره

تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج
اي ما يريد الامر بالطهارة للصلاة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن يريد
ليطهركم لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم
بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة
والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان
يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه
ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه
انعامه عليكم بعزايمه لعلكم تشكرون نعمته والاية مشتملة على سبعة امور كلها
مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب باعتبار
الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان التهما مايع وجامد
وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير
الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم
في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق
الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة
في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان واتقوا
الله في انساء نعمه ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها فيجازيكم
عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم
شنان قوم على الا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة
بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف
وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم اعدلوا هو اقرب للتقوى
اي العدل اقرب الى التقوى صرح لهم بالامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد
ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار
فما ظنك بالعدل مع المومنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم
به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه
في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء ثايرة الغيظ وعد الله الذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء
بقوله لهم مغفرة فانه استيناف يبينه وقيل الجملة في موضع المفعول فان الوعد
ضرب من القول فكانه قال وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال
الاخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمومنين وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم روي ان المشركين راوا رسول الله واصحابه بعسفان قاموا

الى الظهر معا فلما صلوا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا
الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلاة الخوف والاية اشارة الى ذلك وقيل اشارة
الى ما روي انه عليه الصلاة والسلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم
لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم
اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى
عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله
منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك
مني فقال الله فاسقطه جبريل من يده فاخذه الرسول وقال من يمنعك مني فقال لا احد
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فنزلت إذ هم قوم أن يبسطوا
إليكم أيديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه
اذا شتمه فكف أيديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا
الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر ولقد أخذ
الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب
عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عنهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني
اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض
الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا
فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط كفيلا
عليهم بالوفاء بما امروا فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا
من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم
فرأوا اجراما عظيمة وبأسا شديدا فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن
يوفنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وقال الله إني
معكم بالنصرة لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم
اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير وأقرضتم الله قرضا
حسنا بالانفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول لأكفرن عنكم سيئاتكم
جواب للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط ولأدخلنكم
جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق
به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه
بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم
ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية
وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الآيات والنذر وقرأ حمزة والكسائي قسية
وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو

ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين
يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد
من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب
اذ لا ضمير له فيه ونسوا حظا مما ذكروا به وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه
وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشومه اشياء منها عن حفظهم لما روي ان ابن مسعود
قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية ولا تزال تطلع على خائنة منهم
خيانة او فرقة خائنة او خائن والهاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم
وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم إلا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين امنوا
منهم وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا
وامنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف إن الله يحب المحسنين
تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا
عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم اي واخذنا من النصارى
كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما
قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا
مما ذكروا به فأغرينا فالزمنا من غري بالشيء اذا لصق به بينهم العداوة والبغضاء
إلى يوم القيامة بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم
وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب
يا أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس قد جاءكم رسولنا
يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد واية الرجم في التوراة وبشارة
عيسى باحمد في الانجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به اذا لم تضطر اليه امر ديني
او عن كثير منكم فلا يؤاخذ بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعني القرآن
فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور
محمدا عليه الصلاة والسلام يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما
كواحد في الحكم من اتبع رضوانه من رضاه بالايمان منهم سبل السلام طرق السلامة من
العذاب او سبل الله ويخرجهم من الظلمات إلى النور من انواع الكفر الى الاسلام بإذنه
بارادته وتوفيقه ويهديهم إلى صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق الى الله
ومؤد اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد
منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد
لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم
قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن
مريم وأمه ومن في الأرض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقرير ان المسيح مقدور

فهو قابل للفنا كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات
والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في
امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض
ومن اصل كخلق ما بينهما فينشي من اصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات
ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كما خلق حوا او من انثى وحدها كعيسى او منهما كسائر
الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابنيه عزير والمسيح
كما قيل لاشياع ابي الزبير الخبيبون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم
وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم
فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم
في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة بل
انتم بشر ممن خلق من خلقه الله يغفر لمن يشاء وهو من آمن به وبرسله ويعذب
من يشاء وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليهم ولله
ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء في كونها خلقا وملكا له واليه المصير فيجازي
المحسن باحسانه والمسيء باسائته يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي
الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول
على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة
من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي
او بمبين حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا
ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد
جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما
الصلاة والسلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال على الفترة
كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وستون سنة
واربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سفيان العبسي وفي الاية
امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا ابا يكونون اليه واذ قال
موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم
ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا اي جعل منكم او
فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل
عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم وجعلهم مالكين لانفسهم
وامورهم سماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر
وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم
يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت

احوج

قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض
الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح المحفوظ
انها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعدما عصوا فانها
محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل
لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا
رأسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا في دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله
فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب
على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتأتى مقاومتهم والجبار فعال
من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريد وانا لن ندخلها
حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال
رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين
من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول
محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ الذين يخافون بالضم
اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من
الله بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت وهو صفة
ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم
وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون
لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها
ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او مما علما من عادته
تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا
ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا
نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب
انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله
وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك قال رب اني لا املك الا
نفسي واخي قاله شكوى بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وأيس منهم ولم يبق
معه موافق يثق به غير هرون عليه السلام والرجلان المذكوران وان كانا
يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخي من يواخيه
في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه عطفا
على الضمير في لا املك او على ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير في
نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم
عليهم بما يستحقونه او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها

الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين
سنة يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد
فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله ويؤيد ذلك ما روي ان موسى عليه السلام
سار بعد بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض
في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امره بقتال الجبابرة
فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل واما يتيهون اي
يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقيل لم يدخل الارض
المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم
روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم
حيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود نار يطلع عليهم بالليل فيضيء
لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر على ان
موسى وهرون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في
درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه فمات هرون وموسى بعده بسنة ثم
دخل يوشع اريحا بعد ثلاثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع
فلا تأس على القوم الفاسقين خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم
احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبأ ابني آدم قابيل وهابيل اوحى الله الى
آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط منه قابيل لان توأمته كانت
اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان
نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني آدم
لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل بالحق صفة
مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبأ اي ملتبسا
بالصدق موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف لنبأ او حال منه او بدل
على حذف مضاف اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله
من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك
لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب
زرع وقرب اردأ قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من احدهما
ولم يتقبل من الآخر لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس ما عنده
قال لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل
الله من المتقين في جوابه اي انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني
وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به
صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة

لا تقبل الا من مؤمن متق لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك
لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله
واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه السلام
كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت
للتبري عن هذا الفعل الشنيع راسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك
اكد النفي بالباء اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء
الظالمين تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة
ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك يدك الي ونحوه المستبان ما قالا
فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل
لاجله قربانك وكلاهما في موضع الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله
لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام ان ذلك ان كان لا محالة واقعا
فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون
المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصي جائزة فطوعت له نفسه قتل
اخيه فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه
فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعاه الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة
الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ
بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء
وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض
ليريه كيف يواري سوأة اخيه روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع
به اذ كان اول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر
له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفيرة والضمير في ليريه لله او للغراب وكيف
حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يريه والمراد بسوأة اخيه جسده الميت
فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتى كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من يا
المتكلم والمعنى يا ويلتى احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان
اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله
فاواري عطف على اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت
وقرئ بالسكون على فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين
على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه
الغراب واسوداد لونه وتبري ابويه منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده فساله
آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ
عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله من اجل ذلك

كتبنا على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر أجل شرًّا اذا جناه استعمل
في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتدا الكتب ونشوءه من اجل ذلك انه من قتل
نفسا بغير نفس يوجب الاقتصاص او فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق
فكانما قتل الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرّأ الناس عليه او من
حيث ان قتل الواحد وقتل الجميع سوا في استجلاب المهلكة ومن احياها فكانما احيا الناس
جميعا فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمطلوب منه تعظيم قتل النفس واحيايها في القلوب
ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان
كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم
من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالايات الواضحة تاكيدا للامر
وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض لا يبالون به وبهذا
اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال في الامر انما
جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما
تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به هاهنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية
وان كانت في مصر ويسعون في الارض فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة
او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل يفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا
اي قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا
واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت
او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا
المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار
في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس واو في الاية على هذا
للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق
ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم
الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى
ويدل عليه قوله تعالى فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء
يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها
بعد القدرة لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الاية في قطاع المسلمين لان توبة
المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
وابتغوا اليه الوسيلة اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات
وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا
في سبيله بمحاربة اعدايه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله والفوز
بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف الاموال جميعا ومثله معه ليفتدوا

وجوبه

ليجعلوه

ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيامة واللام متعلقة بمحذوف يستدعيه لو اذ
التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم
الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله بمعنى مع ما تقبل
منهم جواب لو ولو بما في خبره خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى
الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا
من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال
وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما
جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وجملة
عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنها معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي
سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشا لا يقع خبرا الا باضمار
وتاويل والسرقة اخذ مال الغير خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والمأخوذ
ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه السلام القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلما
خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح
والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع
موضع المثنى كما في قوله فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد
اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ
لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله
منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز
حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته واصلح امره بالتفصي
عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه ان الله غفور
رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان
فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي او لكل
احد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير قدم التعذيب على
المغفرة اتباعا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم او لان المراد
به القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
اي صنع الذين يقعون في الكفر سريعا اي في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من
الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين والباء متعلقة بقالوا
لا بآمنا والواو يحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا سماعون
للكذب خبر محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز
ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اي ومن اليهود قوم سماعون واللام في للكذب اما مزيدة
للتاكيد او لتضمين السماع معنى القبول اي قابلون لما تفتريه الاحبار او للعلة والمفعول

ذ

عون

محذوف

أي سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه سماعون لقوم آخرين لم يأتوك أي لجمع آخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا او افراطا في البغضا والمعنى على الوجهين أي مصغون لهم قابلون لكلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان تتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني مكرر للتأكيد اي سماعون ليكذبوا لقوم آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استئناف لا موضع له او في موضع الرفع خبر لمحذوف اي هم يحرفونه وكذلك يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه اي ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وإن لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا اي فاحذروا قبول ما افتاكم به روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم من فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل الله علينا العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم في الدنيا خزي هوان بالجزية والخوف من المؤمنين ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا ان استانفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين سماعون للكذب كرره للتأكيد أكالون للسحت اي الحرام كالرشا من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعي والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امر الله به إن الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شأنهم وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به

منه والآية ليست في أهل الذمة وعند أبي حنيفة يجب مطلقا

وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا

والحال

والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم فيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجب وما أولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه إنا أنزلنا التوراة فيها هدى يهدي الى الحق ونور يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبياء بني اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به الذين أسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشأن المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون والأحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا بآياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما أنزل الله مستهينا به منكرا له فأولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا على اليهود فيها في التوراة أن النفس بالنفس اي ان النفس تقتل بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكأنه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتابة والقراءة تقعان على الجمل كالقول او مستأنفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى والجروح قصاص اي ذات قصاص وقرأ الكسائي ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر

نفقة

بالنفس

على انه اجمال الحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين به اي بالقصاص اي فمن عفى عنه
فهو اي التصدق كفارة له للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه
ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له
لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون
وقفينا على آثارهم اي واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور
عليه والضمير للنبيين بعيسى ابن مريم مفعول ثان عدي اليه الفعل بالباء مصدقا
لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور
في موضع النصب بالحال ومصدقا لما بين يديه من التوراة عطف عليه وكذا قوله
وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا على محذوف وتعليقا
به وعطف ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه او عن الايمان
ان كان مستهينا به والآية تدل على ان الانجيل مشتملة على الاحكام وان اليهودية منسوخة
ببعثة عيسى عليه السلام وان كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله
فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي القرآن
مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد
والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد
لها بالصحة والثبات وقرئ بفتح الميم اي هومن عليه وحوفظ من التغيير والحافظ
له هو الله تعالى او الحفاظ في كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اي بما انزل اليك ولا تتبع
اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة للا تتبع لتضمنه
معنى لا تنحرف او حال من فاعله اي لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا
منكم ايها الناس شرعة شريعة وهي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى
ما هو سبب الحياة الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين
من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة ولو
شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير
نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم
على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة
لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى الحكمة
الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها
انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استئناف
فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان
احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق

اي

اي انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم
واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اي ان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته
بدل من هم بدل الاشتمال اي احذر فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك روي ان
احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار
اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك
فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم
يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع
عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول
لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون
في الكفر معتدون فيه افحكم الجاهلية الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد
بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا
رسول الله ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم
على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف وحذفه من الصلة في قوله اهذا الذي بعث
الله رسولا واستضعف ذلك في غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اي يبغون حاكما
كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهوتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية
تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اي عندهم واللام للبيان كما في قوله
هيت لك اي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون
الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب
بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة النهي اي فانهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم
بعضا لاتحادهم في الدين واجماعهم على مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه
منهم اي من والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا تشديد في وجوب مجانبتهم
كما قال عليه السلام لا تتراءى ناراهما او لان الموالين كانوا منافقين ان الله لا يهدي
القوم الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم
فترى الذين في قلوبهم مرض يعني ابن ابي واضرابه يسارعون فيهم اي في موالاتهم
ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة يعتذرون بانهم يخافون ان
تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار روي ان
عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا
عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال ابن ابي اني
رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي فنزلت فعسى الله ان ياتي بالفتح

تم

رسول الله على اعدائه واظهار المسلمين أو أمر من عنده يقطع شأفة اليهود من القتل
والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اي هؤلاء المنافقون
على ما أسروا في أنفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول
فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم ويقول الذين آمنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة
والكسائي على انه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو
على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة ابي عمرو ويعقوب
عطفا على ان يأتي باعتبار المعنى وكأنه قال عسى الله ان يأتي بالفتح ويقول الذين آمنوا
او يجعله بدلا من اسم الله داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث
او على الفتح بمعنى عسى الله ان يأتي بالفتح وبقول الذين آمنوا فان الاتيان بما يوجبه
كالاتيان به أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم يقوله المؤمنون
بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولونه
لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم
وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا
بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ
كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت أعمالهم فأصبحوا
خاسرين اما من جملة المقول او من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى
التعجب كأنه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يا أيها الذين آمنوا من يرتد
منكم عن دينه قراءة نافع على الاصل وابن عامر وهو كذلك في الامام والباقون بالادغام
وهذا من الكائنات التي اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في اواخر
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار
الاسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض
رسول الله من غدها واخبر الرسول في تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر في
اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله من مسيلمة
رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد
رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين فحاربه ابو بكر بجند المسلمين وقتله وحشي قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة
ابن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال
الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصن
وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم
مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة
وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله امرهم

علي

على يده ودخل في امرة عمر غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام فسوف يأتي الله بقوم
يحبهم ويحبونه قيل هم اهل اليمن لما روي انه عليه الصلاة والسلام اشار الى ابي موسى وقال
قوم هذا وقيل الفرس لانه عليه الصلاة والسلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان
فقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة الاف من
كندة وبجيلة وثلاثة الاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأتي
الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب
في الاخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه أذلة على المؤمنين عاطفين
عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فانه ذلل واستعماله مع على اما لتضمين معنى العطف
والحنو والتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة
أعزة على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال
يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون
لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب
في دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون
في جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم
واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف
فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله
إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لما نهي عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو
حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله
وللمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة صفة للذين آمنوا فانه
جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون متخشعون
في صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي يؤتون الزكاة في حال ركوعهم
في الصلاة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله
سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان
المراد بالولي المتولي للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الجمع
على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب
الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلاة
لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكاة ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ومن
يتخذهم اولياء فإن حزب الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر
موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكأنه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله
هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشأنهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا
بمن يوالي غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب
من قبلكم والكفار أولياء نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث أظهرا
الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم
على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء الى العلة وتنبيها على ان من هذا شانه بعيد عن
الموالاة جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من
جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق
على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطف على الذين اتخذوا على ان
النهي عن موالاة من ليس على الحق راسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه
عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله بترك المناهي
ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده
واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلاة او المناداة
وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلاة روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن
يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة
بنار فتطاير شرره في البيت فاحرقته واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون
فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه قل يا أهل الكتاب
هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه
وقرئ تنقمون بفتح القاف وهي لغة الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل
من قبل الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون عطف على ان آمنا
وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم
حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون عنه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون
فحذف المضاف او على ما اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم او على
علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان آمنا لقلة انصافكم وفسقكم
او نصب باضمار فعل دل عليه تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع
على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب المال
يمنعكم عن الانصاف والآية لهود سالوا رسول الله عمن يؤمن به فقال أؤمن بالله
وما انزل الينا وما انزل الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم
دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي من ذلك المنقوم مثوبة عند
الله جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت هاهنا
موضعها على طريقة قوله• تحية بينهم ضرب وجيع• ونصبها على التمييز عن بشر
من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر
على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله

اوخبر

١٣٧

او خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم
وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت
وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت
مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من وكذا
عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد بمعنى صار معبودا فيكون الراجع
محذوفا اي فيهم او بينهم ومن قرا وعابد الطاغوت او عبد على انه نعت كفطن او عبده
او عبد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذف التاء للاضافة عطفه على
القردة ومن قرا وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة
وكل من اطاعوه في معصية الله اولئك اي الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون
ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل قصد الطريق
المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقا
لا بالاضافة الى المؤمنين في الشرارة والضلال واذا جاؤوكم قالوا آمنا نزلت في يهود
نافقوا رسول الله او في عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي
يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا
وبالكفر وبه حالان من فاعلي دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح
ان يقع حالا افادت ايضا لهما من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول
يظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا
منهم اي من اليهود والمنافقين يسارعون في الاثم اي الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم
الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان
ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اي الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا
يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم
واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل الماضي افاد التوبيخ
واذا دخل المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون
من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وترو وتحري اجادة ولذلك ذم به
خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا
كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو ممسك يقتر
بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد او غل او بسط
ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله• جاد الحمى بسط اليدين بوابل• شكرت نداه
ونظيره من المجازات المركبة• شابت لمة الليل• وقيل معناه ان الله فقير كقوله تعالى
لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا
دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي حقيقة يغلون اسارى في

الطاغوت
ويغظ
لذلك
تلاعه ووهاده•
الدنيا
واهله نيام
أهل الكتاب
خطاب

مستحيل الى الثاني في الآخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقوله
سبني سب الله دابره (بل يداه مبسوطتان) ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل واثباتا
لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا
والآخرة وعلى ما يعطي للاستدراج وما يعطي للاكرام (ينفق كيف يشاء) تأكيد لذلك اي هو
مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيته ومقتضى حكمته لا على
تعاقب ضيق وسعة في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها
مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والآية نزلت في
فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك ولما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم
محمدا صلوات الله عليه واشرك فيه الآخرون لانهم رضوا به (وليزيدن كثيرا منهم ما انزل
اليك من ربك طغيانا وكفرا) اي هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون
من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء (والقينا بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيامة) فلا يتوافق قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم (كلما اوقدوا نارا للحرب
اطفاها الله) كلما ارادوا حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم
منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا التوراة
سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط
عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا (ويسعون
في الارض فسادا) اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك
المحارم (والله لا يحب المفسدين) فلا يجازيهم الا شرا (ولو ان اهل الكتاب آمنوا)
بمحمد وما جاء به (واتقوا) ما عددنا من معاصيهم ونحوه (لكفرنا عنهم سيئاتهم) اي التي فعلوها
ولم نؤاخذهم بها (ولادخلناهم جنات النعيم) ولجعلناهم من الداخلين فيها وفيه
تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي
لا يدخل الجنة ما لم يسلم (ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل) باذاعة ما فيهما والقيام
باحكامهما (وما انزل اليهم من ربهم) يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون
بالايمان بها كالمنزل اليهم او القرآن (لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم) لوسع عليهم
ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماء والارض ويكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع
او لرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنون ما من رأس الشجر ويلتقطون ما تساقط
على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم لشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم
آمنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين (منهم امة مقتصدة)
عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة
في عداوته (وكثير منهم ساء ما يعملون) اي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اي ما اسوء
عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة (يا ايها الرسول)

بلغ

(بلغ ما انزل اليك من ربك) جميع ما انزل غير مراقب احدا ولا خائف مكروها (وان لم تفعل)
وان لم تبلغ جميعه كما امرتك (فما بلغت رسالته) فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها
يضيع ما ادي منها كترك بعض اركان الصلاة فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك
ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل
سواء في الشناعة واستجلاب العقاب (والله يعصمك من الناس) عدة وضمان من الله
بعصمة روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره (ان الله لا يهدي القوم
الكافرين) لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالته
فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت
وعن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من
قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وظاهر الآية يوجب
تبليغ كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله
اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه (قل يا اهل الكتاب
لستم على شيء) اي دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل (حتى تقيموا
التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم) ومن اقامتها الايمان بمحمد والاذعان
لحكمه فان الكتب الالهية باسرها آمرة بالايمان لمن صدقه المعجزة ناطقة
بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها (وليزيدن
كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين)
فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم
وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون
والنصارى) سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره
محذوف والنية به التأخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا
والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب وقوله
والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض دل به على انه لما
كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم
الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا
عليه ومن آمن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا
وانت بما عندك راض والرأي مختلف ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط
بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدا وخبر ان معا فيجتمع
عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التأكيد والفصل ولانه يوجب كون
الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون
منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) في محل الرفع

بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدا كما مر والراجع محذوف
اي من امن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابيين وهو الظاهر
والصابيون بقلب الهمزة يا والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت
لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل
وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى
انفسهم بما يخالف هواهم من الشرايع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون
جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اي رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه
ذلك وهو استيناف وانما جي بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا
واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤوس الاي
وحسبوا الا تكون فتنة اي وحسب بنو اسرائيل انه لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبيا
وتكذيبهم وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب ان لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من
الثقيلة واصله انه لا تكون وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم
لتمكنه في قلوبهم وان او ان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين او الدلايل
والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اي
ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله عماهم
وصمهم اي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم
بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدا
محذوف اي العمي والصم كثير منهم وقيل مبتدا والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقدم
الخبر في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين
قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي
وربكم اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله
في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة يمنعه من دخولها
كما يمنع المحرم عليه المحرم فانها دار الموحدين وماواه النار فانها المعدة للمشركين
وما للظالمين من انصار اي وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا
على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى وان يكون
من كلام الله تنبيها على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم
فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اي احد ثلاثة
وهو حكاية عما قاله النسطورية وما سبق قول اليعقوبية القايلين بالاتحاد وما من اله
الا اله واحد وما في الوجود ذات واجب الوجود مستحق للعبادة من حيث
انه مبدا جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن
مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم

وتخفيف ان وحذف ضمير الشان

عذاب اليم

عذاب اليم اي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه
موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع
عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه اي الا يتوبون بالانتهاء عن
تلك العقايد والاقوال الزايغة ويستغفرون بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول
بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي
هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله
الرسل اي ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله بايات كما خصهم بها فان احيى
الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب
فقد خلق ادم من غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة كساير النسا اللاتي يلازمن
الصدق او يصدقن الانبيا كانا ياكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات
بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الوهية لان كثيرا من
الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان
يكونا من اعداد المركبات الكاينة الفاسدة ثم تعجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال
هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون كيف
يصرفون عن استماع الحق وتامله وثم لتفاوت ما بين العجبين اي ان بياننا للايات
عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا
يعني عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله
به من البلايا والمصايب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه
في ذاته توطية لنفي القدرة عنه راسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة
تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم
من تحري النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقايد فيجازي عليها ان خيرا
فخير وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق غلوا باطلا فترفعوا
عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل
الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم
وايمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم في شريعتهم واضلوا كثيرا
ممن تابعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي
هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم
عن مقتضى العقل والثاني اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا
من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم اي لعنهم الله في الزبور والانجيل
على لسانهما وقيل اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود فمسخهم الله قردة
واصحاب المايدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف

رجل

ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم
واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي لا ينهى بعضهم
بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله
وتهيؤوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس
ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم من
اهل الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله والمؤمنين
لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيامة
ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب
سخط الله والخلود في العذاب او علة الذم والمخصوص بالذم محذوف اي لبئس شيئا
ذلك لانه كسبهم السخط والخلود ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني نبيهم وان كانت الاية في
المنافقين فالمراد نبينا وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك
ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن اشد
الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف
كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم
على تكذيب الانبيا ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا
انا نصارى للين جانبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه
اشار بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون عن قبول
الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع
والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كانت في كافر
واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون
وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تابيهم عنه
والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من
فرط البكا كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتدا والثانية لتبيين
ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا
عرفوا كله يقولون ربنا امنا بذلك او بمحمد فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا
بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهدا على الامم يوم القيامة وما لنا لا نؤمن بالله
وما جانا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار واستبعاد
لانتفا الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول في مداخلهم
او جواب سائل قال لم امنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى الفعل
اي واي شي حصل لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه
ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطية وتعظيما ونطمع عطف

على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها
او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزا المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل
او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والاية اربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه
بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقراه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين
معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفرا ان يقرا القران فقرا عليهم سورة
مريم فبكوا وامنوا بالقران وقيل نزلت في ثلثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا عليهم سورة يس فبكوا وامنوا والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بايات الله على الكفر
وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها
جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل
الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على
ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك
والاعتدا عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب
المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون
الاية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا
واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صايمين قايمين
وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك وان لا يقربوا النسا والطيب
ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك
رسول الله فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا
وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم
واتي النسا فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا اي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال
منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان تكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز
ان يكون مفعولا وحلالا حالا من الموصول او العائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف
وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فايدة غير التاكيد واتقوا الله الذي
انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد
كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي وقيل الحلف على ظن انه كذلك ولم
واليه ذهب ابو حنيفة وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن

عليهم

يكن

ورقة قلوبهم

يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة
والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر وابن ذكوان عاقدتم
وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه
وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا
للحنفية لقوله عليه السلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت
الذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع
او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله
النصب لانه صفة مصدر محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط
ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون اليا
على لغة من يسكنها في الاحوال الثلث كالالف وهو جمع اهل كالليالي في جمع ليل
والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط
ان جعل بدلا وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء او ازار وقرئ بضم
الكاف وهو لغة كقدوة وكاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا
او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع
وتقديره او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي
فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال مطلقا وتخيير
المكلف في التعيين فمن لم يجد اي واحدا منها فصيام ثلثة ايام فكفارته
صيام وشرط ابو حنيفة فيه التتابع لانه قرئ ثلثة ايام متتابعات والشواذ
ليس بحجة عندنا اذ لم تثبت كتابا ولم ترو سنة ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم
اذا حلفتم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها
لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم
كذلك اي مثل ذلك البيان يبين الله لكم اياته اعلام الشرائع لعلكم تشكرون
نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه
يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام التي نصبت للعبادة والازلام
سبق تفسيرها في اول السورة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر للخمر وخبر
المعطوفات محذوف او لمضاف محذوف كانه قال انما تعاطي الخمر والميسر من عمل
الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر
او للتعاطي لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم
الخمر والميسر في هذه الاية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماها
رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر
بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما

من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع
بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وانما
خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر
الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام
شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصد
عنها كالصد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد
الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف وقال
فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد
انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا ما نهيا عنه او
فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي فاعلموا انكم لم تضروا الرسول
بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم ليس على الذين امنوا
وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وامنوا
وعملوا الصالحات اي اذا اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم
اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وامنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على اتقاء
المعاصي واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم الخمر
قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون
الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة او الحالات
الثلاث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس
وبين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه السلام
في تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه
ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض
المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة والله يحب
المحسنين فلا يؤاخذهم بشيء وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله
محبوبا يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت
عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون
من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه
على انه ليس من العظائم التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت
عنده كيف يثبت عند ما هو اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من
عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر
العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك الابتلاء
بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم

فيه فيكتف به فيما يكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد
وانتم حرم اي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح
والذكاة للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه
السلام خمس يقتلن في الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب
العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل
كل موذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذابح فيلحق مذبوح المحرم
بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب
ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر
على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف المتعمد والمخطي واحد في
ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد
اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه
فقتله فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين
ويعقوب فعليه او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار
بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له بل لا توصف
ما لم يتم بها وانما يكون صفته وقرا الباقون على اضافة المصدر الى المفعول
واقحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي جزاء يماثل
ما قتل ومجازاة مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك
والشافعي والقيمة عند ابي حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت
ثمن هدي تخير بين ان يهدي ما قيمته قيمته وبين ان يشتري بها طعاما
فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن
طعام كل مسكين يوما فان لم يبلغ تخير بين الاطعام والصوم واللفظ
للاول لانه قوله يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره
في خبره او منه اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدر وكما ان التقويم يحتاج
الى نظر واجتهاد تحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا
وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان
نون لتخصصه بالصفة او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه
بالغ الكعبة وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه
في الحرم والتصدق به ثمة وقال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء
او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام مساكين
عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرا نافع وابن عامر كفارة طعام
بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي وان يكفر باطعام مساكين

ما يساوي

ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما
او ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق
للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدل الحمل وذلك اشارة الى
الطعام وصياما تمييز للعدل ليذوق وبال امره متعلق بمحذوف اي فعليه الجزاء
او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام او
الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا
الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه المرة
ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة
على العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه
احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله
عليه السلام في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا
السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه
وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة
اي ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر اي ما صيد فيه او
الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل
والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او يصطد لكم
ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذي اليه تحشرون
جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف
بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم اي سبب انتعاشهم
في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويامن فيه الضعيف ويربح فيه التجار
ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرا ابن عامر
قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه لما اعل فعله ونصبه على المصدر
او الحال والشهر الحرام والهدي والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الذي
يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة الى
الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في
السموات وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب
المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم
تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور
رحيم وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه
ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر اي الرسول اتى بما امر به
من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق

والتكذيب ونحو ذلك ترغيبه **قل لا يستوي الخبيث والطيب** حكم عام في نفي المساواة عند الله
بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال المال
ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود
القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال **فاتقوا الله يا اولي الالباب**
اي فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل **لعلكم تفلحون** راجين ان تبلغوا
الفلاح روي انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان
كانوا مشركين **يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا**
عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان للاشياء والمعنى
لا تسألوا رسول الله عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم
وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمكم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء
اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشيء
على ان اصله شيّئ كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده
منع صرفه **عفا الله عنها** صفة اخرى اي عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي
انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله
حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم
فنزلت او استيناف اي عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها **والله**
غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما تفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس انه عليه
الصلاة والسلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم
فقال لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال رجل اين ابي فقال في النار وقال آخر من ابي فقال حذافة
وكان يدعى لغيره فنزلت **قد سألها قوم** الضمير للمسألة التي دل عليها لا تسألوا ولذلك
لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار **من قبلكم** متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان
ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها **ثم اصبحوا بها**
كافرين اي بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا او جحدوا **ما جعل الله من بحيرة ولا**
سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا
نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب
ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم
الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما
وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا
ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك
تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة **ولكن الذين كفروا يفترون على الله**
الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه **واكثرهم لا يعقلون** اي الحلال من الحرام والمبيح

من المحرم

من المحرم او الآمر والمحرم ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن
يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به **واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل**
الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم
في التقليد وان لا سند لهم سواه **اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون**
الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اي احسبهم ما وجدوا
عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم
مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد **يا ايها الذين آمنوا عليكم**
انفسكم اي احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا
ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء **لا يضركم من ضل اذا اهتديتم**
لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال
عليه الصلاة والسلام من رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان
لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون
على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك فنزلت
ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب
او النهي لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وينصره
قراءة من قرأ لا يضرَّكم بالفتح ولا يضِركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره
الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه
على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره **يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم** اي فيما امرتم
شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة
بالنصب والتنوين على ليقم **اذا حضر احدكم الموت** اذا شارفه وظهرت اماراته وهو
ظرف الشهادة **حين الوصية** بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون
فيه او ظرف حضر **اثنان** فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف
ذوا عدل منكم اي من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان **او آخران من غيركم**
عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا
ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم فيها **فاصابتكم مصيبة الموت** اي قاربتم
الاجل **تحبسونهما** توقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول
عليه بقوله او آخران من غيركم اعتراض وفائدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان
منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استيناف كأنه قيل كيف نعمل ان ارتبنا
بالشاهدين فقال تحبسونهما **من بعد الصلاة** صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس
وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اي صلاة **فيقسمان بالله ان ارتبتم** ان ارتاب
الوارث منكم **لا نشتري به ثمنا** مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال

الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا لا نحلف بالله كاذبا لطمع ولو
كان ذا قربى ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اي لا نشتري ولا نكتم
شهادة الله اي الشهادة التي امرنا باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدا
الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد
كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الاثمين اي ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر فان اطلع على انهما استحقا
اثما اي فعلا ما اوجب اثما كتحريف فاخران فشاهدان اخران يقومان مقامهما
من الذين استحق عليهم من الذين جني عليهم وهم الورثة وقرا حفص استحق
على البنا للفاعل وهو الاوليان الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو
خبر محذوف اي هما الاوليان او مبتدا خبره اخران او بدل منهما او من الضمير في
يقومان وقرا حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او بدل
منه اي من الذين استحق وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان
واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما
اصدق منها واولى بان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن
الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى
ومعنى الاثنين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه
او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كانا في سفر فاخران
من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت
فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف اخران من اوليا الميت والحكم منسوخ
ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث
وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق
الوصي باليمين لامانته او لتغيير الدعوى اذ روي ان تميما الداري وعدي بن بدي
خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص
وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه
ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه
انا من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة
وطالبوهما بالانا فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
يا ايها الذين امنوا الاية فاتاهما بنو سهم في ذلك فقالا قد اشترينا منه ولكن
لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي رفاعة السهميان وحلفا
ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة ذلك اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد

تفتضحا

ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا
بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا
الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين اي
فان لم تتقوا وتسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم
الى حجة او الى طريق الجنة وقوله يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من
مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا
خبر يوم جمعه او منصوب باضمار اذكر فيقول اي للرسل ماذا اجبتم اي اي اجابة
اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر او باي شي اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال
لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا
اي لا علم لنا بما لست تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما اجابونا
واظهروا لنا وما لم نعلم مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم ورد الامر
الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما
احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم
بقوله انك انت اي انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على
الاختصاص او النداء اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى
والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة قوله ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه
تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من
الايات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا اخرون فاتخذوهم الهة او نصب
باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ ايدتك
بروح القدس بجبريل عليه السلام او بالكلام الذي يحيى به الدين او النفس حياة
ابدية ويطهر من الاثام ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد وكهلا اي
كائنا في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولة والكهولة على سواء والمعنى
الحاق حاله في الطفولية بحال الكهولة في كمال العقل وبه استدل على انه سينزل
فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل
واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ
الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني سبق تفسيره في سورة
ال عمران وقرا نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ كففت
بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف
لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اي ما هذا الذي
جئت به الا سحر وقرا حمزة والكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام
واذ اوحيت الى الحواريين اي امرتهم على السنة رسلي ان امنوا بي وبرسولي

يجوز ان تكون ان مصدرية وان تكون مفسرة **قالوا آمنا واشهد باننا**
مسلمون مخلصون **إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم** منصوب باذكر او ظرف
لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاهم الاخلاص مع قولهم **هل يستطيع ربك ان**
ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل
هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة
وقيل المعنى هل يطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب
واجاب وقرا الكسائي هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك
من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك او من
ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة **قال**
اتقوا الله من امثال هذا السؤال **ان كنتم مؤمنين** بكمال قدرته وصحة نبوتي
او صدقتم في ادعا الايمان **قالوا نريد ان ناكل منها** تمهيد عذر وبيان لما دعاهم
الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها **وتطمئن قلوبنا** بانضمام علم المشاهدة
الى علم الاستدلال بكمال قدرته **ونعلم ان قد صدقتنا** في ادعا النبوة او ان
الله يجيب دعوتنا **ونكون عليها من الشاهدين** اذا استشهدتنا او من الشاهدين
للعين دون السامعين للخبر **قال عيسى ابن مريم** لما ان راى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك
وانهم لا يقلعون عنه فاراد الزامهم الحجة بكمالها **اللهم ربنا انزل علينا مائدة**
من السماء تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور
العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر **لاولنا وآخرنا** بدل
من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا روي انها نزلت يوم الاحد
فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل ياكل منها اولنا واخرنا وقرئ لاولانا واخرانا
بمعنى الامة والطائفة **وآية** عطف على عيدا **منك** صفة لها اي آية كائنة منك دالة على
كمال قدرتك وصحة نبوتي **وارزقنا** المائدة او الشكر عليها **وانت خير الرازقين**
خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض **قال الله اني منزلها عليكم**
اجابة الى سؤالكم **فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا** اي تعذيبا ويجوز ان
يجعل مفعولا به على السعة **لا اعذبه** الضمير للمصدر او العذاب ان اريد به
ما يعذب به على حذف حرف الجر **احدا من العالمين** اي من عالمي زمانهم
او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم
روي انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين
ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها
مثلة وعقوبة ثم قام فتوضا وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله
خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها

ملح

١٣٥

ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة
على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس
قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما
ولكنه اخترعه الله بقدرته كلوا مما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزيدكم من فضله
فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله
فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم
عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تاتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء
والصغار والكبار ياكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم ياكل
منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى
ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس
لذلك فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا وقيل لما وعد الله انزالها بهذه الشريطة
استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله تعالى
لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف
فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في
حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى ان حصلتم الايمان فاستعملوا
التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فسال لاجل
اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان
السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به
ضلالا بعيدا **واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أانت قلت للناس اتخذوني وامي**
الهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة
لالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون الله اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان
عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده
او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان
عبادتهما توصل الى عبادة الله تعالى وكانه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بهما
الى الله **قال سبحانك** اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك **ما يكون لي**
ان اقول ما ليس لي بحق ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله **ان كنت قلته**
فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم
ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد
بالنفس الذات **انك انت علام الغيوب** تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه
ما قلت لهم الا ما امرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل
عليه **ان اعبدوا الله ربي وربكم** عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس من شرط

البدل

جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر ومفعوله مثل هو اعنى ولا يجوز ابداله مما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان يكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يؤول القول بالامر فكانه قيل ما امرتهم الا بما امرتني به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي رقيبا امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني بالرفع الى السماء لقوله اني متوفيك ورافعك الي والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات وانت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم فانهم عبادك اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد والتعليق بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان للنفع لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا على انهم غير اولي العقل في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة بهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام [illegible] وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمدا ولم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشأهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به هو الذي خلقكم من طين اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن يأتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل التغيير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ان ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحياة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث وهو الله الضمير لله والله خبره في السموات وفي الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غيره كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لا تتقدم عليه ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر

من احوال الانس بالمكتب احوال الجوارح **وما تأتيهم من آية من آيات ربهم** من الاولى مزيدة
للاستغراق والثانية للتبعيض اي ما يظهر لهم قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية
من آيات القران **إلا كانوا عنها معرضين** تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه **فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم** يعني القران وهو كاللازم لما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها
كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القران وكذبوا به وهو اعظم
الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء **فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا
به يستهزءون** اي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزءون عند نزول العذاب بهم في الدنيا
او الآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره **ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من
قرن** اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل
ثمانون سنة وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم قلت المدة او كثرت
واشتقاقه من قرنت **مكناهم في الأرض** جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها
او اعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها **ما لم نمكن
لكم** ما لم نجعل لكم من السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة من
القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب **وأرسلنا السماء عليهم**
اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها **مدرارا** مغزارا **وجعلنا الأنهار
تجري من تحتهم** فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والثمار **فأهلكناهم** واحدا
بذنوبهم اي لم يغن ذلك عنهم شيئا **وأنشأنا** واحدثنا **من بعدهم قرنا آخرين**
بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين
يعمر بهم بلاده يقدر ان يفعل ذلك بكم **ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس** مكتوبا في
رق **فلمسوه بأيديهم** فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم
ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدي
لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء **لقال الذين كفروا إن هذا
إلا سحر مبين** تعنتا وعنادا **وقالوا لولا أنزل عليه ملك** هلا انزل عليه ملك يكلمنا
انه نبي كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا **ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر** جواب
لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه
كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم **ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
وللبسنا عليهم ما يلبسون** جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب
اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة
والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينوه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة
دحية الكلبي فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته وانما رآهم كذلك
الأفراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اي ولو جعلناه رجلا للبسنا

اي خلطنا

اي خلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ
وللبسنا بالتشديد للمبالغة **ولقد استهزئ برسل من قبلك** تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه **فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا
به يستهزءون** فاحاط بهم الذي كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله
او فنزل بهم وبال استهزائهم **قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان
عاقبة المكذبين** كيف اهلكهم الله بعذاب الاستئصال كي تعتبروا
والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل
النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها
وايجاب النظر في آثار الهالكين **قل لمن ما في السماوات والأرض** خلقا وملكا وهو
سؤال تبكيت **قل لله** تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث
لا يمكنهم ان يذكروا غيره **كتب على نفسه الرحمة** التزمها تفضلا واحسانا والمراد
بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال
الكتب والامهال على الكفر **ليجمعنكم إلى يوم القيامة** استئناف وقسم للوعيد على اشراكهم
واغفالهم النظر اي ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم او في
يوم القيامة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه
عليكم **لا ريب فيه** في اليوم او الجمع **الذين خسروا أنفسهم** بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة
الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اي وانتم الذين
او على الابتداء والخبر **فهم لا يؤمنون** والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم
فان ابطال العقل باتباع الحواس والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى
الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان **وله** عطف على الله **ما سكن في الليل والنهار**
من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم والمعنى ما اشتمل
عليه او من السكون اي ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر **وهو السميع**
لكل مسموع **العليم** بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم
وافعالهم **قل أغير الله أتخذ وليا** انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم
واولي الهمزة والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك **فاطر السماوات والأرض** مبدعهما
وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما
انا فطرتها اي ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع
والنصب على المدح **وهو يطعم ولا يطعم** يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه
وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو
فاطر السماوات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على ان الثاني من اطعم
بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط **قل إني**

امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم سابق امته في الدين ولا تكونن
من المشركين وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب
يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون
العذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول وجوابه محذوف دل عليه الجملة
من يصرف عنه يومئذ اي يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به
محذوف او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز
المبين اي الظفر والنجاة وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف
له فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على
كل شيء قدير فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه لقوله فلا راد
لفضله وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو
الحكيم في امره وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اي شيء اكبر شهادة
نزل حين قالت قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك
عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشيء يقع على كل موجود
وقد سبق القول فيه في سورة البقرة قل الله اي الله اكبر شهادة ثم ابتدئ شهيد
بيني وبينكم اي هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان
الشهيد كان اكبر شهادة واوحي الي هذا القرآن لانذركم به اي بالقرآن واكتفى بذكر
الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل
مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم ايها الموجودون ومن
بلغه الى يوم القيامة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين ومن بعدهم وانه
لا يؤاخذ بها من لم تبلغه ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى تقرير لهم
مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد اي بل اشهد
ان لا اله الا هو وانني بريء مما تشركون يعني الاصنام الذين آتيناهم الكتاب
يعرفونه يعرفون رسول الله بحليته المذكورة في التوراة والانجيل
كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين
فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله او كذب بآياته كأن قالوا
كذبوا بالقرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين
تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس انه الضمير للشان
لا يفلح الظالمون فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب
بمضمر تهويلا للامر ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها

اي

شركاء لله وقرأ يعقوب يحشر ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون اي تزعمونهم شركاء
فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ
ليفقدوها في الساعة التي علقوا الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم
ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اي كفرهم والمراد عاقبته
وقيل معذرتهم التي يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته
وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير
وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر
بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتأنيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون
بالياء والنصب والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع
من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل
معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم
اي بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة والكسائي ربنا بالنصب
على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع اليك
حين تتلو القرآن والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم
اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي
جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم
وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء ان يفقهوه كراهة
ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد تحقيق ذلك في اول البقرة وان
يروا كل آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاؤوك
يجادلونك اي بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤوك يجادلونك وحتى هي التي تقع بعدها
الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير
الاولين فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك
حال لمجيئهم ويجوز ان تكون الجارة واذا جاؤوك في موضع الجر ويجادلونك يقول
تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر
واصله السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه اي ينهون الناس عن القرآن او الرسول
والايمان وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وينأون عنه فلا يؤمنون به كابي طالب وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون ان
ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار جوابه محذوف
اي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها
فيعرفون مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف

قبته

وما يهلكك ولا يهلكك

بعليه وقوفا

فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين
استيناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعني ولا اعود اي انا لا اعود تركتني او لم
تتركني او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون في حكم المتمنى وقوله انهم لكاذبون
راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار
ان بعد الواو واجرائها مجرى الفاء وقرا ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثاني
على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من
التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك
ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا اي الى الدنيا بعد الوقوف والظهور لعادوا
لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا
عطف على قوله لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استيناف بذكر ما قالوه في الدنيا
ان هي الا حياتنا الدنيا الضمير للحياة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم
مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف
قال اليس هذا بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب
والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين
لانجلاء الامر غاية الجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او ببدله
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله
البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له
بغتة فجاة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا اي تعالي فهذا
اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها في الحياة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة
يعني في شانها والايمان بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم
آصار الآثام الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو
اي وما اعمالها الا لعب ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة
حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها
وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقرا ابن عامر ولدار
الآخرة افلا تعقلون اي الامرين خير وقرا نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين
به او تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون معنى قد زيادة
الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشان وقرى ليحزنك
من احزن فانهم لا يكذبونك في الحقيقة وقرا نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه اذا
وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولكنهم يجحدون
آيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا
لتمرنهم على الظلم والباء لتضمن الجحود معنى التكذيب روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك

وانك عندنا الصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من
قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس
بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتا
سّ بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل
لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآية
ولقد جاءك من نبا المرسلين اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان
كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان
استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم بآية منفذا
ينفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها
آية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين
بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل
والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر
ان ياتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى اي ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا
ولكن لم تتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء لجمعهم
على الهدى بان ياتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن
من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من ادب
الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتامل
لقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم
الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل
عليه آية من ربه اي آية مما اقترحوه او آية اخرى سوى ما انزل من الآيات
المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل
آية مما اقترحوه او آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او آية ان جحدوها هلكوا
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم
البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرا ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد
وما من دابة في الارض تدب على وجهها ولا طائر وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل
يطير بجناحيه صفة قطعا لمجاز السرعة ونحوها الا امم امثالكم
محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته
وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم
للحمل على المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل
على ما يجري في العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القرآن

فانه دوّن فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر
لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف
ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من
القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها والذين كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات
الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون
بالحق في الظلمات خبر ثالث اي خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمات الجهل
وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر من يشإ الله يضلله
من يشإ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشأ يجعله على
صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل ارأيتكم استفهام تعجيب والكاف
حرف خطاب اكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول ارأيتك زيدا
ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلثة
مفاعيل ولزم في الآية ان يقال ارأيتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره
ارأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقرأ نافع ارأيتكم وارأيت وارأيتم وافرأيت وشبهها اذا
كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة والكسائي يسقطها اصلا والباقون يحققونها وحمزة اذا
وقف وافق نافعا ان اتاكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة وهولها
ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام
آلهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في
مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه
الى كشفه ان شاء اي يتفضل عليكم ولا يشاء في الآخرة وتنسون ما تشركون وتتركون
آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول على انه القادر على كشف الضر دون غيره او تنسون
من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اي قبلك ومن زائدة فأخذناهم
اي فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالبأساء بالشدة والفقر والضراء الضر والآفات
وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم
فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم
ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان
للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها
الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم
ابواب كل شيء من انواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا
لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روي انه عليه السلام قال مكر
بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه يعقوب
فيما عدا هذا والذي في الاعراف حتى اذا فرحوا اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا

الهمزة التي بعده

على

على البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون
متحسرون آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا او اخرهم بحيث لم يبق منهم احد
من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على هلاكهم فان هلاك
الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقايدهم واعمالهم نعمة
جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اصمكم
واعماكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم من اله غير الله
يأتيكم به اي بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف
الآيات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب
وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله
بغتة من غير مقدمة او جهرة بتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا ونهارا
وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك اي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم
الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين
الا مبشرين ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم المؤ
بالجنة فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب
ولا هم يحزنون بفوات الثواب والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب
كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب
خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله مقدوراته او خزائن
رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح الي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول
ولا اقول لكم اني ملك اي من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه ان اتبع الا ما
تبرأ عن دعوى الالوهية وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر لاستبعادهم دعواه
وجزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي والجاهل
والعالم او مدعي المستحيل كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة افلا تتفكرون
فتهتدوا او فتميزوا بين الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحي مما لا محيص عنه
وانذر به الضمير لما يوحى الي الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المؤمنون
المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه
فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه
ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشرون فان المخوف هو الحشر على هذه الحالة لعلهم
يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بعدما امره
بانذار المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية
لقريش روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب
وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم

يوحى الي

عنا اذا جئنا قال نعم وروي ان عمر رضي الله عنه قال لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون
فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب فنزلت فالمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل
صلاة الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة هنا وفي الكهف **يريدون وجهه** حال من يدعو
ن ربهم مخلصين فيه قيد الدعا بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهي عليه
اشعارا بانه يقتضي ذلك وينافي ابعادهم **ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك
عليهم من شيء** اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله اعظم من ايمان
من تطردهم بسؤالهم طمعا في ايمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم
واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المؤمنين وان كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون
وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك
اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى
لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا
فيه **فتطردهم** فتبعدهم وهو جواب النفي **فتكون من الظالمين** جواب النهي
ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبيب وفيه نظر **وكذلك فتنا بعضهم
ببعض** ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا فتنا اي
ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفا على اشراف قريش
بالسبق الى الايمان **ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا** اي اهؤلاء من انعم الله
عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤسا وهم المساكين
والضعفا وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم
لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى
خذلنا **أليس الله باعلم بالشاكرين** بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن
لا يقع فيخذله **واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على
نفسه الرحمة** الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم ووصفهم بالايمان بالقرآن
واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأ بالتسليم او يبلغ
سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا
بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب ولا يطرد
ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة وقيل ان قوما
جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيا
فانصرفوا فنزلت **انه من عمل منكم سوءا** استيناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع
وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها **بجهالة** في موضع الحال اي من عمل ذنبا
جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل
الجهلة فان ارتكاب ما يؤدي الى الضرر من افعال اهل الجهل **ثم تاب من بعده** بعد العمل

او السؤ

(هامش: نسخه — عمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وعمن لا يقع فيخذله)

(هامش: نسخه — بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله)

او السوء **واصلح** بالتدارك والعزم على ان لا يعود عليه **فانه غفور رحيم** فتحه غير فتح الاول
غير نافع على اضمار مبتدا او خبر اي فامره او فله غفرانه **وكذلك** ومثل ذلك التفصيل الواضح
نفصل الآيات آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين
ولتستبين سبيل المجرمين قرأه نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد
سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو
ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على ولتستبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير
السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي ليفصل الآيات ليظهر الحق
وليستبين **قل اني نهيت** صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الآيات
في امر التوحيد **قل لا اتبع اهواءكم** تاكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب
للنهي وعلة للامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدا ضلالهم وان ما هم
عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد **قد ضللت
اذا** اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت **وما انا من المهتدين** اي في شيء من الهدى حتى اكون
من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك **قل اني على بينة** تنبيه على ما يجب اتباعه
بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من
الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحي او الحجج العقلية او ما يعمهما **من ربي** من
معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة **وكذبتم به** الضمير له في
اي كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى **ما عندي ما تستعجلون
به** يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السما او ائتنا بعذاب
اليم **ان الحكم الا لله** في تعجيل العذاب وتاخيره **يقضي الحق** اي القضا الحق او يصنع
الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتاخير واصل
القضا الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع
وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر **وهو خير الفاصلين** القاضين **قل لو ان عندي**
اي في قدرتي ومكنتي **ما تستعجلون به** من العذاب **لقضي الامر بيني وبينكم** لاهلكتكم
عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم **والله اعلم بالظالمين** في معنى الاستدراك
كانه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم **وعنده مفاتح الغيب**
خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح الذي
هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات
المحيط علمه بها **لا يعلمها الا هو** فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها
على ما تقتضي حكمته وتعلقت به مشيته وفيه دليل على ان الله تعالى يعلم الاشيا قبل وقوعها **ويعلم
ما في البر والبحر** عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم

بالمغيبات بدو وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة
في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله الا في كتاب مبين
بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به
اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة او على الابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي
يتوفاكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة
في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص
الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي
فيه في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المستيقظ اخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم
بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الاية خطاب للكفرة والمعنى
انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للاثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم
من القبور في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار ليقضى
الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة
ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة في ذلك ان المكلف اذا علم ان اعماله
تكتب عليه وتعرض على رؤوس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده
واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه حتى اذا
جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرا حمزة توفاه بالالف ممالة
وهم لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة
ونقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم
الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره وهو اسرع الحاسبين
يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر
والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار فقيل
لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرا يعقوب ينجيكم
بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا
وقرا ابو بكر هنا وفي الاعراف خفية بالكسر لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
على ارادة القول اي يقولون لئن انجيتنا وقرا الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه
وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون
ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد
وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله فكانه لم يعبده
راسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل
او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم

او من تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء
شتى فينشب القتال بينكم قال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها
يدي ويذيق بعضكم باس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الايات بالوعد والوعيد
لعلهم يفقهون وكذب به قومك عند وقوعه في الدنيا وفي الاخرة اي العذاب او القران
وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم فامنعكم
من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبا خبر يريد اما العذاب واما الايعاد
به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا او في الاخرة
واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم
فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد الضمير على معنى الايات لانها القران
واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي وقرا ابن عامر ينسينك
بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر
موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما
على الذين يتقون وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم
من شيء مما يحاسبون عليه ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض
وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى
ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يابى ذلك ولا على شيء كذلك ولان من لا تزاد بعد الاثبات
لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون
والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم
كلما استهزؤوا بالقران لم نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا
دينهم لعبا ولهوا اي بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا
كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث
سخروا به او جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم
ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا
ومن جعله منسوخا باية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم
الحياة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به اي بالقران ان تبسل نفس بما كسبت مخافة
ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته
لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ليس لها من دون
الله ولي ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية
لانها تعادل المفدي وههنا الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند الى منها لا
الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدي به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اي سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة
وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل

لذلك والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم قل أندعوا
أنعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على أعقابنا
ونرجع إلى الشرك بعد إذ هدانا الله فأنقذنا منه ورزقنا الإسلام كالذي استهوته الشياطين
كالذي ذهبت به مردة الجن في المهامه استفعال من هوى يهوي إذا ذهب وقرأ حمزة استهواه
بألف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد أي مشبهين الذي استهوته أو على المصدر
أي ردا مثل رد الذي استهوته في الأرض حيران متحيرا ضالا عن الطريق له أصحاب
لهذا المستهوى رفقة يدعونه إلى الهدى إلى أن يهدوه الطريق المستقيم أو إلى الطريق
المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا قل إن هدى
الله الذي هو الإسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وأمرنا لنسلم لرب العالمين
من جملة المقول عطف على إن هدى الله واللام لتعليل الأمر أي أمرنا بذلك لنسلم وقيل
هي بمعنى الباء وقيل هي زائدة وأن أقيموا الصلاة واتقوه عطف على لنسلم أي للإسلام
ولإقامة الصلاة أو على موقعه كأنه قيل وأمرنا أن نسلم وأن أقيموا روي أن عبد الرحمن
بن أبي بكر دعا أباه إلى عبادة الأوثان فنزلت وعلى هذا كان أمر الرسول بهذا القول
إجابة عن الصديق تعظيما لشأنه وإظهارا للاتحاد الذي كان بينهما وهو الذي إليه
تحشرون يوم القيامة وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم
يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر أي قوله الحق يوم يقول كقولك القتال
يوم الجمعة والمعنى أنه الخالق للسموات والأرض وقوله الحق نافذ في الكائنات وقيل يوم
منصوب بالعطف على السموات أو الهاء في واتقوه أو بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق
مبتدأ وخبر أو فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق أي لقضائه كن فيكون والمراد
حين يكون الأشياء ويحدثها أو حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الأموات وإحياءها
وله الملك يوم ينفخ في الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب
والشهادة أي هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للآية وإذ قال إبراهيم لأبيه
آزر هو عطف بيان لأبيه وفي كتب التواريخ أن اسمه تارخ فقيل هما علمان له كإسرائيل ويعقوب
وقيل العلم تارخ وآزر وصف ومعناه الشيخ أو المعوج ولعل منع صرفه لأنه أعجمي حمل على موازنه
أو نعت مشتق من الأزر أو الوزر والأقرب أنه علم أعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده
فلقب به للزوم عبادته أو أطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل
مضمر يفسره ما بعده أي أتعبد آزر ثم قال أتتخذ أصناما آلهة تفسيرا أو تقريرا ويدل عليه
أنه قرئ أأزرا تتخذ أصناما بفتح همزة وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء
وهو يدل على أنه علم إني أراك وقومك في ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك نري
إبراهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه
تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات والأرض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها

والملكوت

والملكوت أعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين أي ليستدل وليكون
أو وفعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي تفصيل وبيان لذلك
وقيل عطف على قال إبراهيم وكذلك نري اعتراض فإن أباه وقومه كانوا يعبدون الأصنام
والكواكب فأراد أن ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم إلى الحق من طريق النظر والاستدلال
وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة أو المشتري وقوله هذا ربي على سبيل
الوضع فإن المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالإفساد أو على
وجه النظر والاستدلال وإنما قاله زمان مراهقته أو أول أوان بلوغه فلما أفل أي غاب
قال لا أحب الآفلين فضلا عن عبادتهم فإن الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضي
الإمكان والحدوث وينافي الألوهية فلما رأى القمر بازغا مبتدئا في الطلوع قال
هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين استعجز نفسه واستعان
بربه في درك الحق فإنه لا يهتدي إليه إلا بتوفيقه إرشادا للقوم وتنبيها لهم على أن
القمر أيضا لتغير حاله لا يصلح للألوهية وأن من اتخذه إلها فهو ضال فلما رأى الشمس بازغة
قال هذا ربي ذكر اسم الإشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأنيث هذا أكبر
كبره استدلالا أو إظهارا لشبهة الخصم فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون
من الأجرام المحدثة المحتاجة إلى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به ثم لما
تبرأ عنها توجه إلى موجدها ومبدعها لأنه رأى الكواكب الذي دلت هذه الممكنات
عليه فقال إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين
وإنما احتج بالأفول دون البزوغ مع أنه أيضا انتقال لتعدد دلالته ولأنه رأى الكوكب
الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه في التوحيد قال
أتحاجوني في الله في وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بخلاف عن هشام بتخفيف النون
وقد هدان إلى توحيده ولا أخاف ما تشركون به أي لا أخاف معبوداتكم في وقت لأنها
لا تضر بنفسها ولا تنفع إلا أن يشاء ربي شيئا أن يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب
لتخويفهم إياه عن آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربي كل شيء علما كأنه علة الاستثناء
أي أحاط به علما فلا يبعد أن يكون في علمه أن يحيق بي مكروه من جهتها أفلا تتذكرون
فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف أخاف ما أشركتم ولا يتعلق به ضر
ولا تخافون أنكم أشركتم بالله وهو حقيق بأن يخاف منه كل الخوف لأنه إشراك للمصنوع
بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع ما لم ينزل به عليكم سلطانا
ما لم ينزل بإشراكه كتابا ولم ينصب عليه دليلا فأي الفريقين أحق بالأمن أي الموحدون
أو المشركون وإنما لم يقل أينا أنا أم أنتم احترازا من تزكية نفسه إن كنتم تعلمون ما يحق أن يخاف
منه الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون استئناف
منه أو من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم هاهنا الشرك لما روي أن الآية لما نزلت

شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام ليس ما تظنون انما
هو ما قال لقمان لابنه يا بني ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان تصدق بالصانع الحكيم
ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم
عليه السلام على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني
اليه حجتنا آتيناها ابراهيم ارشدناه اليها او علمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا
ان جعل خبر تلك او بمحذوف ان جعل بدله اي آتيناها ابراهيم حجة على قومه نرفع
درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرا الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم في
رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له اسحق ويعقوب
كلا هدينا اي كلا منهما ونوحا هدينا من قبل من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على
ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم
اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية
ابراهيم فلو كان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الاية والتي بعدها
والمذكورون في الاية الثالثة عطف على نوح داود وسليمن وايوب
ايوب بن اموص من اسباط عيص بن اسحاق ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي
المحسنين اي ونجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابراهيم برفع درجاته وكثرة اولاده
والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية تتناول
اولاد البنت والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية
الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى كل من الصالحين الكاملين في الصلاح
وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل واليسع هو اليسع بن
اخطوب وقرا حمزة والكسائي والليسع وعلى القراءتين هو علم اعجمي ادخل عليه اللام كما ادخل على
اليزيد في قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله
ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو هاران بن اخي ابراهيم وكلا فضلنا على العالمين
بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم
عطف على كلا او نوحا اي فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم
واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او
هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك
هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل
بالهداية ولو اشركوا اي لو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم
ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط عملهم بسقوط ثوابها اولئك الذين آتيناهم
الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة
والرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلاثة هؤلاء يعني قريشا فقد وكلنا بها اي

بمراعاتها

بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار
او اصحاب النبي او كل من آمن به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء
المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقتهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا
عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى
الكل ولا يمكن التاسي بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عليه الصلاة والسلام متعبد
بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع
وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف وحذف الهاء في الوصل خاصة حمزة
والكسائي واشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان على انها كناية المصدر وكسرها
بغير اشباع برواية هشام قل لا اسألكم عليه اي على التبليغ او القرآن اجرا جعلا من
جهتكم كما لم يسئل من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو
اي التبليغ او القرآن او الغرض الا ذكرى للعالمين الا تذكير او عظة لهم وما قدروا
الله حق قدره وما عرفوا حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل
الله على بشر من شيء حين انكروا الوحي وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته
او في السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم
اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله تعالى
قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه
قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قرا بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا
وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء جهلهم للتوراة وذمهم على تجزئتها بابداء
بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه روي ان مالك
بن الصيف قاله لما اغضبه الرسول بقوله انشدك الذي انزل التوراة على موسى هل
تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال
التوراة على موسى لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل
علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم زيادة
على ما في التوراة وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا
القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش
قل الله اي انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن
غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في
اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف متصل
بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه
يعني التوراة او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك
اي للبركات ولتنذر او علة لمحذوف اي ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت

مكة سميت بها لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض
دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرأ ابو بكر عن عاصم بالياء اي لينذر
الكتاب ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون
به وهم على صلاتهم يحافظون فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف
يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة
وتخصيص الصلاة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
فزعم ان الله بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي
ونظرائه او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب
لرسول الله فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشأناه
خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال
عليه الصلاة والسلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد
اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله
كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف
عليه اي ولو ترى الظالمين في غمرات الموت شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة
باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ او بالعذاب اخرجوا انفسكم اي يقولون
لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها
من ايدينا اليوم يريد به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية تجزون
عذاب الهون اي الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون
لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك ودعوى
النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا
للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان
والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى وقرئ فرادا
كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم
عليها في الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين
ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم وتركتم
ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه
شيئا ولم تحملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء
الله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم
والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع
والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل
لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم

شافع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب
والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة يخرج الحي يريد به
ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت
من الحي ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع
موقع البيان له ذلكم الله اي ذلكم المحيي المميت هو الذي يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون
عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق
ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصباح
سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا
يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به او يسكن
فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لانه في معنى الماضي ويدل عليه
قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به
على ان المراد به جعل مستمر في الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا
على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتداء
والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا على ادوار مختلفة تحسب بها الاوقات ويكونان علمي
الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب
كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير
العزيز الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير
الممكنة لهما وهو الذي جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر
في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات
على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما اجملها بقوله لكم قد فصلنا الآيات
بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذي انشأكم من نفس واحدة
هو آدم عليه الصلاة والسلام فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض
واستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان
بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع مفعول اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار
منا دون الاستيداع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها
ظاهر وذكر مع تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال
مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذي انزل من السماء ماء من السحاب
او من جانب السماء فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور
وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن
النخل من طلعها قنوان اي واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها
قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان

وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه
اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها
من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات
من اعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثم جنات او من الكرم
جنات ولا يجوز عطفه على نبات او نصب على الاختصاص قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل
والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين
عندهم مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه
غير متشابه في الهيئة والقدر واللون والطعم انظروا الى ثمره اي ثمر كل واحد من ذلك وقرأ
حمزة والكسائي بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب
اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه
او الى نضيجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا
ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه وبانعه ان في ذلكم لايات
لقوم يؤمنون اي لايات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة
والانواع المختلفة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم
تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه
او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء
الجن اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم
او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق
الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء
والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل
من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا
ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اي وما يخلقون
من الاصنام او شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا
وافتروا وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اي وزوروا بنين وبنات فقالت
اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم
من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اي
خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات
والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى
انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه اي في سورة البقرة ورفعه
على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد اي من اين او كيف
يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل ولان الاسم ضمير الله

او ضمير

١٥٦

او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق
التخصيص الى الاول وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول ان من مبدعاته السموات والارض
وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى
عنها او ان ولد الشيء نظيره ولا نظير له والثاني ان المعقول من الولد كفوء الوالد ولا كفوء له
لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافيه والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات
ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ الله ربكم
لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه
حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل
اي مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب
على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه الابصار لا تحيط به جمع بصر وهو حاسة النظر وقد يقال
للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك
مطلق الرؤية ولا النفي في الآية عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص
فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط
علمه بها وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب
اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف
مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر
جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي لها الحق وتبصرها فمن ابصر
اي ابصر الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمي عن الحق وضل فعليها وباله وما
انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام
ورد على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك نصرف الآيات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو
اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا درست
اي وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو
دارست اي دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اي قدمت
هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست
ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست بمعنى درست اي دارست
اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اي عفون
ودرس اي درس محمد ودارسات اي قديمات او ذات درس كقوله عيشة راضية
ولنبينه اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن
وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي اليك
من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا
في الالوهية واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى رأيهم ومن جملة

ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد

منسوخ بآية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما
أشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم
حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
اي ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى
الباطل بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا
وعدوا وعدوا وعداء روي انه عليه السلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن
سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم
سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما
يؤدي الى الشر شر كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم
عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه
به تزيين سب الله لهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة
والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال والداعي لهم الى هذا
القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول صلى الله عليه وسلم في طلب الآيات واستحقار ما رأوا منها
لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله هو قادر عليها
يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وارادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام
انكار انها اي ان الآية المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون اي لا تدرون انهم لا يؤمنون
انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها
اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وابو بكر عن عاصم ويعقوب بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم
والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الآية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن
عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم
على حلفهم اي وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن
وغيره من الآيات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم عطف على لا يؤمنون اي وما يشعركم
انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها
كما لم يؤمنوا به بما انزل من الآيات اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وندعهم
متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء
للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا
عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا او تأتي بالله والملائكة
قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجهين حال من كل وانما جاز
ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال
اي لا يؤمنون في حال الا حال مشيئة الله ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن

أكثرهم

أكثرهم يجهلون انهم لو اوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون
ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون
فيتمنون نزول الآية طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما جعلنا لك عدوا
جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه
شياطين الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او اول مفعولي جعلنا وعدوا
مفعوله الثاني ولكل متعلق به او حال منه يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين
الانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه
غرورا مفعول له او مصدر في موضع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك
يعني معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل
على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة
عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة
لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر
وضعفه ظاهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا
وليكتسبوا ما هم مقترفون من الآثام أفغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد افغير
الله اطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه
ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا
اي القرآن المعجز مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه
وتقريره مغن عن سائر الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق
تأييد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم
مع انه عليه الصلاة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان
اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم متمكن منه بادنى تأمل وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرأ ابن عامر و
حفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل
لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين او خطاب
الرسول لخطاب الامة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي
لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمات ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار
والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته
لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل او لا احد يقدر ان يحرفها شائعا ذائعا كما فعل بالتوراة
على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله تعالى بالحفظ كقوله وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب
بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم به وهو القرآن وهو السميع لما يقولون
العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اي اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او اتباع
الهوى وقيل الارض مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال [illegible]

إن يتبعون إلا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق او جهالتهم واراؤهم الفاسدة فان الظن
يطلق على ما يقابل العلم وإن هم إلا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد
وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدرون انهم على شيء وحقيقته
ما يقال عن ظن وتخمين إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين اي اعلم
بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر
في مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتدا والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يُضل
اي يضله الله فتكون من منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين من قوله من يضلل الله
او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه
وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون
الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه
إن كنتم بآياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه الله
وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه
وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن
عامر فصل على البنا للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البنا للفاعل إلا ما اضطررتم إليه
مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة وإن كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرأ
الكوفيون بضم اليا والباقون بالفتح بأهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد
العلم إن ربك هو أعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر
الإثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان
إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكتسبون ولا تأكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه ظاهره في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد
مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله صلى الله عليه وسلم ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق
ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله تعالى وإنه
لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تأكلوا
وإن الشياطين ليوحون ليوسوسون إلى أوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تأكلون ما
قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التأويل بالميتة وإن أطعتموهم في استحلال
ما حرم إنكم لمشركون فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما
حسن حذف الفا لان الشرط بلفظ الماضي أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي
به في الناس مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والايات يتأمل بها في الاشياء
فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفته وهو
مبتدا خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء
في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمنين ايمانهم زين للكافرين

ما كانوا

١٥٨

ما كانوا يعملون والاية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار وابي جهل وكذلك جعلنا
في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا
بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز
ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة
ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس وما يمكرون إلا بأنفسهم
لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي
رسل الله يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف حتى صرنا كفرسي رهان
قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت الله أعلم حيث يجعل رسالته
استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده
فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه وقرأ ابن كثير وحفص عن
عاصم رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيامة
وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم
فمن يرد الله أن يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للإسلام فيتسع
له وينفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه
وينافيه واليه اشار عليه الصلاة والسلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح
وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور
والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو
عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر
اي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر كأنما يصعد في السماء شبهه مبالغة في
ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به
على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع عليه الصعود وقيل معناه كأنما يتصاعد الى السما نبوا عن الحق
وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد
بمعنى يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب
والخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذي جاء به القرآن او الى الاسلام
او الى ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذي ارتضاه او عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته
مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها
معنى الاشارة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله وان كل ما يحدث من خير
او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام
دار الله اضافها الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم
في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم قدرها غيره وهو وليهم مواليهم وناصرهم بما كانوا يعملون بسبب
اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او نقول والضمير

جعلنا في كل قرية
والمكر بهم

لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات مثواكم خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعلت مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلبون فيها الى الزمهرير وقيل الا ما شاء قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة ولكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل لقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيامة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فانهم اغتروا بالحياة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سبق من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله ان يشأ يذهبكم اي ما به حاجة الى ان يشأ يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشأكم من ذرية قوم آخرين قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم ان ما توعدون من البعث واحواله

وربك الغني عن العباد والعبادة

لآت لكاين

اذا تمكن ابلغ تمكن او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة

لآت لكاين لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القرآن وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضي به اليه وتسجيل بان المهدد لا يتأتى منه الا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر ان يتقضى عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعلت من استفهامية بمعنى اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اي فسوف تعرفون الذي تكون له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقي انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا اي مشركو العرب لله مما ذرأ خلق من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم روي انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منها لآلهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان رأوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما لآلهتهم وان رأوا ما لآلهتهم ازكى تركوه لها حبا لآلهتهم وفي قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكي له وفي قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله تعالى به وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا كالود والود ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين في قسمة القربات زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالوأد ونحرهم لآلهتهم شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من الضرورات كقوله فزججتها متمكنا زج القلوص ابي مزادة وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم او وما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل لآلهتهم انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج اي ضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة

وأنعام حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب والحوامي وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها
في الذبح وإنما يذكرون أسماء الأصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على
المصدر لأن ما قالوه تقول على الله والجار متعلق بقالوا أو بمحذوف هو صفة له أو على
الحال أو المفعول له والجار متعلق به أو بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه
أو بدله وقالوا ما في بطون هذه الأنعام يعني أجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا
ومحرم على أزواجنا حلال للذكور خاصة دون الإناث إن ولد حيا لقوله وإن يكن ميتة
فهم فيه شركاء فالذكور والإناث فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فإن ما في معنى الأجنة
ولذلك وافق عاصم في رواية أبي بكر وابن عامر تكن بالتاء وخالفهم هو وابن كثير في ميتة فنصب
كغيرهم أو التاء فيه للمبالغة كما في رواية الشعر أو هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ
بالنصب على أنه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا أو حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في لذكورنا
ولا من الذكور لأنها لا تتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب
وخالصة بالرفع والإضافة إلى الضمير على أنه بدل من ما أو مبتدأ ثان والمراد به ما كان
حيا والتذكير في فيه لأن المراد بالميتة ما يعم الذكر والأنثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم
أي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله وتصف ألسنتهم الكذب إنه حكيم
عليم قد خسر الذين قتلوا أولادهم يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة
السبي والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير سفها بغير علم
لخفة عقلهم وجهلهم بأن الله رازق أولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال أو المصدر
وحرموا ما رزقهم الله من البحائر والسوائب ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة في
مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين إلى الحق والصواب وهو الذي أنشأ جنات من
الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه الأرض
وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت في البراري والجبال
والنخل والزرع مختلفا أكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقي
مقيس عليه أو للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه أو للجميع على تقدير أكل ذلك أو كل
واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لأنه لم يكن كذلك عند الإنشاء والزيتون والرمان
متشابها وغير متشابه يتشابه بعض أفرادها في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا
من ثمره إذا أثمر وإن لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الأكل منه قبل أداء
حق الله وآتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة
فإنها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل الزكاة والآية مدنية والأمر بإيتائها يوم الحصاد
ليهتم بها حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الأداء وليعلم أن الوجوب بالإدراك لا بالتنقية وقرأ
ابن كثير وابن عامر ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا في

من ثمر كل واحد منهما

الصدق

التصدق ولا تبسطوا كل البسط إنه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الأنعام حمولة وفرشا
عطف على جنات أي وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح أو ما يفرش المنسوج من
شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الأرض مثل الفرش المفروش لها
كلوا مما رزقكم الله كلوا ما أحل لكم منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند
أنفسكم إنه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية أزواج بدل من حمولة وفرشا أو مفعول كلوا
ولا تتبعوا معترض بينهما أو فعل دل عليه أو حال من ما بمعنى مختلفة أو متعددة والزوج ما معه
آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الأول من الضأن اثنين زوجين اثنين
الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية أزواج وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالإبل
وجمعه ضئين أو جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين
التيس والعنز وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب
وصحب وحارس وحرس وقرئ معزى قل آلذكرين ذكر الضأن وذكر المعز حرم أم الأنثيين
أم أنثييهما ونصب الذكرين والأنثيين بحرم أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين
أو ما حملت إناث الجنسين ذكرا كان أو أنثى نبئوني بعلم بأمر معلوم يدل على أن الله حرم
شيئا من ذلك إن كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه ومن الإبل اثنين ومن
البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين
كما سبق والمعنى إنكار أن الله حرم من الأجناس الأربعة ذكرا أو أنثى وما تحمل إناثها ردا عليهم
فإنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة وأولادها تارة زاعمين أن الله حرمها
أم كنتم شهداء بل أكنتم حاضرين مشاهدين إذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم الله
بهذا التحريم إذ هم لا يؤمنون بنبي فلا طريق لهم إلى معرفة أمثال ذلك إلا المشاهدة
والسماع فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب إليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم
المقررون لذلك أو عمرو بن لحي المؤسس له ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم
الظالمين قل لا أجد في ما أوحي إلي أي في القرآن أو فيما أوحي إلي مطلقا وفيه تنبيه
على أن التحريم إنما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة
إلا أن يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر برفع
ميتة على أن كان هي التامة وقوله أو دما مسفوحا عطف على أن مع ما في حيزه أي إلا وجود
ميتة أو دما مسفوحا أي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال أو لحم خنزير فإنه
رجس فإن الخنزير أو لحمه قذر لتعوده أكل النجاسة أو خبيث مخبث أو فسقا عطف
على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل أهل لغير الله به صفة له موضحة وإنما سمي ما ذبح
على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز أن يكون فسقا مفعولا له من أهل وهو
عطف على يكون والمستكن فيه راجع إلى ما رجع إليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته
الضرورة إلى تناول شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فإن

غفور رحيم لا يؤاخذه والآية محكمة لأنها تدل على أنه لم يجد فيما أوحي إلى تلك الغاية محرما
غيرهن وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر
الواحد ولا على حل الأشياء الأخر إلا بالاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له إصبع
كالإبل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب على الظلم
تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والإضافة لزيادة
الربط إلا ما حملت ظهورهما إلا ما علقت بظهورهما أو الحوايا أو ما اشتمل على الأمعاء
جمع حاوية أو حاوياء كقاصعاء وقواصع أو حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على
شحومهما وأو بمعنى الواو أو ما اختلط بعظم هو شحم الألية لاتصالها بالعصعص ذلك التحريم
أو الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وإنا لصادقون في الإخبار أو الوعد والوعيد
فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بإمهاله
فإنه لا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل أو ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو
بأس شديد للمجرمين فأقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على إنزال البأس عليهم
مع الدلالة على أنه لازب لهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين أشركوا إخبار عن مستقبل
ووقوع مخبره يدل على إعجازه لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء أي لو شاء
خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله تعالى فلو شاء لهداكم أجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا أرادوا
بذلك أنهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بإرادة الله إياها
منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم أي
مثل هذا التكذيب لك في أن الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم
الرسل وعطف آباؤنا على الضمير في أشركنا من غير تأكيد للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي
أنزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من أمر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم
فتخرجوه لنا فتظهروه لنا إن تتبعون إلا الظن ما تتبعون في ذلك إلا الظن وإن أنتم
إلا تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الأصول ولعل
ذلك حيث يعارضه قاطع إذ الآية فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت
غاية المتانة والقوة على الإثبات أو بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد
كأنها تقصد إثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهداكم أجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء
ضلالة قوم وهداية آخرين قل هلم شهداءكم أحضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند أهل الحجاز وفعل
يؤنث ويجمع عند تميم وأصله عند البصريين ها لم من لم إذا قصد حذفت الألف لتقدير السكون
في اللام فإنه الأصل وعند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بإلقاء حركتها على اللام وهو بعيد لأن
هل لا تدخل الأمر ويكون متعديا كما في الآية ولازما كقوله هلم إلينا الذين يشهدون أن الله
حرم هذا يعني قدوتهم فيه استحضرهم لتلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وأنه لا متمسك لهم
لمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالإضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم فإن شهدوا فلا

تشهد

تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فإن تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة
ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على أن مكذب الآيات متبع الهوى لا غير
وأن متبع الحجة لا يكون إلا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الأوثان وهم بربهم يعدلون
يجعلون له عديلا قل تعالوا أمر من التعالي وأصله أن يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم
أتل أقرأ ما حرم ربكم منصوب بأتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز أن يكون
استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول أتل لأنه بمعنى أقل أي أي شيء حرم ربكم عليكم متعلقة
بحرم أو أتل ألا تشركوا به أي لا تشركوا ليصح عطف الأمر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل
المفسر بما حرم فإن التحريم باعتبار الأوامر يرجع إلى أضدادها ومن جعل أن ناصبة
فمحلها النصب بعليكم على أنه للإغراء أو بالبدل من ما أو من عائده المحذوف على أن لا زائدة
أو الجر بتقدير اللام أو الرفع على تقدير المتلو أن لا تشركوا أو المحرم أن تشركوا شيئا يحتمل
المصدر والمفعول وبالوالدين إحسانا أي وأحسنوا بهما إحسانا ووضعه موضع النهي عن الإساءة
إليهما للمبالغة وللدلالة على أن ترك الإساءة في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا
أولادكم من إملاق من أجل فقر ومن خشيته كقوله تعالى خشية إملاق نحن نرزقكم وإياهم
منع لموجبية ما كانوا يفعلون لأجله واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب
أو الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الإثم وباطنه ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله إلا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم إشارة إلى ما ذكر مفصلا
وصاكم به بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فإن كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا
مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن إلا بالخصلة التي هي أحسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى
يبلغ أشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وأنعم أو شد ككلب وأكلب وقيل مفرد
كآنك وأوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا إلا وسعها إلا ما يسعها
ولا يعسر عليها وذكره عقيب الأمر معناه أن إيفاء الحق عسر فعليكم بما في وسعكم وما وراءه
معفو عنكم وإذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له
من ذوي قرابتكم وبعهد الله أوفوا يعني ما عهد إليكم من ملازمة العدل وتأدية أحكام الشرع
ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وقرأ حمزة وحفص والكسائي تذكرون بتخفيف الذال
حيث وقع إذا كان بالتاء والباقون بتشديدها وأن هذا صراطي مستقيما الإشارة فيه إلى ما ذكر
في السورة فإنها بأسرها في إثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائي إن
بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون بها مشددة بتقدير
اللام على أنه علة لقوله فاتبعوه وقرأ ابن عامر صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط
ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الأديان المختلفة أو الطرق التابعة للهوى فإن مقتضى الحجة
واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم
عن سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع وصاكم به لعلكم تتقون

الضلال المتفرق عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصاكم وثم للتراخي في الاخبار
او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا اتينا
موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن على كل من احسن القيام به ويؤيده ان
قرئ على الذين احسنوا او على الذي احسن تبليغه وهو موسى او تماما على ما احسنه اي اجاده من العلم
والشرايع اي زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي على الذي هو احسن
او على الوجه الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج
اليه في الدين وهو مع هدى ورحمة عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى
ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقائه للجزاء وهذا كتاب
يعني القرآن انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه
وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الكتاب على طائفتين
من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انما لان الباقي حينئذ المشهور من الكتب
السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان هي المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة ضمير
كان اي وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي او لا نعرف مثلها او تقولوا
عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا
ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة
من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تامل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله
بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضل واضل سنجزي
الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم
او صدهم هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن
لما كان لحوقه لهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تأتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب
وقرا حمزة والكسائي بالياء هنا وفي النحل او يأتي ربك او امره بالعذاب او كل آية يعني آيات القيامة
والهلاك الكلي لقوله او يأتي بعض آيات ربك يعني اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء
ابن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تذاكرون
قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا
بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها
وياجوج وماجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع
نفسا ايمانها كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان برهانيا وقرئ تنفع بالتاء لاضافة
الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف
على آمنت والمعنى لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة في
ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم
وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف

على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا
منتظرون وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد الثلاثة انا منتظرون له وحينئذ لنا
الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا
فيه قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية
الا واحدة وتفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة
والكسائي فارقوا اي باينوا وكانوا شيعا فرقا تشيع كل فرقة منهم اماما لست منهم
في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم او انت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض
لهم هو منسوخ باية السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون
بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثالها فضلا من الله وقرأ
يعقوب عشر بالتنوين وامثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء
الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة
العقاب قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج
دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى وهداني صراطا مستقيما او منصوب بفعل مضمر دل
عليه الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم
باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم والكسائي قيما على انه مصدر نعت به وكان
قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا
حال من ابراهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان صلاتي ونسكي عبادتي كلها
او قرباني او حجي ومحياي ومماتي وما انا عليه في حياتي واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات
الحياة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحياة والممات انفسهما وقرأ نافع محياي
باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره
وبذلك القول او الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي مقدم على اسلام امته
قل اغير الله ابغي ربا فاشركه في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم وهو رب
كل شيء حال في موضع العلة للانكار والدليل له اي وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية
ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر
وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم
يوم القيامة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل
وهو الذي جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في ارضه تتصرفون
فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض
درجات في الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتاكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لان
ما هو آت قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه

ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه
تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك بعدد
كل اية من سورة الانعام يوما وليلة سورة الاعراف مكية الا ثماني ايات من قوله
واسالهم الى قوله واذ نتقنا الجبل محكمة كلها وقيل الا قوله واعرض عن الجاهلين وايها مائتان وخمس
غير ثماني ايات من قوله واسالهم الى قوله واذ نتقنا محكمة كلها وقيل الا قوله اعرض عن الجاهلين
بسم الله الرحمن الرحيم المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر مبتدا محذوف اي هو كتاب
او خبر المص والمراد به السورة او القران انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه شك فان
الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام بحقه وتوجيه
النهي اليه للمبالغة كقوله لا ارينك هاهنا والفاء تحتمل العطف والجواب فكانه قيل اذا انزل اليك
فلا يحرج صدرك لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار
وكذا اذا لم يخشهم او علم انه موفقه للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار
فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل تنذر
والرفع عطفا على كتاب او خبرا لمحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القران والسنة
لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم
من الجن والانس وقيل الضمير في دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله اولياء وقرئ
ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون
دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب بتذكرون
وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع
النبي صلى الله عليه وسلم وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها
بالخذلان فجاءها فجاء اهلها باسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم
قائلون عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع
حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبير بالنومين
مبالغة في غفلتهم وامنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين لانهما وقت دعة واستراحة فيكون
مجيء العذاب فيهما افظع فما كان دعواهم اي دعاؤهم واستغاثتهم او ما كانوا يدعونه
من دينهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه
وبطلانه تحسرا عليه فلنسألن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسألن
المرسلين عما اجيبوا به والمراد بهذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله
ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب وهذا عند
حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب
والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين

تقليلا

عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم والوزن اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء
والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا
للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسالهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم
ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر
فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فتطيش
السجلات وتثقل البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روي عنه صلى الله عليه وسلم ليأتي العظيم
السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدا الذي هو الوزن الحق
صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه
باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان فاولئك هم المفلحون
الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع
الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا باياتنا
يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم من سكناها وزرعها
والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه
همز تشبيها بالياء في زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت لكم ولقد خلقناكم
ثم صورناكم اي خلقنا اباكم ادم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة
خلق الكل وتصويره اي ابتدانا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا ادم ثم صورناه ثم قلنا
للملائكة اسجدوا لادم وقيل ثم لتاخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من
الساجدين ممن سجد لادم قال ما منعك ان لا تسجد اي ان تسجد ولا صلة مثلها في
لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود
وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكانه قال ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك
دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استانفه
استبعادا لان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه قال المانع اني خير منه ولا يحسن للفاضل
ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح
العقليين اولا خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك
بان راى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة
بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والاية دليل الكون والفساد
وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشياطين الى النار باعتبار
الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها
وتعصي فانها مكان الخاشع والمطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة فانه تعالى

انما طرد واهبط لتكبره لا لمجرد عصيانه قال عليه الصلاة والسلام من تواضع لله رفعه الله ومن
تكبر وضعه الله فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لتكبره قال انظرني الى يوم يبعثون
اي امهلني الى يوم القيامة فلا تمتني او لا تعجل عقوبتي قال انك من المنظرين يقتضي الاجابة الى ما سأله
ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت
يعلمه الله وانما اجابه اليه لما فيه من ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما
اغويتني اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم
تسمية او حملا على الغي او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن
فان اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما تقعد القطاع للسابلة صراطك
المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على
صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن
شمائلهم اي من جميع الجهات الاربع ولذلك مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اي وجه
يمكنه من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم
لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
من بين ايديهم من قبل الاخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم
ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم من حيث
يعلمون ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف
الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الاخيرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار
على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا
لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه
من الملائكة قال اخرج منها مذءوما مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول
او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة
القسم وجوابه لاملان جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ بكسر
اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملان جواب
قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا آدم اي وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك
الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره
على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل
الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما
وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسواس الحلي وقد سبق في البقرة كيفية
وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته
ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنها بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة
وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي

عنهما

عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور
كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها
واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا
ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل الملائكة
على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما
ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم
على تسليم مطلقا وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة
للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة
فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة
فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان
احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما اي فلما وجدا طعمها
آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما فظهرت لهما عوراتهما
واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا وطفقا
يخصفان اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين
وقرئ يخصفان اي يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان واصله يختصفان وناداهما
ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهي
وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا
اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب
الكبائر فلذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات
واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر
الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم متفرقا بعضكم لبعض عدو في موضع الحال
اي متعادين ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع تمتع الى حين
تنقضي آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء وقرأ حمزة والكسائي
وابن ذكوان في الزخرف وكذلك تخرجون بفتح التاء وضم الراء يا بني آدم قد انزلنا عليكم
لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام
وقوله وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق
روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت
ولعله ذكر قصة آدم مقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان
من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا تتجملون به والريش الجمال وقيل
مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية

وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير او خبر وذلك
صفته كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب
عطفا على لباسا ذلك اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون
نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يمتحننكم بان
يمنعكم دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها
والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما لباسهما
ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه يراكم هو
وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتأكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم
ايانا من حيث لا نراهم في الجملة لا تقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء
للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم
وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة فعلة
متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا والله
امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده
ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء لان عادته تعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال
والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلي
فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا
سؤالين مترتبين كأنه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين اخذ
آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا أتقولون
على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط
من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين
غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في وقت سجود او مكانه وهو
الصلاة او في اي مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه
مخلصين له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم كما انشأكم ابتداء تعودون باعادته
فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم
من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا
يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق
وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله
تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء
في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة
عوراتكم عند كل مسجد لطواف او صلاة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلاة وفيه دليل على
وجوب ستر العورة في الصلاة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان بني عامر في ايام حجهم كانوا لا يأكلون

الطعام

الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم
الحلال او بالتعدي الى الحرام والشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان
سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا
انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التي
اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع
والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس
وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من للانكار قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا بالاصالة والذات
وان شاركهم فيها غيرهم فبالتبع خالصة يوم القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع
بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر
الاحكام لهم قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن
جهرها وسرها والاثم والاثم عام لكل ذنب وذكره للتعميم بعد التخصيص وقيل شرب الخمر والبغي
الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم
ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب
بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او حان وقتهم لا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون اي لا يتأخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التأخير والتقديم لشدة
الهول يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي شرط ذكر حرف الشك للتنبيه على
ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك
اكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا
بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح
عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة
في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله
اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح المحفوظ
اي مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل
وحتى غاية نيلهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا اين ما كنتم تدعون من دون الله
اي اين الآلهة التي كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة
قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا
عليه قال ادخلوا اي قال الله لهم يوم القيامة او احد من الملائكة في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين
في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق
بادخلوا كلما دخلت امة اي في النار لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا
فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم دخولا او منزلة وهم الاتباع

لاولاهم اي لاجلهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم
فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم
وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرأ عاصم
بالياء على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب
الله لاخراهم ورتبوه عليه فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال
واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الفريقين
ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اي عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم
واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء في تفتح لتأنيث
الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به وبالياء لان التأنيث
غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للآيات
وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في
عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا
ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل
كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو
والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين لهم من جهنم
مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل من الاعلال عند سيبويه وللصرف
عند غيره وقرئ غواشُ على الغاء المحذوف وكذلك نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة
وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم
مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته
سبحانه وتعالى في ان يشفع الوعيد بالوعد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدأ
والخبر للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما تسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس
ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون
بينهم الا التواد وعن علي رضي الله تعالى عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير
منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا
لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد
النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى
لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه
يقينا في الدنيا صار لهم عين اليقين في الآخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا رأوها من بعيد او بعد
دخولها والمنادى له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من
الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان المخففة او المفسرة لان المناداة

والتأذين

والتأذين من القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل
وجدتم ما وعد ربكم حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل
ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعدهم به كالبعث
والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائي بكسر العين فأذن مؤذن قيل هو صاحب الصور
بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن كثير في رواية البزي وابن عامر
وحمزة والكسائي ان لعنة بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء
اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب
ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم تكن
منتصبة وبالفتح ما كان في المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالآخرة كافرون
وبينهما حجاب اي بين الفريقين لقوله فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع
وصول اثر احداهما الى الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو السور
المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه
يكون لظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار
حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء وخيار المؤمنين وعلمائهم او ملائكة
يرون في صور الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها كبياض
الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما
يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي اذا نظروا اليهم سلموا
عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو على الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجوه واذا صرفت
ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا تعوذا بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار
ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم
كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة
اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل
الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف
عليكم ولا انتم تحزنون اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة او
فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم
وقالوا لهم ما قالوا او بعض الملائكة اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقدير
دخول الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء
اي صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او
الطعام لقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم منع
المحرم على المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو

وقيل لما عير اصحاب النار اقسم اصحاب الاعراف لا يدخلهم الجنة فقال الله

صرف الهمة بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحياة
الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم
يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله
ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة على
علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون
حالا من المفعول وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم
يؤمنون حال من الها هل ينظرون هل ينتظرون الا تاويله الا ما يؤول اليه امره من
تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه
من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم جاؤوا بالحق فهل لنا من
شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان
او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤول احد الامرين وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر
واحد وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل
قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم
ينفعهم ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي في ستة اوقات كقوله
ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن
حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار
وحث على التأني في الامور ثم استوى على العرش استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء
على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن
الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير
الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم
به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشي الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرا حمزة والكسائي
ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يعقبه
سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى
حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه وتصريفه ونصبها
بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرا ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر
فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية
وتحقيق الآية والله سبحانه وتعالى اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله
تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب
كما اشار اليه بقوله فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور
المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال واشار اليه بقوله

خلق

خلق الارض في يومين اي في ما في جهة السفل في يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها اولا
وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها
اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض
بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له
الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية
اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في الدعاء
وغيره نبه به على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح
في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك
الجنة وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها
ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم
استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح
للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اي
امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب
من النسب والقريب من غيره وهو الذي يرسل الرياح وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة
نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرا ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون
حيث وقع على انه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم
بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات
او للبشارة وبشرى بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال
تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء
يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب جمع بمعنى السحائب سقناه اي السحاب وافراد الضمير باعتبار
اللفظ لبلد ميت لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق
او بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول والظرفية
في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى
اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه ونطريها بانواع النبات
والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس
لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج
نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة والذي
خبث اي كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذي
خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اي يخرجه
البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف الآيات نرددها

لك

من القريب

وكررها

لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن يتدبر الآيات وينتفع بها ولمن لم يرفع إليها رأساً لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق اللام إلا مع قد لأنها مظنة التوقع فإن المخاطب إذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن إدريس أول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة أو أربعين فقال يا قوم اعبدوا الله أي اعبدوه وحده لقوله ما لكم من إله غيره وقرأ الكسائي غيره بالكسر على اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم إن لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي إلى عبادته واليوم يوم القيامة أو يوم نزول الطوفان قال الملأ من قومه أي الأشراف فإنهم يملؤون العيون رواء إنا لنراك في ضلال زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة أي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الإثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كأنه قال ولكني على هدى في الغاية لأني رسول الله أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول أو استئناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولاً وقرأ أبو عمرو أبلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف أوقاتها أو لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والأحكام أو لأن المراد بها ما أوحي إليه وإلى الأنبياء قبله كصحف شيث وإدريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على إمحاض النصح لهم وأعلم من الله تقرير لما أوعدهم به فإن معناه أعلم من قدرته وشدة بطشه أو من جهته بالوحي أشياء لا علم لكم بها أوعجبتم الهمزة للإنكار والواو للعطف على محذوف أي أكذبتم وعجبتم أن جاءكم من أن جاءكم ذكر من ربكم رسالة أو موعظة على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم أو من جنسكم فإنهم كانوا يتعجبون من إرسال البشر ويقولون لو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما بسبب الإنذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على أن التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل وأن المتقي ينبغي أن لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله فكذبوه فأنجيناه والذين معه وهم من آمن به وكانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به في الفلك متعلق بمعه أو بأنجيناه أو حال من الموصول أو من الضمير في معه وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان إنهم كانوا قوماً عمين عمي القلوب غير مستبصرين وأصله عميين فخفف وقرئ عامين والأول أبلغ لدلالته على الثبات وإلى عاد أخاهم عطف على نوحاً إلى قومه هوداً عطف بيان لأخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا أخا العرب فإنه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن عم أبي عاد وإنما جعل منهم لأنهم أفهم لقوله وأعرف بحاله وأرغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون استأنف به ولم يعطف كأنه جواب سؤال كأنه قيل فما قال لهم حين أرسل وكذلك جوابهم أفلا تتقون عذاب الله وكان قومه كانوا أقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ الذين كفروا من قومه إذ كان من أشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد إنا لنراك في سفاهة متمكناً في خفة عقل راسخاً فيها حيث فارقت دين قومك وإنا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من

وله بيانه بناءه

حيث وقع إذا كان قبل إلا من يحفظ

رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره وفي إجابة الأنبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما أجابوا والإعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح أمين تنبيه على أنهم عرفوه بالأمرين وقرأ أبو عمرو أبلغكم في الموضعين في هذه السورة وفي الأحقاف مخففاً واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح أي في مساكنهم أو في الأرض بأن جعلكم ملوكاً فإن شداد بن عاد ممن ملك معمورة الأرض من رمل عالج إلى بحر عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بإنعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة فاذكروا آلاء الله تعميم بعد تخصيص لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم إلى شكرها المؤدي إلى الفلاح قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والإعراض عما أشرك به آباؤهم انهماكاً في التقليد وحباً لما ألفوه ومعنى المجيء في أجئتنا إما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه أو من السماء على التهكم أو القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني فأتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله أفلا تتقون إن كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب أو حق عليكم أو نزل عليكم على أن المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب إرادة انتقام أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان أي في أشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الإلهية لأن المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وأنها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى إما بإنزال آية أو نصب حجة بين أن منتهى حجتهم وسندهم أن الأصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى وإسناد الإطلاق إلى من لا يؤبه بقوله إظهاراً لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على أن الاسم هو المسمى وأن اللغات توقيفية إذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والإبطال بأنها أسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطاناً وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وأنتم مصرون على العناد نزول العذاب إني معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا أي استأصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على أن الفارق بين من نجا ومن هلك هو الإيمان روي أنهم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم هوداً فكذبوه وازدادوا عتواً فأمسك الله القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس مسلمهم ومشركهم إذا نزل بهم بلاء توجهوا إلى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا إليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من أعيانهم وكان إذ ذاك بمكة العمالقة أولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة أنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فلبثوا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا إليه أهمه ذلك واستحيى أن يكلمهم فيه مخافة أن يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين

ألا يا قيل ويحك قم فهينم ... لعل الله يسقينا غماما

فيسقي أرض عاد إن عاداً ... قد امسوا لا يبينون الكلاما

حتى غنتا به فأزعجهم ذلك وقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم

من

إلى بحر

يفضي

وتبعتم سقيتم فقالوا المعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا فانه قد اتبع دين هود او ترك ديننا
ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابا بيضا وحمرا وسودا ثم ناداه
مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد
من وادي المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود
والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم
الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ
مصروفا بتاويل الحي او باعتبار الاصل وكان مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى
اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله
هذه ناقة الله لكم آية استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان
لمن له آية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة
الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عنده بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية فذروها
تاكل في ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع
لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فياخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ
جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون
في سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ
وتنحتون وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من
الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين
استكبروا عن الايمان للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من
الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين وقرأ ابن عامر وقال الملأ
بالواو اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به عن
الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على احد ذي راي وانما
الكلام فيمن آمن به ومن كفر ولذلك قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون على وجه المقابلة
ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها اسند الى جميعهم
فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو
ما بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم
الرجفة الزلزلة فاصبحوا في دارهم جاثمين لا يتحركون موتى روي انهم بعد عاد عمروا بلادهم
وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة
فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه آية فقال
اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج
معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة

وقال له

169

وقالوا له اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح
مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج
بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا
مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة من الناس ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو
والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد
الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاءوا حتى تمتلئ
اوانيهم ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه
فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت
المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم
ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجرت الصخرة بعد رغائه
فدخلها فقال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم
العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم
الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال
يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه
عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وذكر ذلك على سبيل
التحسر عليهم ولوطا اي وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه
اتاتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد
من العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفي والاستغراق
والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقررة للانكار كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها
لانه اسوأ انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله اتاتون الفاحشة
وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستانف وشهوة مفعول
له او مصدر في موضع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل
ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وابقاء النوع لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون
اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد
الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل
لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم
من قريتكم اي ما جاؤوا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه فيمن
معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون اي من الفواحش فانجيناه
واهله اي من آمن به الا امراته فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا
في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين

نافع حفص

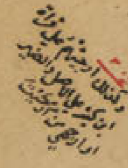
قل
ن

بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي ان لوطا بن هاران
ابن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم
الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل
خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا اليهم
وهم اولاد مدين بن ابراهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب
الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من
ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القران انها ما هي وما روي من محاربة عصى موسى
للتنين وولادة الغنم التي دفعها اليه خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصى
ادم على يده في المرات السبع فمتاخرة عن هذه المقاولة ويحتمل ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا
لنبوته فاوفوا الكيل اي الة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله
والميزان كما قال في سورة هود اوفوا المكيال والميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد
ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على
انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه
ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها واهلها
الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم
خير لكم ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة
مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون
بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود
واحكام وكانوا اذا راوا احدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون
لمن يريد شعيبا انه كذاب لا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن امن به وقيل كانوا يقطعون
الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل
صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من امن به اي بالله
او بكل صراط على الاول من مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون
لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه في موضع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها
عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ
كنتم قليلا عددكم او عُددكم فكثركم بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة
المفسدين من الامم قبلكم فاعتبروا بهم وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطائفة
لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين
فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ
الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في
ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من القرية او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم

قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك
اجري الجواب في قوله قال اولو كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا في حال
كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها
شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل
عليه قد لتقريبه من الحال اي قد افترينا الان ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان
لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم تقديره والله
لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا
وفيه دليل على ان الكفر بمشيته وقيل اراد به حسم طمعهم في العود والتعليق بما لا يكون وسع
ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا
على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح
القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل
من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه
لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم
او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطا
باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها
فاصبحوا في دارهم جاثمين اي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره كان لم يغنوا
فيها اي استؤصلوا كان لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين
دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة
فيه كرر الموصول واستانف بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات
ربي ونصحت لكم قاله تاسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف اسى
على قوم كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة
حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم
تصدقوا قولي فكيف اسى عليكم وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء
والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا وتنذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي
اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا
كثروا عددا وعُددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحية وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء
كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس وقد مس اباءنا
منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجاة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى
يعني القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها امنوا واتقوا مكان
كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب
وقيل المراد المطر والنبات وقرا ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا

من الكفر والمعاصي أفأمن أهل القرى عطف على قوله فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض
والمعنى ابعد ذلك الاخذ امن اهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين
وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون
حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا أو أمن أهل القرى وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون
على الترديد أن يأتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون
من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم أفأمنوا مكر الله تقرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله
استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون الذين خسروا
بالكفر وترك النظر والاعتبار أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون
ديارهم وانما عدي يهد باللام لانه بمعنى تبيين أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ان الشان
لو نشا اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قراه بالنون جعله مفعولا
ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه اولم يهدي اي يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى
ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه في سياق جواب لو لافضائه الى
نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم
نقص عليك من أنبائها حال ان جعل القرى خبرا او تكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة
ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم
بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل
بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم
يؤثر قط فيهم دعوتهم المتطاولة والايات المتتابعة واللام لتاكيد النفي والدلالة على انهم
ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب
الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالايات والنذر وما وجدنا لأكثرهم لاكثر الناس والاية اعتراض او لاكثر
الامم المذكورين من عهد من وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى بانزال
الايات ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من
الشاكرين وإن وجدنا أكثرهم اي علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان
المخففة واللام الفارقة وذلك لا يجوز الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين
ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم
او للامم بآياتنا يعني المعجزات إلى فرعون وملئه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي
هو حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لمن ملك
فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال
موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين اليك قوله حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق
لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة وانما لم يذكر لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله
حقيق علي ان لا اقول كما قراه نافع فقلب لامن الالباس كقوله * وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر *

ولان



ولان ما لزمك فقد لزمني او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى انه حق واجب
على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع
على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة
ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل
فخلهم حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن ابائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم
في الاعمال قال إن كنت جئت بآية من عند من ارسلك فاحضرها عندي ليثبت بها صدقك
فأت بها إن كنت من الصادقين في الدعوى فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ظاهر
امره لا يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا
فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه
نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا
وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه
فعاد عصا ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فإذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا
خارجا عن العادة تجتمع عليها النظارة او بيضاء للناظرين لا انها كانت بيضاء في جبلتها روي
انه كان ادم شديد الادمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء
نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم قيل
قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور في امره فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد أن
يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون تشيرون في ان نفعل قالوا أرجه وأخاه وأرسل في
المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم كانه اتفقت عليه اراؤهم فاشاروا به الى فرعون
والارجاء التاخير اي اخر امره واصله ارجئه كما قرا ابو عمرو ويعقوب من ارجات وكذلك ارجئهو
على قراءة ابن كثير وهشام على الاصل في الضمير او ارجهي من ارجيت كما قرا نافع في رواية ورش
واسماعيل والكسائي واما قراءته في رواية قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها
واما قراءة حمزة وعاصم بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل في اسكان وسطه واما
قراءة ابن عامر ارجئه برواية ابن عامر برواية ابن ذكوان ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة
لان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها
وقرا حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون
بعدما ارسل الشرط في طلبهم قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين استئناف كانه جواب
سائل قال ما قالوا اذ جاؤوا وقرا ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم
قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم قال نعم إن لكم لأجرا وإنكم لمن المقربين عطف على ما
سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين خيروا موسى
مراعاة للادب او اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو
ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وتاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال ألقوا كرما وتسامحا

واسترهبوهم وأرهبوهم إرهابا شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم

بأن خيلوا إليها ما الحقيقة بخلافه

أو ازدراء بهم ووثوقا على شأنه فلما ألقوا سحروا أعين الناس وجاءوا بسحر عظيم في فنه روي أنهم ألقوا حبالا
غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك
فألقاها فصارت حية فإذا هي تلقف ما يأفكون أي ما يزورونه من الإفك وهو الصرف وقلب الشيء عن
وجهه ويجوز أن يكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي أنها لما تلقفت حبالهم وعصيهم
وابتلعتها بأسرها أقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم أخذها موسى فصارت
عصا كما كانت فقال السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرأ حفص تلقف هنا وفي طه والشعرا
فوقع الحق فثبت لظهور أمره وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا
صاغرين صاروا أذلاء مبهوتين أو رجعوا إلى المدينة مقهورين والضمير لفرعون وقومه وألقي السحرة
ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على أن الحق بهرهم واضطرهم إلى السجود بحيث لم يبق لهم
تمالك أو أن الله ألهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين أراد بهم كسر موسى وينقلب الأمر عليهم
أو مبالغة في سرعة خرورهم وشدته قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون أبدلوا الثاني
من الأول لئلا يتوهم أنهم أرادوا به فرعون قال فرعون آمنتم به بالله أو بموسى والاستفهام
فيه للإنكار وقرأ حفص آمنتم به على الإخبار قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه أي إن هذا
الصنيع لحيلة احتلتموها أنتم وموسى في المدينة في مصر قبل أن تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها
أهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني إسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل
تفصيله لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لأصلبنكم أجمعين تفضيحا
لكم وتنكيلا لأمثالكم قيل إنه أول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه
محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا إنا إلى ربنا منقلبون بالموت لا محالة
فلا نبالي بوعيدك أو إنا منقلبون إلى ربنا وثوابه إن فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفا
على لقاء الله أو مصيرنا ومصيرك إلى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا إلا أن آمنا بآيات
ربنا لما جاءتنا وهو خير الأعمال وأصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا
إلى الله فقالوا ربنا أفرغ علينا صبرا أفض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء أو صب علينا ما يطهرنا من
الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الإسلام قيل إنه فعل بهم ما أوعدهم
وقيل إنه لم يقدر عليهم لقوله تعالى أنتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى
وقومه ليفسدوا في الأرض بتغيير الناس عليك ودعوتهم إلى مخالفتك ويذرك عطف على ليفسدوا
أو جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة ألم أك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والإخاء
على معنى أيكون منك ترك موسى ويكون تركه إياك وقرئ بالرفع على أنه عطف على أتذر أو استئناف
أو حال وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله فأصدق وأكن وآلهتك معبوداتك
قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه أصناما وأمرهم أن يعبدوها تقربا إليه ولذلك قال أنا ربكم
الأعلى وقرئ إلاهتك أي عبادتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم أنا
على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم أنه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهابه ملكنا على يده وقرأ

ابن

ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وإنا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت أيدينا قال
موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم إن الأرض
لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للأمر بالاستعانة بالله والتثبت في الأمر والعاقبة للمتقين
وعد لهم بالنصر وتذكير لما وعدهم من إهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة
بالنصب عطفا على اسم إن واللام في الأرض تحتمل العهد والجنس قالوا أي بنو إسرائيل أوذينا من قبل
أن تأتينا بالرسالة بقتل الأبناء ومن بعد ما جئتنا بإعادته قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم
ويستخلفكم في الأرض تصريحا بما كنى عنه أولا لما رأى أنهم لم يتسلوا بذلك ولعله أتى بفعل الطمع
لعدم جزمه بأنهم المستخلفون بأعيانهم أو أولادهم وقد روي أن مصر إنما فتح لهم في زمن داود عليه
السلام فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان فيجازيكم على حسب
ما يوجد منكم ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الأمطار والمياه والسنة غلبت على
عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل أسنت القوم إذا قحطوا ونقص من
الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي ينتبهوا على أن ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا
أو ترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا إلى الله ويرغبوا فيما عنده فإذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة
قالوا لنا هذه لأجلنا ونحن مستحقوها وإن تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه
يتشاءموا بهم ويقولون ما أصابنا إلا بشؤمهم وهذا إغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة
فإن الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم
تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وإنما عرف الحسنة وذكرها مع أداة التحقيق لكثرة وقوعها
وتعلق الإرادة بإحداثها بالذات ونكر السيئة وأتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم
القصد لها إلا بالتبع ألا إنما طائرهم عند الله أي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته
أو سبب شؤمهم عند الله وهو أعمالهم المكتوبة عنده فإنها التي ساقت إليهم ما يسوءهم وقرئ طيرهم
وهو اسم لجمع وقيل هو جمع ولكن أكثرهم لا يعلمون أي ما يصيبهم من الله تعالى أو من شؤم أعمالهم
وقالوا مهما أصلها ما الشرطية ضمت إليها ما المزيدة للتأكيد ثم قلبت ألفها هاء استثقالا
للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء أو
النصب بفعل يفسره تأتنا به أصلها ما الشرطية أي أيما شيء تحضرنا بإتيانه من آية بيان لمهما
وإنما سموها آية على زعم موسى عليه السلام لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك
بمؤمنين أي لتسحر بها أعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها لما ذكر قبل التبيين باعتبار
اللفظ وأنث بعده باعتبار المعنى فأرسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشي أماكنهم وحروثهم
من مطر أو سيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل
أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها والضفادع والدم روي أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة
لا يقدر أحد أن يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه إلى تراقيهم وكانت بيوت بني إسرائيل
مشتبكة ببيوتهم أسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت

لهم من الكلاء والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم
ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحرا
واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم
القمل فاكل ما ابقاه وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا
فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام
الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي والى افواههم
عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد
ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء
فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير في فيه دما وقيل سلط
عليهم الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله
ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد
كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة
يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع
عليهم الرجز يعني العذاب المفصل او الطاعون ارسله الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا
ربك بما عهد عندك بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك
كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه
بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب
منك بحق ما عهد عندك او قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن
معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن
فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه
او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى الاجل الذي عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون
جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث من غير توقف وتامل فيه فانتقمنا منهم
فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم اي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل
لجته بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم
بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول
عليها بقوله فانتقمنا واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد وذبح
الابناء من مستضعفيهم مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام ملكها
بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب
وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم
بالنصرة والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن على الذين الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ
كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان

يصنع

يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا
يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وابو بكر هنا وفي النحل يعرشون بالضم
وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر وما بعده ذكر ما احدثه
بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الآيات العظام
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة
انفسهم ومراقبة احوالهم روي ان موسى عليه الصلاة والسلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد
مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم
يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة
الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى
اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم آلهة يعبدونها وما كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون
وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما راوا من الآيات الكبرى عن العقل
ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني ان الله تعالى يهدم دينهم
الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون
من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع
هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين
الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لازب
لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا
وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء
مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم بامثالهم وتفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس
شيء من مخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرأ
ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استيناف لبيان ما انجاكم منه او حال من
المخاطبين او من آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه
مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى
ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرأ ابو عمرو ويعقوب وعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة
فتم ميقات ربه اربعين ليلة بالغا اربعين روي انه عليه الصلاة والسلام وعد بني
اسرائيل بمصر ان ياتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما
هلك سأل ربه فامره بصوم ثلاثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة
كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يزيد عليها عشرا وقيل امره
ان يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التوراة في العشر وكلمه فيها وقال موسى
لاخيه هارون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم
او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك

بالتبار
انجا
وافسدته
كاليه

ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه لميقاتنا وكلمه
ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روي ان موسى عليه الصلاة والسلام كان يسمع ذلك
الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلام القديم ليس من جنس كلام المحدثين قال رب
ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو
دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال خصوصا ما يقتضي
الجهل بالله ولذلك رده بقوله تعالى لن تراني دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي
تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل
السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطا اذ لو كانت الرؤية ممتنعة
لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم
كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها
اشد خطا اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره
اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة
الرؤية قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني
استدراك يريد به ان يبين به انه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا
دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل
ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطي له حياة ورؤية حتى راه جعله
دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرا حمزة والكسائي دكاء اي ارضا
مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا اي قطعا دكا وخر موسى
صعقا مغشيا عليه من هول ما راه فلما افاق تعظيما لما راى قال سبحانك تبت اليك
من الجراة والاقدام على السؤال من غير اذن وانا اول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه
انا اول من امن بانك لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على
الناس الموجودين في زمانك وهارون وان كان نبيا كان مامورا باتباعه ولم يكن
كليما ولا صاحب شرع برسالاتي يعني اسفار التوراة وقرا ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي
وبتكليمي اياك فخذ ما اتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه
روي ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التوراة كان يوم النحر وكتبنا له في الالواح
من كل شيء مما يحتاجون اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار
والمجرور اي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في ان الالواح كانت عشرة
او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء كتبها الله لموسى
فقطعها بيده او شققها باصابعه وكان فيها التوراة او غيرها فخذها على اضمار القول
عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما اتيتك والهاء للالواح او لكل شيء فانه بمعنى
الاشياء او للرسالات بقوة بجد وعزيمة وامر قومك ياخذوا باحسنها اي باحسن

ما فيها

ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل
كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم او بواجباتها فان الواجب احسن من غيرها ويجوز
ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المامور به كقولهم الصيف احر
من الشتاء ساريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل
عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم في الاخرة وهي جهنم وقرئ ساوريكم
بمعنى سابين لكم من اوريت الزند وساورثكم ويؤيده واورثنا القوم ساصرف عن
اياتي المنصوبة في الافاق والانفس الذين يتكبرون في الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون
فيها ولا يعتبرون بها وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه
باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل
او حال من فاعله وان يروا كل اية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم واختلال عقولهم
بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه
سبيلا لاستيلاء الشيطان عليهم وقرا حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها
لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا
باياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للايات ويجوز
ان ينصب ذلك على المصدر اي ساصرف ذلك الصرف بسببهما والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة
اي ولقائهم الدار الاخرة او ما وعد الله في الدار الاخرة حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل
يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات
من حليهم التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في
ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرا حمزة والكسائي بالكسر
للاتباع كدلي وقرا يعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا من
الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي ان السامري لما صاغ العجل القى في
فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه
ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه
الها وقرئ جؤار اي صياح الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم
واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا ارشاد كاحاد البشر
حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين
واضعين الاشياء في غير مواضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية
عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء
للفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم وراوا وعلموا انهم قد ضلوا
باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا بانزال التوراة وبالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من
الخاسرين وقراهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا

شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم
العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه
وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها
من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه
والحمل عليه والكف عما ينافيه أعجلتم أمر ربكم أتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق
فعدي تعديته او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم
بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم وألقى الألواح طرحها من شدة الغضب وفرط
الضجرة حمية للدين روي ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها
انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع وكان فيه المواعظ
والاحكام وأخذ برأس أخيه بشعر رأسه يجره إليه توهما بانه قصر في كفهم وهرون كان
اكبر منه بثلث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال ابن أم ذكر
الام ليرققه عليه وكان من اب وام وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم يا ابن
ام بالكسر واصله يا ابن امي فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف
الى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر ان القوم
استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت
وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل
بي ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم
بالمؤاخذة ونسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي ان فرط في كفهم
ضمه اليه نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا في رحمتك
بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين فانت ارحم بنا منا على انفسنا ان الذين
اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة
في الحياة الدنيا وهو خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله
ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم
ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد
السيئات وآمنوا واشتغلوا بالايمان وهو مقتضاه من الاعمال الصالحة ان ربك من
بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر جرائم
بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب باعتذار هرون او بتوبتهم
وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالامر
به المغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت على ان المسكت
هو الله او اخوه او الذين تابوا أخذ الألواح التي ألقاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها
اي كتب فعلة بمعنى المفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة

هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت
اللام على المفعول لضعف الفعل بالتاخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير
يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل
الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روي انه تعالى امره ان
ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان
فتشاجروا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا
من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه
ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة
او رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تمنى هلاكهم
وهلاكه قبل ان يرى ما رأى او بسبب آخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك
بحمل فرعون على اهلاكهم واغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها
فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا
من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء
عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا
منها ورجفوا حتى كادت تبين منها مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى
فبكى ودعا فكشفها الله عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك
حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء
ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها ايمانه
انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وانت
خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة
حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من
هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل
والمفعول بمعنى املنا انفسنا وامُلنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا
للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه
ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فسأكتبها فاثبتها
في الآخرة او فاكتبها كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي
ويؤتون الزكاة خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم
باياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدأ خبره
يأمرهم او خبر مبتدأ تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد
من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله ونبيا بالاضافة الى
العباد الأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته

الذين يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل اسما وصفة **يأمرهم بالمعروف**
وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم **ويحرم عليهم الخبائث**
كالدم ولحم الخنزير او كالربا والرشوة **ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت**
عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطا
وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه
اي يحبسه من الحراك لثقله **فالذين امنوا به وعزروه** وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف
واصله المنع ومنه التعزير **ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه** اي مع نبوته يعني القران
وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز
ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة
الى اتباع الكتاب والسنة **اولئك هم المفلحون** الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الاية
جواب دعاء موسى **قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم** الخطاب عام وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم **جميعا** حال من اليكم
الذي له ملك السموات والارض صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف
اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدا خبره **لا اله الا هو** وهو على الوجه
الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي **يحيي ويميت** مزيد
تقرير لاختصاصه بالالوهية **فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته**
ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القران
او عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم
الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له **واتبعوه لعلكم**
تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه في
التزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة **ومن قوم موسى** يعني من بني اسرائيل **امة**
يهدون بالحق يهدون الناس محقين او بكلمة الحق **وبه** بالحق **يعدلون** بينهم في
الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر
اضدادهم على ما هو عادة القران تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق
والباطل مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين راهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليلة المعراج فامنوا به **وقطعناهم** وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض
اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتانيثه للحمل
على الامة او القطعة **اسباطا** بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي
عشرة اسباط فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها
امما على الاول بدل بعد بدل ونعت اسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا **واوحينا الى موسى**
اذ استسقاه قومه في التيه **ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست** اي فضرب فانبجست

للايا على ان موسى لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته
منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط **مشربهم وظللنا عليهم الغمام** ليقيهم حر
الشمس **وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا** اي وقلنا لهم كلوا **من طيبات ما رزقناكم**
وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة **واذ قيل لهم اسكنوا**
هذه القرية باضمار اذكر والقرية بيت المقدس **وكلوا منها حيث شئتم وادخلوا**
الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل
منها ولم يتعرض له هنا اكتفاء بذكره ثمة او بدلالة الحال عليه واما تقديم قوله وقولوا
على وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما **نغفر**
لكم خطاياكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج
الثاني مخرج الاستئناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به وقرا
نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر
فانه وحد وقرا ابو عمرو خطاياكم **فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا**
عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيره **واسألهم** للتقرير والتقريع
بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم او وحي لتكون
لك معجزة عليهم **عن القرية** عن خبرها وما وقع باهلها **التي كانت حاضرة البحر** قريبة
منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية **اذ يعدون في**
السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او لحاضرة او
للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال **اذ تاتيهم حيتانهم** ظرف ليعدون او بدل
وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي يعدون الات الصيد
يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة **يوم سبتهم شرعا** يوم تعظيمهم
امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم
والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله **ويوم**
لا يسبتون لا تاتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول
بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع
علينا اذا دنا واشرف **كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون** مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم
بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تاتيهم مثل اتيانهم يوم السبت **واذ قالت**
عطف على اذ يعدون **امة منهم** جماعة من اهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا
في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم **لم تعظون قوما الله مهلكهم** مخترمهم **او معذبهم**
عذابا شديدا في الاخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا
عن علة الوعظ ونفعه وكانه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم
وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم **قالوا معذرة**

إلى ربكم جواب للسؤال أي موعظتنا إنهاء عذر إلى الله حتى لا ننسب إلى تفريط في النهي
عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر أو العلة أي اعتذرنا به معذرة أو
وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون إذ اليأس لا يحصل إلا بالهلاك فلما نسوا تركوا
ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم أنجينا الذين ينهون عن السوء
وأخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة أمر الله بعذاب بئيس شديد فعيل من
بؤس يبؤس بأسا إذا اشتد وقرأ أبو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر
بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على أنه بئس كحذر خفف عنه بنقل حركتها إلى الفاء
ككبد في كبد وقرأ نافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب أو على أنه فعل
الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيّس كريّس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس
على التخفيف كهين وبائس بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا
عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن أمر ربهم قلنا لهم كونوا
قردة خاسئين كقوله إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون والظاهر
يقتضي أن الله تعالى عذبهم أولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز
أن تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للأولى روي أن الناهين لما أيسوا عن
اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق
فأصبحوا يوما ولم يخرج إليهم أحد من المعتدين فقالوا إن لهم شأنا فدخلوا
عليهم فإذا هم قردة فلم يعرفوا أنسباءهم ولكن القردة تعرفهم فجعلت تأتي
أنسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد
مسخت قلوبهم لا أبدانهم وإذ تأذن ربك أي أعلم تفعل من الإيذان بمعناه
كالتوعد والإيعاد أو عزم لأن العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله وأجري مجرى فعل
القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة
والمعنى وإذ أوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب
كالإذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بختنصر
فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية
فلا تزال مضروبة إلى آخر الدهر إن ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا
وإنه لغفور رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم في الأرض أمما وفرقناهم
بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لإدبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وأمما
مفعول ثان أو حال منهم الصالحون صفة أو بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة
ونظراؤهم ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك أي منحطون عن
الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم
لعلهم يرجعون ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين

خلف

خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وهو شائع في الشر والخلف
بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله ورثوا الكتاب التوراة
من أسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الأدنى حطام
هذا الشيء الأدنى يعني الدنيا وهو من الدنو أو الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من
الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا
لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند إلى
الجار والمجرور أو مصدر يأخذون وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في
لنا أي يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين إلى مثله غير تائبين عنه
ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أي في الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا
الحق عطف بيان للميثاق أو متعلق به أي بأن لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت
بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على أنه افتراء على الله وخروج عن ميثاق
الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على ألم يؤخذ من حيث المعنى فإنه تقرير أو على ورثوا
وهو اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء أفلا يعقلون
فيعلمون ذلك ولا يستبدلوا الأدنى الدنيء المؤدي إلى العقاب بالنعيم المخلد
وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون
بالكتاب وأقاموا الصلاة عطف على الذين يتقون وقوله أفلا تعقلون اعتراض
أو مبتدأ خبره إنا لا نضيع أجر المصلحين على تقدير منهم أو وضع الظاهر موضع المضمر
تنبيها على أن الإصلاح كالمانع من التضييع وقرأ أبو بكر يمسكون بالتخفيف وإفراد
الإقامة لإنافتها على سائر أنواع التمسكات وإذ نتقنا الجبل فوقهم أي قلعناه
ورفعناه فوقهم وأصل النتق الجذب كأنه ظلة سقيفة وهي كل ما أظلك وظنوا
وتيقنوا أنه واقع بهم ساقط عليهم لأن الجبل لا يثبت في الجو ولأنهم كانوا
يوعدون به وإنما أطلق الظن لأنه لم يقع متعلقه وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام
التوراة لثقلها فرفع الطور فوقهم وقيل لهم إن قبلتم ما فيها وإلا ليقعن عليكم خذوا
على إضمار القول أي وقلنا خذوا أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد
وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي
لعلكم تتقون قبائح الأعمال ورذائل الأخلاق وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
ذرياتهم أي أخرج من أصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم
بدل من بني آدم بدل البعض وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم وأشهدهم
على أنفسهم ألست بربكم أي ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم
إلى الإقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم ألست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم
من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الإشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه

قوله

قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة اي كراهة ان تقولوا **إنا كنا عن هذا غافلين**
لم ننبه بدليل **أو تقولوا** عطف على ان تقولوا وقرأ ابو عمرو كليهما بالياء لان اول
الكلام على الغيبة **إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم** فاقتدينا بهم
لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا **أفتهلكنا بما فعل
المبطلون** يعني اباهم المبطلون بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله ادم اخرج من ظهره
ذريته كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك لحديث عمر رضي الله عنه
وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح من ايراد هذا الكلام ههنا
الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعدما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج
عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال
كما قال **وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون** اي عن التقليد واتباع الباطل
واتل عليهم اي على اليهود **نبأ الذي آتيناه آياتنا** وهو احد علماء بني اسرائيل وامية
ابن ابي الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الزمان
ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به او بلعم بن باعورا
من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله **فانسلخ منها** من الآيات بان كفر بها
واعرض عنها **فأتبعه الشيطان** حتى لحقه وقيل استتبعه **فكان من الغاوين**
فصار من الضالين روي ان قومه سالوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو
على من معه الملائكة فالحوا حتى دعا عليهم فبقوا في التيه **ولو شئنا لرفعناه** الى منازل
الابرار من العلماء **بها** بسبب تلك الآيات او ملازمتها **ولكنه أخلد إلى الأرض** مال
الى الارض والى السفالة **واتبع هواه** في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى
الآيات وانما علق رفعه بمشيئة الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشيئة
سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء
سببه وان السبب الحقيقي هو المشيئة وانما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة
في حصول المسبب من حيث المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه
اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما
حمله عليه وان حب الدنيا راس كل خطيئة **فمثله** فصفته التي هي مثل في الخسة
كمثل الكلب كصفته في اخس احواله وهو **إن تحمل عليه يلهث أو تتركه
يلهث** اي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف
سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد
والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم
التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على
موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب **ذلك مثل القوم الذين**

كذبوا

كذبوا بآياتنا فاقصص القصص المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم **لعلهم يتفكرون**
تفكرا يؤدي بهم الى الاتعاظ **ساء مثلا القوم** اي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم
على حذف المخصوص بالذم **الذين كذبوا بآياتنا** بعد قيام الحجة عليهم وعلمهم بها
وأنفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين
جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم او منقطعا بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا
انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول **من يهد الله فهو المهتدي ومن
يضلل فأولئك هم الخاسرون** تصريح بان الهدى والضلال من الله وان هداية الله
تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني
باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف
الضالين والاقتصار في الاخبار عمن هداه بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه
على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم
للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس**
يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى **لهم قلوب لا يفقهون بها** اذ لا يلقونها
الى معرفة الحق والنظر في دلائله **ولهم أعين لا يبصرون بها** اي لا ينظرون الى
ما خلق الله نظر اعتبار **ولهم آذان لا يسمعون بها** الآيات والمواعظ سماع تأمل
وتذكر **أولئك كالأنعام** في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر
او في ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها **بل هم أضل** فانها
تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم
ليسوا كذلك بل اكثرهم لا يعلم انه معاند فيقدم على النار **أولئك كالأنعام** في عدم الفقه
والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر **أولئك هم الغافلون** الكاملون في الغفلة
ولله الأسماء الحسنى لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ
وقيل الصفات **فادعوه بها** فسموه بتلك الاسماء **وذروا الذين يلحدون في أسمائه** واتركوا
تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه اذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم
يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف
الا رحمن اليمامة او وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها
منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه واعرضوا عنهم فان الله
مجازيهم كما قال **سيجزون ما كانوا يعملون** وقرأ حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد
والحد اذا مال عن القصد **وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون** ذكر ذلك بعد
ما بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة ان المراد منه ان في كل
على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين في الامور واستدل به على صحة
الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه الصلاة والسلام

لا يزال من امتي طائفة على الحق الى ان يأتي امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول او غيره لم يكن لذكره فائدة
فانه معلوم والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا
واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون
ما نريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا
وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم
ان كيدي متين ان اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه
خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا عليه الصلاة والسلام من جنة جنون
روي انه عليه الصلاة والسلام صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله
تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين
موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات
والارض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم
على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولي امرها ليظهر
لهم صحة ما يدعوهم اليه وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على
ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى
لم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم
قبل مغافصة الموت ونزول العذاب فبأي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون
اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كأنه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد
الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كأنه قيل
لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون
بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فبأي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله
من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له ويذرهم في طغيانهم
بالرفع على الاستئناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة
والكسائي به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل لا يهده احد غيره
ويذرهم يعمهون حال من هم يسألونك عن الساعة عن القيامة وهي من
الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على
طولها عند الله كساعة ايان مرساها متى ارساؤها اي اثباتها ورسو الشيء
ثباته واستقراره ومنه رسى الجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان من اي
لان معناه اي وقت وهو من اويت لان البعض آو الى الكل قل انما علمها عند ربي
استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر
امرها في وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها
واللام للتأقيت كاللام في قوله اقم الصلاة لدلوك الشمس ثقلت في السموات والارض

عظمت

عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكأنه اشارة الى الحكمة في اخفائها لا تأتيكم
الا بغتة والمعنى ان الخفاء بها مستمر فجأة على غفلة كقوله عليه الصلاة والسلام ان الساعة
تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه
والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كأنك حفي عنها عالم بها فعيل من حفي
عن الشيء اذا سأل عنه فان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه
فيه ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسألونك وقيل هو من الحفاوة كأنك تحتفي بهم
من حفا بالنبي اذ فرح فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه
كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه اي تكرهه لانه من الغيب الذي استأثره الله بعلمه
قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك
لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبري عن
ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت
اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالي
ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء ان انا الا نذير
وبشير ما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم يؤمنون فانهم المنتفعون
بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوفا هو الذي خلقكم
من نفس واحدة هو آدم وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من
جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن اليها ليستأنس
بها ويطمئن اليها اطمئنان الشيء الى جزئه او الى جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى
المعنى ليناسب فلما تغشاها اي جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق
منه ما يلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا هو النطفة فمرت به
فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت وفمارت
من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به فلما اثقلت
صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله
ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة فلما آتاهما
صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما اي جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما
فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون
يعني الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في
بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت
لآدم فهمّا منه ثم عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا

حملا

عاد

شبهه ويسهل عليك خروجه فسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فتقبلت
فلما ولدت سمياه عبد الحارث وامثال ذلك لا يليق بالانبيا ويحتمل ان يكون الخطاب
لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من قصي وكان له زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا
من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي
وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرا
نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك وهم الشركا فهم
ضمير الاصنام جي به على تسميتهم اياها الهة ولا يستطيعون لهم نصرا اي لعبدتهم
ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي المشركين
الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم وقرا نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام
اي ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله سواء عليكم
ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعا من
حيث انه سوى بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكانه قيل
سوا عليكم احداثكم دعاهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون
من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة
مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم آلهة ويحتمل انهم
لما نحتوها بصور الاناسي قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احيا عقلا امثالكم
فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض
فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون
بها ام لهم آذان يسمعون بها وقرئ ان بتخفيف النون ونصب عبادا على انها نافية
عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم هاهنا وفي القصص والدخان
قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فلا تنظرون فلا تمهلون
فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه ان وليي الله الذي نزل الكتاب القران
وهو يتولى الصالحين اي ومن عادته ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه
والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون يشبهون
الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اي خذ ما
عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد
الجهد او خذ العفو عن المذنبين او الفضل وما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل
وجوب الزكاة وأمر بالعرف المعروف المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين
فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة
للرسول باستجماعها واما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس اي وسوسة
تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس

الغرز

الغرز شبه وسوسته للناس اغراءهم على المعاصي وازعاجا بالسائق ما يسوقه فاستعذ
بالله انه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال
من اذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان
ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف
يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال
يطيف طيفا وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب طيف على انه مصدر او
تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا
ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطا ومكايد
الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والآية تاكيد وتقرير لما قبلها
وكذا قوله واخوانهم يمدونهم اي اخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم
الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم
كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال
ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير
للاخوان اي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد
بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على من هو له
واذا لم تأتهم بآية من القران او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا
جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرأه او هلا طلبتها من الله قل انما اتبع
ما يوحى الي من ربي لست بمختلق للآيات او لست بمقترح لها هذا بصائر
من ربكم هذا القران بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا
لعلكم ترحمون نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام
والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرا القران مطلقا وعامة العلماء
على استحبابهما خارج الصلاة واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف
واذكر ربك في نفسك عام في مذهبنا الشافعي رضي الله عنه تضرعا وخيفة
متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر ودون
الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو والآصال باوقات الغدو والعشيات
وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من
الغافلين عن ذكر الله ان الذين عند ربك يعني ملائكة الملا الاعلى لا
يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخصونه
بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين
ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن آدم السجدة

فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت
بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله
يوم القيامة بينه وبين ابليس ستراً وكان آدم شفيعاً له يوم القيامة والله سبحانه اعلم

سورة الانفال مدنية وآياتها سبعون

بسم الله الرحمن الرحيم يسئلونك عن الانفال اي الغنائم يعني
حكمها وانما سميت الغنيمة نفلاً لانها عطية من الله وفضل كما سمي به ما يشترطه
الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال لله والرسول اي امرها
مختص بهما يقسمها الرسول على ما يامر الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في
غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرين منهم او الانصار وقيل شرط رسول
الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين
واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلاً فقال الشيوخ والوجوه الذين
كانوا عند الرايات كنا ردءاً لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو
قول الشافعي رضي الله عنه وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر قتل
عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه
الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلاً حتى نزلت سورة الانفال
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب
فخذه وقرئ يسلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام
نون عن فيها ويسلونك الانفال اي يسلونك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله
في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة
والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله
فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال
الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين
بالعدل والاحسان انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاماً له وتهيباً من جلاله وقيل هو
الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع خوفاً من عقابه وقرئ وجلت
بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً
لزيادة المؤمن به او لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل
بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل

فيه وعلى ربهم يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين
يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقاً لانهم حققوا
ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح
التي هي العيار عليها من الصلاة والصدقة وحقاً صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقوله
هو عبد الله حقاً لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها
باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده
ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه
الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال
ثبتت لله والرسول صلى الله عليه وسلم مع كراهتهم ثباتاً مثل ثبات اخراجك ربك
من بيتك يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقاً
من المؤمنين لكارهون في موقع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير
قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكباً منهم ابو سفيان
وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله فاخبر
المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل
فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد
لن تفلحوا بعدها ابداً وقد رأت قبل ذلك عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكاً نزل
من السماء واخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت
بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبؤوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج
ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم
يوماً في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي دفران فنزل عليه جبريل بالوعد
باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا
ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير قد مضت
على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو
فغضب رسول الله فقام ابو بكر وعمر فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض
فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن
عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى
اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا
انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس
وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم
برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة

فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قد امنا بك وصدقناك وشهدنا
ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا
على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا
هذا البحر فخضته لخضناه ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا
لصبر عند الحرب صدق عند اللقا ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة
الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى
الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه الصلاة والسلام
لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له
لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله
يجادلونك في الحق في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه
بعد ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول **كانما يساقون الى
الموت وهم ينظرون** اي يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو
يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تاهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة
وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم لفرط فزعهم **واذ يعدكم الله
احدى الطائفتين** على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها
انها لكم بدل الاشتمال **وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم** يعني العير فانه
لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة
عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك **ويريد الله ان
يحق الحق** ان يثبته ويعليه **بكلماته** الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة
بالامداد وقرئ بكلمته **ويقطع دابر الكافرين** ويستاصلهم والمعنى انكم تريدون
ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم
فوز الدارين **ليحق الحق ويبطل الباطل** اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد
وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار
ذات الشوكة ونصره عليها **ولو كره المجرمون** ذلك **اذ تستغيثون ربكم** بدل من اذ
يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص
من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين
وعن عمر انه عليه الصلاة والسلام نظر الى المشركين وهم الف والى الصحابة وهم ثلثمائة
فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة
لا تعبد في الارض فما زال كذلك الى ان سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك منا
شدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك **فاستجاب لكم اني ممدكم** باني ممدكم فحذف الجار
وسلط عليه الفعل وقرا ابو عمرو بالكسر على ارادة القول واجرا استجاب مجرى قال لان

الاستجابة من القول **بالف من الملائكة مردفين** متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا
من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين
من اردفته اياه فردفه وقرا نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اي متبعين
او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء
وضمها واصلهما مرتدفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر
على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بالاف ليوافق ما في سورة ال عمران ووجه
التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة
او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها **وما
جعله الله** اي الامداد **الا بشرى** الا بشارة لكم بالنصر **ولتطمئن به قلوبكم** فيزول
ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم **وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم** وامداد
الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسايط لا تاثير لها فلا تحسبوا منها
ولا تيأسوا منه بفقدها **اذ يغشيكم النعاس** بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة
او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرا نافع بالتخفيف
من اغشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرا ابن كثير وابو عمرو يغشاكم
النعاس بالرفع **امنة منه** امنا من الله تعالى وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله
يغشاكم النعاس يتضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز
ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وان يجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس
على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما
غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله
• يهاب النوم ان يغشى عيونا • تهابك فهو نفار شرود • وقرئ امنة
كرحمة وهي لغة **وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به** من الحدث والجنابة
ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لانه من تخييله او وسوسته وتخويفه
اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا
فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف
تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء
الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي
فاتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي
بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة **وليربط على قلوبكم**
بالوثوق على لطف الله بهم **ويثبت به الاقدام** بالمطر لا تسوخ في الرمل او بالربط
على القلوب حتى تثبت في المعركة **اذ يوحي ربك** بدل ثالث او متعلق بيثبت **الى الملائكة
اني معكم** في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول

او اجرا القول مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة
اعدائهم فيكون قوله سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم
فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على
تغيير الخطاب واما على ان قوله سألقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون به
المؤمنين كانه قال قولوا لهم قولي هذا فاضربوا فوق الاعناق اي اعاليها التي هي
المذابح والرؤس واضربوا منهم كل بنان اصابع اي حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم
ذلك اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين قبل
بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من
المتعاديين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو
الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل
او وعيد بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع
الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او النصب
بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا او عليكم ليكون الفاء عاطفة وان
للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا
ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان
الكفر سبب العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستيناف
يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون
او مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف
وانتصابه على الحال فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا عن ان يكونوا مثلكم
او اقل منكم والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين على القتال الآية
ويجوز ان ينتصب زحفا من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون
اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون
منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا
لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة
او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر
القرب لما روي ابن عمر انه كان في سرية بعثهم رسول الله ففروا الى المدينة
فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب
متحرفا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا
او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز
يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو
على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين

معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم
والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه
السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني
اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم فلما التقى الجمعان
تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك
الا اشتغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما
انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط
محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت
يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اي اتيت بصورة
الرمي ولكن الله رمى اي بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا
وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو
كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت الرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله
رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد
ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم خيبر نحو
الحصن فاصاب كنانة بن الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين وليبلي المؤمنين منه
بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات ان الله
سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء
الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع اي المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن
كيد الكافرين معطوف عليه اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين الكافرين وابطال
حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة
والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك
انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى
الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم
لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته نعد لنصره ولن تغني
عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم وان
الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله
مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر
وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان
تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله
معكم بالنصر فانه مع الكاملين ايمانهم ويؤيد ذلك يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله

ولا تولوا عنه أي ولا تتولوا عن الرسول فإن المراد من الآية الأمر بطاعته والنهي عن
الإعراض وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على أن طاعة الله في طاعة الرسول لقوله
من يطع الرسول فقد أطاع الله وقيل الضمير للجهاد أو للأمر الذي دل عليه الطاعة **وأنتم
تسمعون** القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق **ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا**
كالكفرة أو المنافقين الذين ادعوا السماع **وهم لا يسمعون** سماعا ينتفعون به فكأنهم
لا يسمعون رأسا **إن شر الدواب** شر ما يدب على الأرض أو شر البهائم **الصم**
عن الحق **البكم الذين لا يعقلون** إياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لإبطالهم
ما ميزوا به وفضلوا لأجله **ولو علم الله فيهم خيرا** سعادة كتبت لهم أو انتفاعا بالآيات
لأسمعهم سماع تفهم **ولو أسمعهم** وقد علم أن لا خير فيهم **لتولوا** ولم ينتفعوا
به وارتدوا بعد التصديق والقبول **وهم معرضون** لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي
أحي لنا قصيا فإنه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لأسمعهم كلام
قصي **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول** بالطاعة **إذا دعاكم** وحد الضمير فيه
لما سبق ولأن دعوة الله تسمع من الرسول وروي أنه عليه الصلاة والسلام مر على أبي
وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن إجابتي قال كنت أصلي قال
ألم تخبر فيما أوحي إلي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لأن إجابته لا تقطع
الصلاة فإن الصلاة أيضا إجابة وقيل لأن دعاءه كان لأمر لا يحتمل التأخير وللمصلي أن
يقطع الصلاة فإن الصلاة إجابة له وقيل لأن دعاءه كان لأمر لا يحتمل التأخير وللمصلي أن يقطع
الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الأول **لما يحييكم** من العلوم الدينية فإنها
حياة القلب والجهل موته وقال: لا تعجبن الجهول حلته ... فذاك ميت وثوبه كفن
أو مما يورثكم الحياة الأبدية في النعيم الدائم من العقائد والأعمال أو من الجهاد
فإنه سبب بقائكم إذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم أو الشهادة لقوله تعالى بل أحياء
عند ربهم يرزقون **واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه** تمثيل لغاية قربه من العبد
كقوله ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وتنبيه على أنه مطلع على مكنونات القلوب
ما عسى يغفل عنه صاحبها أو حث على المبادرة إلى إخلاص القلوب وتصفيتها قبل أن
يحول الله بينه وبين القلب بالموت أو غيره أو تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه
فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر إن أراد سعادته وبينه وبين
الإيمان إن قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة وإلقاء حركتها
على الراء وإجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه **وأنه إليه تحشرون** فيجازيكم
بأعمالكم **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** اتقوا ذنبا يعمكم أثره
كإقرار المنكر والمداهنة في الأمر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد
على أن قوله لا تصيبن إما جواب المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مسا

الأمر على معنى إن أصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه أن جواب الشرط متردد فلا يليق به النون

لا يحطمنكم

لا يحطمنكم وإما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لأن النون لا تدخل المنفي في غير
القسم أو للنهي على إرادة القول كقوله: حتى إذا جن الظلام واختلط ... جاؤوا بمذق هل
رأيت الذئب قط
وإما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وإن اختلفا في المعنى ويحتمل أن يكون
نهيا بعد الأمر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فإن وباله يصيب الظالم خاصة
ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الأول للتبعيض وعلى الأخيرين للتبيين وفائدته
التنبيه على أن الظلم منكم أقبح من غيركم **واعلموا أن الله شديد العقاب واذكروا
إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض** أرض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين
وقيل للعرب كافة فإنهم كانوا أذلاء في أيدي فارس والروم **تخافون أن يتخطفكم الناس**
كفار قريش أو من عاداهم فإنهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم **فآواكم** إلى المدينة
أو جعل لكم مأوى تتحصنون به عن أعاديكم **وأيدكم بنصره** على الكفار أو بمظاهرة الأنصار
أو بإمداد الملائكة يوم بدر **ورزقكم من الطيبات** من الغنائم **لعلكم تشكرون**
هذه النعم **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول** بتعطيل الفرائض والسنن
أو بأن تضمروا خلاف ما تظهرون أو بالغلول في الغنائم وروي أنه عليه الصلاة
والسلام حاصر بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح إخوانهم بني
النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذرعات وأريحا من الشام فأبى إلا أن ينزلوا
على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة وكان مناصحا لهم لأن عياله
وماله في أيديهم فبعثه إليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فأشار إلى حلقه
قال أبو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه
على سارية في المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي
فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك
فقال لا والله لا أحلها حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله فقال إن من تمام توبتي أن
أهجر دار قومي التي أصبت ذنبي الذنب وأن أنخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك
الثلث أن تتصدق به وأصل الخون النقص كما أن أصل الوفاء التمام واستعماله في ضد
الأمانة لتضمنه إياها **وتخونوا أماناتكم** فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الأول
أو منصوب على الجواب بالواو **وأنتم تعلمون** أنكم تخونون أو وأنتم علماء تميزون الحسن
من القبيح **واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة** لأنهم سبب الوقوع في الإثم أو العقاب
أو محنة من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كأبي لبابة **وأن الله عنده
أجر عظيم** لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فأنيطوا هممكم بما يؤديكم
إليه **يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا** هداية في قلوبكم تفرقون به
بين الحق والباطل أو نصرا يفرق بين المحق والمبطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين
أو مخرجا من الشبهات أو نجاة عما تحذرون في الدارين أو ظهورا يشهر أمركم ويبث صيتكم

من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح **ويكفر عنكم سيئاتكم** ويسترها
ويغفر لكم بالتجاوز والعفو عنه وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد
ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما لهم **والله ذو الفضل العظيم** تنبيه
على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد
اذا وعد عبده انعاما على عمل **واذ يمكر بك الذين كفروا** تذكار لما مكر قريش به حين كان
بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك
ليثبتوك بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به
ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك **او يقتلوك**
بسيوفهم **او يخرجوك** من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم
فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ
وقال انا من نجد سمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال
ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه
طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من
قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من
ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل
انا رأيي ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربونه ضربة واحدة
فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه
فقال الشيخ صدق الفتى فتفرقوا على رأيه فاتى جبريل النبي عليهما السلام واخبره الخبر وامره بالهجرة
فبيت عليا رضي الله عنه على مضجعه وخرج مع ابي بكر الى الغار **ويمكرون ويمكر الله** برد
مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكر بهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين
في اعينهم حتى حملوا عليه فقتلوا **والله خير الماكرين** لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد
امثال هذا مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم **واذا تتلى عليهم**
آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول النضر بن الحارث واسناده
الى الجميع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم او قول الذين ائتمروا في
امره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما
منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم
يعارضوا سورة مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب
البيان **ان هذا الا اساطير الاولين** ما سطره الاولون من القصص **واذ قالوا اللهم**
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب
اليم هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا
الا اساطير الاولين قال النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان

كان

كان القرآن حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه
والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع
على ان هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا
بالوجه الذي يدعيه النبي وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا
للواقع غير منزل كاساطير الاولين **وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله**
معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم
واللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبي بين اظهرهم
خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي
فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون **وما لهم الا يعذبهم الله** وما لهم
مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون **وهم يصدون عن المسجد الحرام**
وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية
وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن
ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء **ان اولياؤه الا المتقون**
من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله **ولكن اكثرهم لا يعلمون**
ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل
كما يراد بالقلة العدم **وما كان صلاتهم عند البيت** اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة
او ما يضعون موضعها **الا مكاء** صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا
وتصدية تصفيقا تفعلة من الصد او على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ
صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم
العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا
يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون
وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون
ايضا **فذوقوا العذاب** يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام
يحتمل ان تكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب **بما كنتم تكفرون** اعتقادا وعملا
ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر كانوا
اثني عشر رجلا من قريش كل واحد كل يوم عشر جزائر او في ابي سفيان استأجر يوم
احد الفين من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او لاصحاب العير فانه لما اصيب
قريش ببدر قيل اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد
بسبيل الله دينه واتباع رسوله **فسينفقونها** بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم
في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق

الجزء العاشر

بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهما انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على
ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون
عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها
مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي الذين
ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث
من الطيب الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون
او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله مما انفقه المسلمون في نصرته
واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا
فيجمعه ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكموا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر
ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكافرين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى
الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين هم الخاسرون الكاملون في
الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى
قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد
سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خاطبهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله
وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء
بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا
عن الكفر فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن
يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام
والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم
دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب
وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم
نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم
الذي اخذتموه من الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه
مبتدأ خبره محذوف اي فثابت ان لله خمسه وقرئ فإن بالكسر والجمهور على ان ذكر
الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين
وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكأنه قال فان لله خمسه
يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه باق غير ان سهم الرسول صلوات الله عليه يصرف الى
ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف
الاربعة وقال ابو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا

الى الثلاثة الباقية وعن مالك الامر فيه مفوض الى رأي الامام يصرفه الى ما يراه اهم
وذهب ابو العالية الى ظاهر الاية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة
لما روي انه عليه الصلاة والسلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي
على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول وذو القربى
بنو هاشم وبنو المطلب لما روي انه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوي القربى
عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم
نحن وهم بمنزلة فقال عليه الصلاة والسلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام
وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغني والفقير
فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد
باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والاية نزلت ببدر وقيل كان
الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس
عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا
اي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس
الاربعة فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود
بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا محمد من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين
اي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم
التقى الجمعان المسلمون والكفار والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير
والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات
الثلاث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي
عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان
قياسه قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود
وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اي العير او قوادها اسفل منكم في مكان
اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من
الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة
عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف
شأن المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز
الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها
الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم
لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم
لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منه ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما
اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا

تله

ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله أمرا كان مفعولا حقيقا بأن
يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى
من حي عن بينة بدل منه أو متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن
بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة
فإن وقعة بدر من الآيات الواضحة أو ليصدر كفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح
بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والإسلام والمراد بمن هلك ومن حي المشارف
للهلاك والحياة أو من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ
ابن كثير ونافع وأبو بكر ويعقوب من حيي بفك الإدغام للحمل على المستقبل وإن الله
لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وإيمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين
لاشتمال الأمرين على القول والاعتقاد إذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر
أو بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بعليم أي يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك
في رؤياك وهو أن تخبر به أصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم
ولو أراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الأمر أمر القتال وتفرقت
آراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم أنعم بالسلامة من الفشل والتنازع
إنه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير أحوالها وإذ يريكموهم إذ
التقيتم في أعينكم قليلا الضميران مفعولا يري وقليلا حال من الثاني وإنما قللهم
في أعين المسلمين حتى قال ابن مسعود لمن إلى جنبه أتراهم سبعين فقال أراهم
مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول ويقللكم في أعينهم حتى قال أبو جهل
إن محمدا وأصحابه أكلة جزور وقللهم في أعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم
ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم
وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم تلك الوقعة فإن البصر وإن كان قد يرى الكثير
قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا إلى هذا الحد وإنما يتصور ذلك بصد الله الأبصار
عن إبصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله أمرا كان مفعولا
كرره لاختلاف الفعل المعلل به أو لأن المراد بالأمر ثم الاكتفاء على الوجه المحكي
وههنا إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وحزبه وإلى الله ترجع الأمور يا أيها الذين
آمنوا إذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار
واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب
داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم
من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على أن العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر الله
وأن يلتجئ إليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال [margin: واثقا] بأن لطفه لا ينفك
عنه في شيء من الأحوال وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء

أو تعلقتم بيد رواحد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب
ريحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث إنها في تمشي أمرها ونفاذه مشبهة
بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فإن النصرة لا تكون إلا بريح يبعثها
الله وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور واصبروا إن الله مع الصابرين
بالكلاءة والنصرة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني أهل مكة حين خرجوا
منها لحماية العير بطرا فخرا وأشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة
وذلك أنهم لما بلغوا جحفة وافاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت
عيركم فقال أبو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا
القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت
عليهم النوائح فنهى المؤمنين أن يكونوا أمثالهم بطرين مرائين وأمرهم بأن يكونوا
أهل تقوى وإخلاص من حيث إن النهي عن الشيء أمر بضده ويصدون عن سبيل الله
معطوف على بطرا إن جعل مصدرا في موضع الحال وكذا إن جعل مفعولا له لكن على تأويل
المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيكم عليه وإذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر
أعمالهم في معاداة الرسول وغيرها بأن وسوس إليهم وقال لا غالب لكم اليوم
من الناس وإني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى أنه ألقى في روعهم وخيل إليهم أنهم
لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم وأوهمهم أن اتباعهم إياه فيما يظنون أنها
قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر أهدى الفئتين وأفضل الدينين ولكم خبر
لا غالب أو صفته وليس صلته وإلا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا
فلما تراءت الفئتان أي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى
أي بطل كيده وعاد ما خيل إليهم أنه مجيرهم سبب هلاكهم وقال إني بريء
منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله أي تبرأ منهم وخاف عليهم وأيس
من حالهم لما رأى إمداد المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت
ما بينهم وبين كنانة من الإحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم إبليس بصورة سراقة
ابن مالك الكناني وقال لا غالب لكم وإني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل
نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له إلى أين أتخذلنا في هذه الحالة
فقال إني أرى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث فانطلق وانهزموا فلما بلغوا
مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى
بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وعلى هذا يحتمل أن يكون معنى قوله
إني أخاف الله أي أخافه أن يصيبني مكروها من الملائكة أو يهلكني ويكون الوقت
الموعود إذ رأى فيه ما لم ير قبله والأول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر
والله شديد العقاب يجوز أن يكون من كلامه وأن يكون مستأنفا إذ يقول المنافقون

والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم
المشركون او المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء دينهم يعنون المؤمنين
حتى تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الالف
ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل حكيم
يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رأيت
فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر واذ
ظرف ترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل
يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو
مبتدأ وخبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير
عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم
ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اي يضربون ما اقبل منهم وما
ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون على اضمار القول اي ويقولون
بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت
منها النار وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك الضرب والعذاب
بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وان الله ليس
بظلام للعبيد عطف على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لأمكن
ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه
ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير
لاجل العبيد كدأب آل فرعون اي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم
وطريقهم الذي دأبوا فيه اي داموا عليه والذين من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا
بآيات الله تفسير لدأبهم فأخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هؤلاء ان الله قوي شديد
العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك اشارة الى ما احل الله بهم بان الله بسبب ان
الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا اياها بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم
يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوأ كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض
الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب
بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه بعد المبعث وليس تغيير الله ما انعم
عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المقدر له بل هو جري عادته تعالى على تغييره متى
تغيروا حالهم واصل لم يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون
لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون
كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا
آل فرعون تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم

وبيان

وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه
التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة او من غرقى
القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالظلم والمعاصي ان شر الدواب عند الله
الذين كفروا اصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله
اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان
تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم
ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم
يهود قريظة عاهدهم رسول الله ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا
نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف
الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة
والمحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصره المؤمنين
وتسليطه عليهم فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم ففرق
عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة
والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكأنه مقلوب شذر
ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم
يذكرون لعل المشردين يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات
تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة
ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء في الخوف او العلم بنقض العهد
وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اي ثابتا على طريق سوي او منه او من
المنبوذ القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستيناف ولا يحسبن خطاب للنبي وقوله
الذين كفروا سبقوا فاتوا وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من
خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا
وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف او على ايقاع الفعل على انهم
لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين
والاظهر انه تعليل للنهي اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله او لا يجدون
طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت الا انه تعليل على سبيل الاستيناف ولعل الآية
ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من المشركين واعدوا
ايها المؤمنون لهم لناقضي العهد او الكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى
في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عليه الصلاة والسلام يقول على المنبر الا ان القوة
الرمي قالها ثلاثا ولعله عليه الصلاة والسلام خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل
اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا

اليهم او منهما على غيره وقوله
ان الله لا يحب الخائنين
تعليل للامر بالنبذ
والنهي عن
مناجزة

ورابط مرابطة او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها
جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون
به وعن يعقوب ترهّبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد عدو الله
وعدوكم يعني كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود
وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم
وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع العمل
او بنقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى للسلم
للصلح والاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتأنيث الضمير
لحمل السلم على نقيضها فيه قال • السلم تأخذ منها ما رضيت به • والحرب يكفيك من انفاسها
جرع • وقرئ فاجنُح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه
فان الله يعصمك من مكرهم وحيقه بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم
والاية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها اية السيف
وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك الله وكافيك قال جرير •
اني وجدت من المكارم حسبكم • ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا •
هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من
العصبية والضغينة في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد
يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلوات الله عليه
وبيانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم اي تناهي عداوتهم
الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على
الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب
يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم
يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل الاية في الاوس والخزرج كان بينهم احن
لا امد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام
حتى تصافوا وصاروا انصارا يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من
المؤمنين اما في محل النصب على المفعول معه كقوله • فحسبك والضحاك سيف مهند •
اذا كانت الهيجاء واشتجر القنا • او الجر عطفا على المكني عند الكوفيين
او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله والمؤمنون والاية نزلت في البيداء
في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم
عمر فنزلت ولذلك قال ابن عباس نزلت في اسلامه يا ايها النبي حرض المؤمنين
على القتال بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى
يشفي على الموت وقرئ حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا

مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب على الواحد مقاومة
العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد للاثنين
وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر
الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن
وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة
والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان
لنبي وقرئ للنبي على العهد ان يكون له اسرى وقرأ البصريان بالتاء حتى يثخن في
الارض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي
اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة
تريدون عرض الدنيا حطامها باخذ الفداء والله يريد الآخرة يريد لكم ثواب
الآخرة او سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار
المضاف كقوله • اكل امرئ تحسبين امرأ • ونار توقد بالليل نارا • والله عزيز
يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع
عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال
وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه الصلاة والسلام اتي يوم بدر بسبعين اسيرا
فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك
استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال
عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكني من فلان
لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله
وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب
رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني
فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على
الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على
رسول الله فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت
والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من
هذه الشجرة لشجرة قريبة والاية دليل على ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون خطأ
ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح
وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح
لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من الفداء
عذاب عظيم روي انه عليه الصلاة والسلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه
غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم

من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء
للتسبيب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من
زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر
اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة
او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في مخالفته
إن الله غفور رحيم غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في
ايديكم من الاسرى وقرأ ابو عمرو من الاسارى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا
ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس
كلفه رسول الله ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن
الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين الذهب الذي
دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي
هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال
وما يدريك قال اخبرني به ربي قال اشهد انك صادق وان لا اله الا الله
وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل
قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم
ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل
مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور
رحيم وإن يريدوا يعني الاسرى خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله
بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم اي فامكنك منهم
يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم إن الذين آمنوا
وهاجروا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم
فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم في سبيل الله
بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم
ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون
والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم
من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي من توليهم في الميراث وقرأ حمزة من ولايتهم
بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول
عملا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين
الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم
والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث والموازرة

وهو

وهو بمفهومه يدل على منع التوارث والموازرة بينهم وبين المسلمين إلا تفعلوه الا تفعلوا
ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق
بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور
الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين
ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة
والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة
ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم
بسمتهم فقال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم
اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
في التوارث من الاجانب في كتاب الله في حكمه او في اللوح او في القرآن واستدل
به على توريث ذوي الارحام إن الله بكل شيء عليم من المواريث والحكمة في
اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه
بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش
وحملته يستغفرون له ايام حياته

وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول هي آخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة
والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والفاضحة والمنكلة والمشردة
والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق
وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم
ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وآيها مائة وثلاثون آية وقيل
تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله
امان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او آية بين موضعها
وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال
ذكر العهود وفي براءة نبذها فضممت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة في انهما
سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب
بسم الله براءة من الله ورسوله اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف
تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر
إلى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله
ورسوله بريا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وان كانت صادرة باذن الله

وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين

واتفاق الرسول فانهما بريا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا ناسا
منهم بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر
ليسيروا اين شاؤا فقال **فسيحوا في الارض اربعة اشهر** شوال وذي القعدة
وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر
وربيع الاول وعشر من ربيع الثاني لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما
نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا راكب العضباء ليقراها على اهل الموسم
وكان قد بعث ابا بكر اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي
عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغا فوقف فقال هذا رغا ناقة رسول الله
فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر
وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني
رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلاثين او اربعين اية ثم قال امرت
باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان
ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم كل ذي عهد عهده ولعل قوله لا يؤدي
عني الا رجل مني ليس العموم فانه بعث عليه السلام لان يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا
من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه
الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من
اهلي **واعلموا انكم غير معجزي الله** لا تفوتونه وان امهلكم **وان الله مخزي الكافرين**
بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الاخرة **واذان من الله ورسوله الى الناس**
اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطا ورفعه كرفع براة على الوجهين
يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه
ولما روي انه عليه الصلاة والسلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال
هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر
او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك
الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه
عز المسلمين وذل المشركين **ان الله** اي بان الله **بريء من المشركين** اي من عهودهم **ورسوله**
عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها وقرئ بكسرها اجرا للاذان مجرى
القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان
قوله براة من الله اخبار بثبوت البراة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك
ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين **فان تبتم** من الكفر والغدر
فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفا
فاعلموا انكم غير معجزي الله لا يفوتونه طلبا ولا يعجزونه هربا **وبشر الذين**

كفروا

كفروا بعذاب اليم في الاخرة **الا الذين عاهدتم من المشركين** استثنا من المشركين
او استدراك وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين
عاهدوا منهم **ثم لم ينقصوكم شيئا** من شروط العهد ولم ينكثوه او لم يقتلوا
منكم ولم يضروكم قط **ولم يظاهروا عليكم احدا** من اعدائكم **فاتموا اليهم
عهدهم الى مدتهم** الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين **ان الله يحب
المتقين** تعليل وتنبيه على ان تمام عهدهم من باب التقوى **فاذا انسلخ** انقضى
واصل الانسلاخ خروج الشي مما لابسه من سلخ الشاة **الاشهر الحرم** التي ابيح
للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل
بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقا الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها
فاقتلوا المشركين الناكثين **حيث وجدتموهم** من حل وحرم **وخذوهم** واسروهم
والاخيذ الاسير **واحصروهم** واحبسوهم واحيلوا بينهم وبين المسجد الحرام **واقعدوا
لهم كل مرصد** كل ممر لئلا يتبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف **فان تابوا** عن الشرك
بالايمان **واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة** تصديقا لتوبتهم وايمانهم **فخلوا
سبيلهم** فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشي من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلاة ومانع
الزكاة لا يخلى سبيله **ان الله غفور رحيم** تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم
غفر لهم ما سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة **وان احد من المشركين** المامور بالتعرض
لهم **استجارك** استامنك وطلب منك جوارك **فاجره** فامنه **حتى يسمع كلام الله**
ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر **ثم ابلغه مامنه** موضع امنه ان لم يسلم واحد
رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتدا لان ان من عوامل الفعل **ذلك** الامن او الامر
بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم
ريثما يسمعون ويتدبرون **كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله** استفهام
بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم
او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام
او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف
على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين **الا الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام** هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثنا او الجر على البدل
او الرفع على ان الاستثنا منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام
فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على
الوفا وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل
الشرطية والمصدرية **ان الله يحب المتقين** سبق بيانه **كيف** تكرار لاستبعاد
ثباتهم على العهد وبقا حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله

خبرتماني انما الموت بالقرى • فكيف وهاتا هضبة وقليب
اي كيف مات وإن يظهروا عليكم اي وحالهم ان يظهروا عليكم لا يرقبوا
فيكم لا يراعوا فيكم إلا حلفا وقيل قرابة قال حسان
لعمرك ان الك من قريش • كال السقب من رال النعام
وقيل ربوبيته ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا
رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب
ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ال الشيء اذا
حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا
كجبرال وجبرئيل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم
استيناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم
عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون
ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفا بالعهد
في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية
تنافيه وتأبى قلوبهم ما تتفوه به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون
لا عقيدة تزعهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي
عن الغدر والتعفف عما يجر الى احدوثة السوء اشتروا بآيات الله استبدلوا بالقرآن
ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهوا والشهوات فصدوا عن سبيله
دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفا للدلالة على ان اشتراءهم
اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون في
مؤمن إلا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في المنافقين وهذا خاص بالذين
اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم
المعتدون في الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة
فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات
لقوم يعلمون اعتراض للحث على تامل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال
التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا بعد ما بايعوا عليه
من الايمان والوفا بالعهود وطعنوا في دينكم بتصريح التكذيب وتقبيح الاحكام
فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير
للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقا بالقتل
وقيل المراد بالائمة روسا المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق
به او للمنع من مراقبتهم وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن
يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل واظهار اليا لحن انهم لا ايمان لهم

اي لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا
طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر
ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله
تعالى وان نكثوا ايمانهم وقرا ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث
به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار
عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا
اي ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم
كما هو طريقة المؤذين ألا تقاتلون قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت
على النفي للانكار فافادت المبالغة في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول
والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول
حين تشاوروا في امره بدار الندوة على ما ذكره في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا
وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة وهم بدؤكم
أول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه الصلاة والسلام بداهم بالدعوة والزام
الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة
فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم أتخشونهم أتتركون قتالهم خشية
ان ينالكم مكروه منهم فالله أحق أن تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره
إن كنتم مؤمنين فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال
بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه يعذبهم الله بايديكم
ويخزهم وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم
واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن
وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى
الله بما وعدهم والآية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتدا اخبار بان بعضهم يتوب
عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة
ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين والله
عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة أم حسبتم
خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى همزتها
التوبيخ على الحسبان أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم
وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه
من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في
الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون

اليهم اسرارهم ولما في لما معنى التوقع منبهة على ان تبين ذلك متوقع والله خبير
بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم
ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن
المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره
كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين
على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى
ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي
انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي رضي الله عنه
في القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب
الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم
التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر
مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة واتى الزكاة اي انما تستقيم
عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عماراتها تزيينها بالفرش
وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها عما لم تبن
له كحديث الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتي في الارض المساجد
وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على
المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله
قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلاة واتى الزكاة عليه
ولم يخش الا الله اي في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد الرجل
العاقل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع
قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم
مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك
باهتداء هؤلاء ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية الحاج
وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله السقاية
والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره اجعلتم
اهل سقاية الحاج كمن امن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من امن ويؤيد الاول قراءة من قرا
سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين
واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم
بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول
منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب
وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين امنوا وهاجروا

الاول

وجاهدوا

تستجمع

وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله اعلى رتبة
واكثر كرامة ممن لم تستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك
هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة
منه ورضوان لهم فيها في الجنات نعيم مقيم دائم وقرا حمزة يبشرهم
بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين
فيها ابدا اكد الخلود بالتابيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر
عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله او نعيم الدنيا يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
اباءكم واخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا
قطعنا اباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت
نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم
عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان
اختاروه وحرضوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة
في غير موضعها قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم
ماخوذ من العشرة وقيل من العشيرة فان العشيرة جماعة يرجع الى عقد كعقد
العشرة وقرا ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم واموال اقترفتموها اكتسبتموها
وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت
التكليف والتحفظ عنه فتربصوا حتى ياتي الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة
عاجلة او اجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يرشدهم
وفي الاية تشديد عظيم وقل من يتخلص منه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن
الحرب وهي مواقفها ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر في ايام مواطن
او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم
منه ان يعطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف
حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطائف
حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين
حضروا فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا اربعة
الاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم او ابو بكر او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم
من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم
على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه
ليس معه الا عمه العباس اخذ بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا
شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله

يف

يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت
الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلاة والسلام هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ
كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم اي الكثرة
شيئا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها اي بسعتها
لا يجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا يثبتون فيها
كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب
الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على
رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما
وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول فلم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم الملائكة
وكانوا خمسة الاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا
بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا
ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم
يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلموا
وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا
وقد سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال اختاروا
اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ان هؤلاء جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب
شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا
حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم
من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا ثم قد رضوا يا ايها الذين امنوا انما المشركون
نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون
ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب
نجاسته نجس وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس
بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد
الحرام لنجاستهم وانما نهي عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد
به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة وقاس مالك سائر
المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد
عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة الوداع وان خفتم عيلة فقرا
بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق فسوف يغنيكم
الله من فضله من عطائه او تفضله بوجه اخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا
ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم

وتوجه

وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال
ان شاء قيده بالمشية لتنقطع الامال الى الله ولينبه على انه متفضل في ذلك وان الغنى
الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما
يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما
بيناه في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه
بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم
المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر الاديان
ومبطلها حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه
عن يد حال من الضمير اي عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم
غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا يؤخذ من
الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد
الى يد او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة وهم صاغرون اذلاء
وعن ابن عباس رضي الله عنهما تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم الاية يقتضي
تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضي الله عنه لم يكن ياخذ الجزية من المجوس
حتى شهد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام اخذها من مجوس
هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا
بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة رضي الله عنه
تؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روى الزهري انه صالح عبدة الاوثان الا من كان من
العرب وعن مالك رضي الله عنه تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار
سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط
نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على الفقير غير الكسوب وقالت اليهود عزير ابن الله
انما قاله بعضهم من متقدميهم او ممن كان بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد
وقعة بخت نصر من يحفظ التوراة وهو لما احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التوراة
حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان
فيهم ان الاية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرا عاصم والكسائي
بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة
الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف
اللين او لان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه
يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله
هو ايضا قول بعضهم وانما قالوا استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما
يفعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم

إما تأكيد لنسبة هذا القول إليهم ونفي للتجوز عنها أو إشعار بأنه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الأفواه ولا يوجد مفهومه في الأعيان **يضاهئون قول الذين كفروا** أي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه **من قبل** أي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى أن الكفر قديم فيهم أو المشركين الذين قالوا الملائكة بنات الله أو اليهود على أن الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيأ على فعيل للتي شابهت الرجال في أنها لا تحيض **قاتلهم الله** دعاء عليهم بالإهلاك فإن من قاتله الله هلك أو تعجب من شناعة قولهم **أنى يؤفكون** كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله** بأن أطاعوهم في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله أو بالسجود لهم **والمسيح ابن مريم** بأن جعلوه ابنا لله **وما أمروا** أي وما أمر المتخذون أو المتخذون أربابا فيكون دليلا على بطلان الاتخاذ **إلا ليعبدوا** ليطيعوا **إلها واحدا** وهو الله تعالى وأما طاعة الرسل وسائر من أمر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله **لا إله إلا هو** صفة ثانية أو استئناف مقرر للتوحيد **سبحانه عما يشركون** تنزيه له عن أن يكون له شريك **يريدون أن يطفئوا** يخمدوا **نور الله** حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد أو القرآن أو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **بأفواههم** بشركهم أو تكذيبهم **ويأبى الله** ولا يرضى **إلا أن يتم نوره** بإعلاء التوحيد وإعزاز الإسلام وقيل إنه تمثيل لحالهم في طلبهم إبطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب إطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله أن يزيده بنفخه وإنما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لأنه في معنى النفي **ولو كره الكافرون** محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله** كالبيان لقوله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولذلك كرر **ولو كره المشركون** غير أنه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على أنهم ضموا الكفر بالرسول إلى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق أو للرسول واللام في الدين للجنس أي على سائر الأديان فينسخها أو على أهلها فيخذلهم **يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل** يأخذونها بالرشى في الأحكام سمي أخذ المال أكلا لأنه الغرض الأعظم منه **ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله** يجوز أن يراد به الكثير من الأحبار فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن به وأن يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من أهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه أنه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم وقوله عليه الصلاة والسلام ما أدي زكاته فليس

بكنز

١٩٨

بكنز أي بكنز أوعد عليه فإن الوعيد على الكنز مع عدم الإنفاق فيما أمر الله أن ينفق فيه وأما قوله عليه الصلاة والسلام من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله عليه الصلاة والسلام فيما أورده الشيخان مرويا عن أبي هريرة رضي الله عنه ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وظهره وجبهته **فبشرهم بعذاب أليم** هو الكي **يوم يحمى عليها في نار جهنم** أي يوم توقد النار ذات حمي شديد عليها وأصلها تحمى بالنار فجعل الإحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار وأسند الفعل إلى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث إلى صيغة التذكير وإنما قال عليها والمذكور شيئان لأن المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه أربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز أو الأموال فإن الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لأنهما قانون التمول أو للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على أن الذهب أولى بهذا الحكم **فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم** لأن جمعهم وإمساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية أو لأنهم ازوروا عن السائل وأعرضوا عنه وولوه ظهورهم أو لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة فإنها المشتملة على الأعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد أو لأنها أصول الجهات الأربع التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنبتاه **هذا ما كنزتم** على إرادة القول **لأنفسكم** لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها **فذوقوا ما كنتم تكنزون** أي وبال كنزكم أو ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون **إن عدة الشهور** أي مبلغ عددها **عند الله** معمول عدة لأنها مصدر **اثنا عشر شهرا في كتاب الله** في اللوح المحفوظ أو في حكمه وهو صفة لاثني عشر وقوله **يوم خلق السماوات والأرض** متعلق بما فيه من معنى الثبوت أو بالكتاب إن جعل مصدرا والمعنى أن هذا أمر ثابت في نفس الأمر مذ خلق الله الأجرام والأزمنة **منها أربعة حرم** واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم **ذلك الدين القيم** أي تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القويم دين إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام والعرب ورثوه منهما **فلا تظلموا فيهن أنفسكم** بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على أن حرمة المقاتلة فيها منسوخة وأولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فإنه أعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الإحرام وعن عطاء أنه لا يحل للناس أن يغزوا في الحرم والأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا ويؤيد الأول ما روي أنه عليه الصلاة والسلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة** جميعا وهي مصدر كف عن الشيء فإن الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال **واعلموا أن الله مع المتقين** بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم **إنما النسيء** أي تأخير حرمة الشهر

الى شهر اخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا
خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام
الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسء والنساء وكلتيهما مصادر نسأه اذا اخره
زيادة في الكفر لانه تحريم ما احل الله وتحليل ما حرمه فهو كفر اخر ضموه الى كفرهم يضل به
الذين كفروا ضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البنا للمفعول وعن يعقوب
نضل على ان الفعل لله يحلونه عاما يحلون النسي من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه
شهرا اخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته وقيل اول من احدث ذلك جنادة
ابن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان الهتكم قد احلت لكم المحرم
فاحلوه ثم ينادي في القابل ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان
تفسير للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة
الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البنا للفاعل وهو الله والمعنى خذلهم واضلهم
حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى
الاهتدا يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطاتم وقرئ
تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ الى الارض متعلق به كانه
ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد
رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقحط مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم
ارضيتم بالحياة الدنيا وغرورها من الاخرة بدل الاخرة ونعيمها فما متاع الحياة
الدنيا فما التمتع بها في الاخرة في جنب الاخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا
ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع
كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم اخرين مطيعين كاهل
اليمن وابنا فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه فانه
الغني عن كل شي وفي كل امر وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه فان الله وعد له
بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير
الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم
تنصروه فسينصره الله كما نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه
الا رجل واحد فحذف الجزا واقيم ~~ما هو كالدليل~~ ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم
تنصروه فقد اوجب الله له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد
الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له بالخروج
وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب
ونصبه على الحال اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان
متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا

اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بحرموه عاما وباحلوه على جميع التعلق صح

اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه وهو ابو بكر رضي الله عنه لا تحزن ان الله معنا
بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي الله عنه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما فا
عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا
في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه
على النبي صلى الله عليه وسلم او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها
يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين
فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك
او دعوة الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل
ذلك بتخليص الرسول صلى الله عليه وسلم عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدا له او بتاييده
اياه في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرا يعقوب وكلمة الله بالنصب
عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق
غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره
انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او
ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا
باموالكم وانفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه
ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله به صدق فبادروا
اليه لو كان عرضا اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل الماخذ وسفرا
قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة اي المسافة التي تقطع
بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك
معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا
بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابي
القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها
في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك او حال من فاعله
والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية
عن خطابه في الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كني بالعفو ومعاتبة
عليه والمعنى لاي شي اذنت لهم في القعود حين استاذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا
توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه الفدا واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما
لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس

عماهم الله
ها
بيده
ركبانا

اي ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا فان الخلص منهم يبادرون
اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستاذنوا في التخلف عنه او ان يستاذنوك
في التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم
بثوابه انما يستاذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان
بالله واليوم الآخر في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان
وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا
الخروج لاعدوا له للخروج عدة اهبة وقرئ عُدَّه بحذف التا عند الاضافة
كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وعِدَّه بكسر العين باضافة وبغيرها ولكن
كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا
ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اي نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن
والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقا الله كراهة الخروج في قلوبهم
او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم
والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم
ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم
خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار اعم العام الذي وقع منه الاستثنا
ولاجل هذا التوهم جعل الاستثنا منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولاوضعوا
خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب او الهزيمة والتخذيل من وضع
البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف
فيما بينكم او الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون لهم
ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم
والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتاتى منهم لقد ابتغوا الفتنة
تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا
عن تبوك بعدما خرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع
انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء في
ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتاييد الالهي وظهر امر الله علا دينه وهم كارهون
على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم
الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم
تداركا لما فوت الرسول صلى الله عليه وسلم بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم
من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة اي العصيان والمخالفة
بان لا تاذن لي وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم ياذن او في الفتنة بسبب
ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنسا الروم روي ان جد بن قيس

قال قد علمت الانصار اني مولع بالنسا فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني اعينك بمالي فاتركني
الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف او ظهور النفاق
لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيامة او الآن لان
احاطة اسبابها بهم كوجودها ان تصبك في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم
لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد
اخذنا امرنا من قبل تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا رايهم في التخلف ويتولوا عن متحدثهم
بذلك ومجتمعهم له او عن الرسول وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب
الله لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا في اللوح
لا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فيعل لا من
فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه
وقوع الشي فيما قصد به وقيل من الصوب هو مولانا ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل
المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى
الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن
نتربص بكم ايضا احدى السوأيين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السما
او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا انا معكم
متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر اي لن
يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم
القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول
جد بن قيس واعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه
وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستئناف وما بعده بيان
وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما
منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرا حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات
غير حقيقي وقرئ يقبل على ان الفعل لله ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى
متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال

لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم

انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب
وما يرون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا
كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل
الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم
منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون
بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجأ حصنا يلجؤون اليه او مغارات
غيرانا او مدخلا نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا

من دخل وقرئ مُدخلا اي مكانا يدخلون فيه انفسهم او مُتدخَّلا ومُندخَلا من مدخل
واندخل لولّوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم
شي كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرأ
يعقوب يلمُزك بالضم وابن كثير يلامزك في الصدقات في قسمها فان اعطوا منها
رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال
الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في
ابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنايم حنين
فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنايم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك
ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجاة نابت مناب الفا الجزائية ولو انهم رضوا ما
اتاهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من الغنيمة او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه
على ان ما فعله الرسول كان بامره وقالوا حسبنا الله كفانا من فضله سيؤتينا الله من
فضله صدقة او غنيمة اخرى ورسوله فيؤتينا اكثر مما اتانا انا الى الله راغبون في ان يغنينا
من فضله والاية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم
ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول فقال انما الصدقات
للفقراء والمساكين اي الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد
باللام لزمهم في قسم الزكوات دون الغنايم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من
حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون
كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وانه عليه الصلاة والسلام
سال المسكنة وتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة
والعاملين عليها الساعين في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم
ضعيفة فيستالف قلوبهم او اشراف يترقب باعطايهم ومراعاتهم اسلام
نظرايهم وقد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس
والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستالفون على ان يسلموا فانه عليه الصلاة
والسلام كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله
وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشي منها على قتال الكفار ومانعي الزكوات وقيل كان
سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله واكثر اهله سقط وفي الرقاب
وللصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشي منها على اداء النجوم وقيل بان يبتاع
الرقاب فيعتق وبه قال مالك واحمد او بان يفدي الاسارى والعدول عن اللام
الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها
والغارمين المديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح
ذات بين وان كانوا اغنيا لقوله عليه الصلاة والسلام لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة

الرسول

لغاز

١٤٨

لغاز في سبيل الله او الغارم او رجل اشتراها بماله ورجل له جار مسكين تصدق على
المسكين فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد بالانفاق
على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل في بناء القناطر والمصانع وابن
السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الاية اي فرض لهم
الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة
والله عليم حكيم يضع الاشيا في مواضعها وظاهر الاية يقتضي تخصيص استحقاق
الزكاة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية
بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم
من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلاثة
واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمه الله على ان الاية بيان ان
الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمتها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون
هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه
صار جملته الة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا
استمع كانف وشلل روي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم ناتيه
فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن لكن لا على الوجه الذي ذموا
به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما
قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة
للتفرقة بين ايمان التصديق عليه فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة
اي وهو رحمة للذين امنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه
على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرا حمزة ورحمة بالجر
عطفا على خير وقرئ بالنصب بفعل دل عليه اذن خير صفة له او خبر ثان والذين يؤذون
رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا
ليرضوكم اي لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق ان يرضوه احق بالارضا
بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين او لان الكلام في ايذا الرسول وارضائه
او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا
انه ان الشان وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق مشاقة من الحد فان له نار
جهنم خالدا فيها على حذف الخبر اي فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد ويحتمل ان يكون معطوفا
على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر
ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك الدائم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة
تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان يكون الضماير للمنافقين فان
النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا

ق
ن
ترددهم

في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول بشيء وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولونه
فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزءوا ان الله مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اي
ما تحذرونه من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم ولئن سألتهم
ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي ان ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات
هيهات فاخبر الله به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا
في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض
في السفر قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون توبيخا على استهزائهم
بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا تعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا
لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء
الرسول والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم
لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء نعذب طائفة بانهم كانوا
مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون
فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله تعالى وان تعف بالتاء والبناء على المفعول
ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون والمنافقات بعضهم من
بعض اي متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد وقيل انه
تكذيب لهم في حلفهم انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه
فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي
وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض
اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم
من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسوق
عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين
فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله
ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما
يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل
الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل
حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى
التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم
بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدعة من الشهوات الفانية والتهائهم
بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين
بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا كالذين

خاضوا

خاضوا او كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا
والآخرة لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا
الدنيا والآخرة الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا
بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه
واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات
قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل
وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب حالهن من الخير الى الشر
اتتهم رسلهم يعني الكل بالبينات فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من عادته
ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها
للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض في مقابلة
قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله في سائر الامور اولئك
سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب على كل شيء
لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش
وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن
اقامة وخلود وعنه عليه الصلاة والسلام عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر
على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى
طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع
على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه وكانه وصفه اولا من جنس ما هو من الاماكن
التي يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف
بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عن شيء منها اماكن الدنيا وفيها
ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين
لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله
اكبر لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه
عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى
وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء
افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اي الرضوان او جميع ما تقدم
هو الفوز العظيم الذي تستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف
والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم ومأواهم
جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روي انه عليه الصلاة والسلام اقام

في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان
ما يقول محمد لإخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره
فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة
الكفر وكفروا بعد إسلامهم وأظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام وهموا بما لم
ينالوا وما أنكروا أو ما وجدوا ما يورث نقمتهم إلا أن أغناهم الله ورسوله
من فضله فإن أكثر أهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم أثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بديته اثني عشر ألف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل أو العلل
فإن يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب وإن يتولوا
بالإصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة بالقتل والنار
وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن
آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب أتى
النبي صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله أن يرزقني مالا فقال يا ثعلبة قليل تؤدي
شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأ
عطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت
بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لأخذ الصدقات
فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومروا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه الكتاب الذي فيه
الصدقة فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية فارجعا حتى أرى رأيي
فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال إن الله منعني أن أقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه
فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها إلى أبي بكر
فلم يقبلها ثم جاء بها إلى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان فلما آتاهم من
فضله بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم
عادتهم الإعراض عنها فأعقبهم نفاقا في قلوبهم أي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك
نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز أن يكون الضمير للبخل والمعنى فأورثهم البخل
نفاقا متمكنا في قلوبهم إلى يوم يلقونه يلقون الله بالموت أو يلقون عمله أي جزاءه
وهو يوم القيامة بما أخلفوا الله ما وعدوه بسبب إخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح
وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فإن خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح
من الوجهين أو المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد ألم يعلموا أي المنافقون
أو من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات أن الله يعلم سرهم ما أسروه في
أنفسهم من النفاق أو العزم على الإخلاف ونجواهم وما يتناجون به فيما بينهم

عليه الصلاة والسلام

من

من المطاعن أو تسمية الزكاة جزية وأن الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين
يلمزون ذم مرفوع أو منصوب أو بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم
المطوعين المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي أنه عليه الصلاة والسلام
حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية
آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت لعيالي أربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت إحدى امرأتيه
عن نصف الثمن على ثمانين ألف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء
أبو عقيل الأنصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي أجر الجرير على صاعين فتركت صاعا
لعيالي وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره على الصدقات فلمزهم
المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع
أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون إلا
جهدهم إلا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الأمر فيسخرون منهم يستهزئون بهم
سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله تعالى الله يستهزئ بهم ولهم عذاب أليم على كفرهم
استغفر لهم أو لا تستغفر لهم يريد به التساوي بين الأمرين في عدم الإفادة
لهم كما نص عليه بقوله إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي أن عبد الله
ابن عبد الله بن أبي وكان من المخلصين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض أبيه أن يستغفر له
ففعل فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام لأزيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم أستغفرت
لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام فهم من السبعين
العدد المخصوص لأنه الأصل فجوز أن يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له أن المراد
به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها
في التكثير لاشتمال السبعة على جملة أقسام العدد فكأنه العدد بأسره ذلك بأنهم
كفروا بالله ورسوله إشارة إلى أن اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا
ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها المغفرة والله لا يهدي القوم
الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فإن مغفرة الكافر بالإقلاع
عن الكفر والإرشاد إلى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي
والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم يأسه من إيمانهم ما لم يعلم أنهم
مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين آمنوا
أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم فرح
المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو وخلفه يقال أقام خلاف
الحي أي بعدهم ويجوز أن يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة أو الحال وكرهوا
أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله إيثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض

ايثار الدعة والخفظ
فيه على طاعة الله
وفيه تعريض
بالمؤمنين

بالمومنين الذين اوثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر
اي قال بعضهم لبعض او قالوه للمومنين تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا وقد آثرتموها
بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون ان مآلهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة
على الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه حالهم
في الدنيا والاخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون
الضحك والبكا كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك
الله الى طائفة منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم
فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستاذنوك
للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي
عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له
وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة
الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنسا
والصبيان وقرئ مع الخلفين اي على قصر الخالفين ولا تصل على احد منهم مات
ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه سأله
ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل
قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن
التكفين في قميصه ونهى عن الصلاة عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم
ولانه كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلاة
الدعا للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله
مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احيا الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحي
ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله
وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي او لتابيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم
انما يريد الله ان يعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون
تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس
مغتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه في فريق غير الاول واذا انزلت سورة من القران
ويجوز ان يراد بعضها ان امنوا بالله بان امنوا ويجوز ان تكون ان المفسرة وجاهدوا
مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم ذووا الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع
القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النسا جمع خالفة
وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد
وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول
والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هولا ولم يجاهدوا

او لو كانوا يفقهون
... انها كيف هي ما اختاروها
بايثار الدعة على الطاعة

فقد جاهد من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة
في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل الحور لقوله تعالى فيهن خيرات حسان وهو
جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية
وجاء المعذرون من الاعراب ليوذن لهم يعني اسدا وغطفان استاذنوا في التخلف معتذرين
بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طي
على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا
عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التا في الدال ونقل حركتها الى العين ويجوز
كسر العين لالتقا الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرا بهما وقرا يعقوب
المعذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال
على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التا لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم
كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
في غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعا الايمان وان كانوا هم الاولين
فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين فان منهم
من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفا ولا على المرضى
كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة
حرج اثم في التاخير اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة في السر والعلانية
كما يفعل الموالي الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح
ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع
الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم
لهم او للمسي فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفا او على
المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنسا وعبد الله
ابن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال
المخصوفة نغزو معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل
وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف
في اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض من الدمع اي دمعها فان
من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل
على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل
عليه ما قبله الا يجدوا اي لئلا يجدوا ومتعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم
انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنونك وهم اغنيا واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا

مع الخوالف استيناف لبيان ما هو السبب لاستيذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة
والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة
العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه
السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه
قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم
من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه
وكانه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي اليه
فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوتون عن علمه
شيء من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون
بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم
ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التانيب فان المقصود منه التطهير
بالحمل على الانابة وهولاء ارجاس لا يقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة
ومأواهم جهنم من تمام التعليل وكانه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ
في الدنيا والاخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم
جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون بالله لكم
لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان
الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم لا يستلزم رضى الله ورضاكم
وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه وان امكنهم ان يلبسوا عليكم
لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من
الاية النهي عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض
وعدم الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل
الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب
والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله
من الشرائع فرائضها وسننها والله عليم يعلم حال كل واحد من اهل الوبر والمدر حكيم
فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق
يصرفه في سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله
ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان
ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض
بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة
في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف
اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرا ابن كثير وابو عمرو السوء هنا وفي الفتح بضم السين

والله

والله سميع بما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم
الاخر ويتخذ ما ينفق قربات سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ عند الله
صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلاته لانه عليه الصلاة والسلام كان
يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ
صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه الصلاة والسلام اللهم صل على آل ابي اوفى
لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم
وتصديق لرجائهم على الاستيناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم
وقرا ورش قربة بضم الراء سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم
والسين لتحققه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره وقيل الاولى في اسد وغطفان
وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين
هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار
اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين
امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون
والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم
بالايمان والطاعة الى يوم القيامة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم
ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها
الانهار وقرا ابن كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز
العظيم وممن حولكم اي ومن حول بلدتكم يعني المدينة من الاعراب منافقون وهم
جهينة ومزينة واسلم وغفار واشجع كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على
ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف واقامة
الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين فصل
بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمردهم وتمهرهم في النفاق
لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم الى
حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم
ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل
او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم
الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم
طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فراهم فسال عنهم فذكر له انهم
اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم
خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب

بآخر سيء هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة
ودرهما او للدلالة على ان كل واحد مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهي
مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه
خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا
فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب
او حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم
بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل
عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلاتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم
وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد
والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم ألم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان
التحضيض عليها يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم لتضمنه
معنى التجاوز ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن
لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وان الله
هو التواب الرحيم وان من شانه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم
فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون فانه تعالى
لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة بـ
الموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين مرجون
موخرون اي موقوف امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائي
وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لأمر الله في شانهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق
واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى
والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهم كعب بن مالك
وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا
عليهم ولا يكلموهم فلما راوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم والذين
اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون او مبتدأ خبره محذوف اي وفيمن وصفنا
الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة
للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد
ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه
حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي
وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه

والاعتراف بالخطأ الذي هو التخلف

والمراد به التحضيض صح

ففعل

ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين
يريد الذين كانوا يجتمعون للصلاة في مسجد قبا وارصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله
يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا
قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين انهزم مع هوازن وهرب الى الشام لياتي من
قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان
يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام من قبل متعلق بحارب او باتخذ
اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافقوا بالتخلف لما روي انه بني قبيل غزوة تبوك
فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان
شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه
الا الخصلة الحسنى وهي الصلاة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون
في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلاة لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قبا اسسه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقبا من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة
او مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول ابي سعيد سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان
والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر احق ان تقوم فيه
اولى بان تصلي فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة
طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم
ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم
معه المهاجرون حتى وقف على مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم
فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلاة والسلام اترضون
بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال
عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله
عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله
نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا يحبون
ان يتطهروا افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان خير
على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ام من اسس بنيانه على
شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم
فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما
جرفه الوادي الهاير في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة
الانطماس ثم رشحه بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان
تاسيس ذلك على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة

اذناها تأسيس هذا على ما هو بصدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم
ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرأ نافع وابن عامر أسس على البناء للمفعول وقرئ أساس
بنيانه وأُسُّ بنيانه على الاضافة وأَسَسُ وإساس بالفتح وإساس بالكسر وثلاثتها جمع
أس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا للتأنيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة
وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم
الذي بنوا الذي بناهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد
تدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى
ان بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه
الرسول صلى الله عليه وسلم رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم
الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية
المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطيع ما هو كائن بالقتل او في
القبر او في النار وقيل التقطيع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء
وتقطع بمعنى تتقطع وهي قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع
بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل
والمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنائهم ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم على بذل انفسهم واموالهم
في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استئناف ببيان ما لاجله الشرى
وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو
لا توجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما
دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد في التوراة والانجيل والقرآن مذكورا فيهما كما اثبت
في القرآن ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا
ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب
كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم
المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة
وان لم يجاهدوا لقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر
على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين
العابدون الذين عبدوا الله مخلصين له الدين الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء
والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه الصلاة والسلام سياحة امتي الصوم شبه بها
من حيث انه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع
على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم الراكعون الساجدون في
الصلاة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي

رفع

والعطف فيه

والعطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كأنه قال الجامعون
بين الوصفين وفي قوله تعالى والحافظون لحدود الله اي فيما بيّنه وعيّنه من الحقائق
والشرائع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل للايذان بان
التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر
معطوف عليه ولذلك تسمى واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك
الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن
الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام
وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين روي انه عليه الصلاة
والسلام قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله تعالى فأبى
فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنك فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء
فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي فأذن
لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وانزل علي الآيتين ولو كانوا اولي قربى
من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار
لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم لابيه الكافر فقال
وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعدها ابراهيم
اباه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما
قبله ويدل عليه قراءة من قرأ اباه او وعدها ابراهيم ابوه وهي الوعد بالايمان فلما تبين
له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي اليه بانه لن يؤمن تبرأ منه قطع استغفاره
ان ابراهيم لأواه لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور
على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل
قوما اي ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين
لهم ما يتقون حتى يبين لهم حظر ما يجب اتقاؤه وكأنه بيان عذر للرسول في قوله
لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول
في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شيء عليم
فيعلم امرهم في الحالين ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من
ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك وجوب
التبرؤ عنهم رأسا بين لهم ان الله تعالى مالك كل موجود ومتولي امره والغالب عليه
ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا اليه ويتبرؤوا عما عداه حتى لا يبقى
لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
من اذن للمنافقين في التخلف او برأهم عن علقة الذنوب كقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة

استغفار

ر

م

حتى النبي عليه الصلاة والسلام والمهاجرون والانصار كقوله وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد
الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها
فانها مقام الانبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها وهو حالهم
في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين
كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على
الايمان او اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشأن او ضمير القوم والعائد عليه الضمير في منهم
وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تأنيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت
قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتأكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل
ما كابدوا من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة
وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا
عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجئون حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها
لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط
الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس ولا سرور وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من الله من
سخطه الا اليه الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل
قبول التوبة ليعدوا في التائبين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا
على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة الرحيم المتفضل عليه
بالنعم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين في ايمانهم
وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اي في توبتهم
وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن
حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله نهي عبر عنه بصيغة النفي
للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه ويكابدوا
معه ما يكابده من الاهوال روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له
في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب
يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام
فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق
فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر
له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف او وجوب
المشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ من العطش ولا نصب تعب يغضبهم وطاؤه
ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطؤن ولا يدوسون موطئا مكانا يغيظ الكفار
يغضبهم وطاؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم
به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر

المحسنين

المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار
فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة
لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا
كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا
في مسيرهم وهو كل منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض
الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله به احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن
اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان
ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش
فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة
جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها
ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من
الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان
التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم
ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا
عما ينذرون به واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر
من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا
فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا
في كتابي المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق
المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة
الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر
لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا
لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اي ولينذر البواقي
قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين آمنوا
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل
هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام
وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ
بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة
والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول انكارا واستهزاء
ايكم زادته هذه السورة ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام
الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم

هنا

وارتفاع درجاتهم وأما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا إلى رجسهم
كفرا بها مضموما إلى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى
ماتوا عليه أولا يرون يعني المنافقين وقرئ بالتاء أنهم يفتنون يبتلون بأصناف
البليات أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما يظهر عليه من الآيات
في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم
يذكرون ولا يعتبرون وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض تغامزوا
بالعيون انكارا لها وسخرية أو غيظا لما فيها من عيوبهم هل يراكم من أحد أي يقولون
هل يراكم أحد إن قمتم من حضرة الرسول فإن لم يرهم أحد قاموا وإن رآهم أحد
قاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الإيمان
وهو يحتمل الإخبار والدعاء بأنهم بسبب أنهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم أو
عدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من أنفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من
أنفسكم أي أشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاءكم
المكروه حريص عليكم أي على إيمانكم وصلاح شأنكم بالمؤمنين منكم ومن
غيركم رءوف رحيم قدم الأبلغ منهما وهو الرءوف لأن الرأفة شدة الرحمة
محافظة على الفواصل فإن تولوا عن الإيمان بك فقل حسبي الله فإنه يكفيك
معرتك ويعينك عليهم لا إله إلا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا أرجو
ولا أخاف إلا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم أو الجسم الأعظم
المحيط الذي تنزل منه الأحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن أبي
رضي الله عنه آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن
علي إلا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله أحد فإنهما أنزلتا
علي ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة ∴ والله سبحانه وتعالى أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص وأمالا
الباقون إجراء لألف الراء مجرى المنقلبة عن الياء تلك آيات الكتاب الحكيم إشارة
إلى ما تضمنته السورة أو القرآن من الآي والمراد بالكتاب أحدهما ووصفه
بالحكيم لاشتماله على الحكم أو لأنه كلام حكيم أو محكم آياته لم ينسخ شيء منها أكان
للناس عجبا استفهام إنكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمها أن أوحينا وقرئ
بالرفع على أن الأمر بالعكس أو على أن كان تامة وأن أوحينا بدل من عجب واللام
للدلالة على أنهم جعلوه أعجوبة لهم يوجهون نحوه إنكارهم واستهزاءهم
إلى رجل منهم من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون

العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم
على الأمور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصر
عن عظمائهم فيما يعتبر فيه إلا في المال وخفة الحال أعون شيء في هذا الباب ولذلك كان
أكثر الأنبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من أنه بعث رسولا كما سبق ذكره في سورة الأنعام أن أنذر
الناس أن هي المفسرة أو المخففة من الثقيلة فيكون في موقع مفعول أوحينا وبشر الذين آمنوا
عمم الإنذار إذ قلما من أحد ليس فيه ما ينبغي أن ينذر منه وخصص البشارة إذ ليس يكاد
ما يصح أن يبشر به أن لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما
لأن السبق بها كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد وإضافتها إلى الصدق لتحققها والتنبيه
على أنهم إنما ينالونها بصدق القول والنية قال الكافرون إن هذا يعنون الكتاب وما
جاء به الرسول لسحر مبين وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على أن الإشارة للرسول وفيه اعتراف
بأنهم صادفوا من الرسول أمورا خارقة للعادة معجزة إياهم عن المعارضة وقرئ
ما هذا إلا سحر مبين إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض التي هي أصول الممكنات
في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر يقدر أمر الكائنات على ما اقتضته
حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريكه أسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في أدبار
الأمور لتجيء محمودة العاقبة ما من شفيع إلا من بعد إذنه تقرير لعظمته وعز جلاله
ورد على من زعم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه إثبات الشفاعة لمن أذن له ذلكم الله
أي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للألوهية والربوبية ربكم لا غيره إذ لا يشاركه
أحد في شيء من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة أفلا تذكرون تتفكرون أدنى تفكر
فينبهكم أنه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه إليه مرجعكم جميعا بالموت
أو النشور لا إلى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لأن قوله إليه
مرجعكم وعد من الله حقا مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله إنه يبدأ
الخلق ثم يعيده بعد بدئه وإهلاكه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط
أي بعدله أو بعدلهم وقيامهم على العدل في أمورهم أو بإيمانهم لأنه العدل القويم كما أن
الشرك ظلم عظيم وهو الأوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب
أليم بما كانوا يكفرون فإن معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب أليم
بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على أن
المقصود بالذات من الإبداء والإعادة هو الإثابة والعقاب واقع بالعرض
وأنه تعالى يتولى إثابة المؤمنين بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه وأما عقاب الكفرة فكأنه
داء ساقه إليهم سوء اعتقادهم وشؤم أفعالهم والآية كالتعليل لقوله إليه مرجعكم جميعا
فإنه لما كان المقصود من الإبداء والإعادة مجازاة المكلفين على أعمالهم كان مرجع الجميع
إليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ أنه يبدأ بالفتح أي لأنه ويجوز أن يكون منصوبا

او موقوعا بما نصبه وعد الله او بما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء
وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير
ضئاء بهمزتين في كل القران على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور او سمي
نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد
نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة
الشمس والاكتساب منها وقدره منازل لكل واحد اي قدر مسير كل واحد منهما
منازل او قدره ذا منازل او القمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله
واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب وحساب
الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك الا بالحق الا
ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة نفصل الآيات لقوم يعلمون فانهم
المنتفعون بالتامل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء ان في اختلاف
الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات لآيات
على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فانه
يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا اي لا يتوقعون لانكارهم
للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة في
لغفلتهم عنها واطمأنوا بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها
او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها
لانهماكهم فيما يضادها والعطف لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على
الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة
ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا الحياة
الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجلة عن التامل في الآجلة والاعداد لها اولئك مأواهم
النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة
او لادراك الحقيقة كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
او لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان و
العمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل
كالتتمة والرديف له تجري من تحتهم الانهار استئناف او خبر ثان او حال من الضمير
المنصوب على المعنى الاخير وقوله في جنات النعيم خبر او حال آخر منه او من الانهار
متعلق بتجري او بيهدي دعواهم فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم انا
نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام
وآخر دعواهم وآخر دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك ولعل المعنى

انهم اذا

انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم
حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه
واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد
ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيله
اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم او بان المراد
شرا استعجلوه كتعجيلهم لاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف للدلالة الباقي عليه
لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل
وهو الله تعالى وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون
عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم
امهالا لهم واستدراجا واذا مس الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه
لجنبه ملقيا لجنبه اي مضطجعا او قاعدا او قائما وفائدة الترديد تعميم
الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته
واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كأن لم يدعنا كانه لم يدعنا
فخفف وحذف ضمير الشأن كما قال ونحر مشرق اللون كأن ثدياه حقان الى ضر
مسه الى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون
من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم
يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم
رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا
وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه
بانهم يموتون على كفرهم واللام لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب
تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم نجزي القوم المجرمين
نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه
ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون التي اهلكناها
استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون أتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى
اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته
الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك
يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون
لقاءنا يعني المشركين ائت بقرآن غير هذا بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من
البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معايب آلهتنا او بدله بان
تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه
قل ما يكون لي ما يصح لي ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما

مبين

بح
ها ثم يختبر

كنى

بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقران آخر إن أتبع
إلا ما يوحى إلي تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه
وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان
القران كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال
إني أخاف إن عصيت ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا
العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غيره لما تلوته عليكم ولا أدراكم به
ولا اعلمكم به على لساني وعن ابن كثير ولأدراكم بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته
عليكم ولا اعلمكم به على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل
به لارسل به غيري وقرئ ولا ادرأتكم ولا أدرأتكم بالهمز فيهما في الفعلين على لغة
من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته
خصماء تدرؤونني بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله لا بمشيئتي حتى اجعله على نحو ما
تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار اربعين سنة من قبله
من قبل القران لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القران معجز خارق للعادة فان من عاش
بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة
ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى
على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الآخرين على
ما هي عليه علم انه معلم به من الله أفلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم بالتدبر
والتفكر لتعلموا انه ليس الا من الله فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد مما اضافوا اليه كناية
او تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه لذو شريك وذو ولد أو كذب بآياته
نكفر بها إنه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم فانه
جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود
عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع
لنا فيما يهمنا من امور الدنيا او في الآخرة ان يكن بعث وكأنهم كانوا شاكين فيه وهذا
من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموحد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا
انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل أتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم
وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او بان هؤلاء شفعاء عنده وما لا يعلمه العالم
بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما في السموات ولا في الأرض حال من العائد المحذوف
مؤكدة للنفي منبهة على ان ما تعبدون من دون الله اما سماوي او ارضي ولا شيء من الموجودات
فيهما الا وهو حادث مقهور مسخر لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون
عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي ههنا وفي الموضعين في اول
النحل والروم بالتاء وما كان الناس إلا أمة واحدة موحدين على الفطرة او متفقين على الحق

وذلك في عهد ادم

وذلك في عهد ادم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال
في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم طائفة
واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل
بينهم الى يوم القيامة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون
باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه اي من الآيات
التي اقترحوها فقل إنما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الآيات المقترحة
مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه إني معكم من المنتظرين لما
يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل علي من الآيات العظام واقتراحكم غيره وإذا أذقنا الناس
رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض إذا لهم مكر في آياتنا بالطعن
فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم
بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله أسرع مكرا منكم
قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة
الواقعة جوابا لإذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء على
المكر إن رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا
في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء
ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه في البر والبحر
حتى إذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة
للمبالغة كانه يذكر لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب
وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها
ريح عاصف ذات عصف شديد الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه
وظنوا أنهم أحيط بهم اهلكوا او سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو
دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف
وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن أنجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما أنجاهم اجابة لدعائهم
إذا هم يبغون في الأرض فاجأوا الفساد فيه وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه
وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم
فانها افساد بحق يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم فان وباله عليكم او انه على
امثالكم وابناء جنسكم متاع الحياة الدنيا منفعة الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها
ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك متاع
الحياة وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص مصدرا مؤكدا اي تتمتعون متاع الحياة
الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم متاع الحياة الدنيا محذورا وضلالا او مفعول لفعل دل عليه

فيهم

البغي على انفسكم جزاء ثم الينا مرجعكم في القيامة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه
انما مثل الحياة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار
الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا
مما يأكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها حسنها وبهجتها
وازينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من
الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله وتزينت فادغم وقد
قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت
ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون
من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا
فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كأن لم تغن كأن لم يغن زرعها
اي لم يلبث والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقد قرئ بالياء على الاصل
بالامس فيما قبله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال
خضرة النبات فجاءة وذهابه حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين
الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف
التشبيه فانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون
فانهم المنتفعون به والله يدعو الى دار السلام السلامة من النقص والآفة
او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها
على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم هو
طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص
الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد
الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة
تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق
وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق
اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم
فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها
والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى
على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة
على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي ان يجازى سيئة بسيئة
مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل او التضعيف او كانما
اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة بمثلها واقع او
بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم

من

من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون
للمؤمنين كأنما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها
ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف
بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل
وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون وهذا يصح ان يكون مظلما صفة
له او حالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب
ان الاية في الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك ولان الذين احسنوا يتناول
اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين
ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تأكيد
للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه
فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم في الدنيا وقال شركاؤهم
ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في
الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ان الله تعالى
ينطق الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي يتوقعون منها وقيل
المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم
فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلوا كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت
من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرأ
ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو
بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف
لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من الشر فتكون ما يراد نصيب بالبلاء
اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فتكون ما منصوبة بنزع
الخافض وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي
على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد
وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع لهم او ما كانوا
يدعون انها الهة قل من يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل
باسباب سماوية واسباب ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل
من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض امن يملك السمع والابصار
امن يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة
انفعالها من ادنى شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يحيي و
او من يميت الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم

وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك
لفرط وضوحه فقل افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شي
من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم
الثابت ربوبيته لانه الذي انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد
الحق الا الضلال استفهام انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي
هو عبادة الله وقع في الضلال عن الحق فانى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك اي كما حقت
حقت الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله و
وقرا نافع وابن عامر كلمات هنا وفي آخر السورة وفي غافر على الذين فسقوا تمردوا
في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل
لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدا الخلق ثم يعيده
جعل الاعادة كالابدا في الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها
ولذلك امر الرسول بان ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله يبدا الخلق ثم يعيده لانه
لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل هل من
شركائكم من يهدي الى الحق بنصب جعل الاعادة بنصب الحجج وارسال الرسل بان ينو
عنهم في الجواب والتوفيق للنظر والتدبر كما يعدى لتضمنه معنى الانتهاء تعدى
باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق
ولذلك عدي بها ما اسنده الى الله قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان
يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى ام الذي لا يهتدي الا ان يهدى من قولهم هدي
بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم
كالملائكة والمسيح وعزير وقرا ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد
الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة
حركة اليا او كسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر باتباع اليا الهاء وقرا ابو عمرو بالادغام
المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله
وقرى الا ان يهدى على المبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه
وما يتبع اكثرهم الا ظنا فيما يعتقدون مستندا الى خيالات فارغة
واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة
موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد
الصرف ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء
ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول
واجب والاكتفا بالتقليد والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على
اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون

الخلق

الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه مطابق لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على
صدقها فلا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصب
بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذي وقرى
بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد
والشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك
ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استينافا من رب
العالمين خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او تفصيل ولا ريب
فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه ومساق
الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون
بل ايقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه للانكار قل فاتوا بسورة مثله في البلاغة
وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافترا فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد
تمرنا في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان
تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين
انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن اول ما
سمعوه قبل ان يتدبروا اياته ويحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر
البعث والجزا وسائر ما يخالف دينهم ولما ياتهم تاويله ولم يقفوا بعد على تاويله ولم يبلغ
اذهانهم معانيه او ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين انه صادق ام كاذب
والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه
ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالآخرة ووقوع ما اخبر به طبق الاخبار
مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف
كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن
به يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم
من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على كفره وربك
اعلم بالمفسدين بالمعاندين او بالمصرين وان كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام
الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرا منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم
حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا
اواخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية
السيف ومنهم من يستمعون اليك اذا قرات القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلونه
كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون
ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى
المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا ياتي الا باستعمال العقل السليم في تدبره

اعجازه لما كرر عليهم التحدي فزاولوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا

وعقولهم لما كانت مأوفة بمعارضة الوهم ومتابعة الالف والتقليد تعذر افهامهم
الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع البهائم من كلام الناعق
ومنهم من ينظر اليك يعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدي العمي تقدر
على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود
من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر
ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والآية كالتعليل للامر بالصبر والاعراض ان الله لا يظلم
الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت
منافعها عليهم وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت
المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله
لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه وقرأ حمزة والكسائي بالتخفيف ورفع
الناس ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في
الدنيا او في القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موضع الحال اي يحشرهم مشبهين بمن
لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قبله او لمصدر
محذوف اي حشرا كأن لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا
كأنهم لم يتفارقوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهي
حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كأن لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون
يوم يحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان
يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال
ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى
والعذاب الدائم واما نرينك نبصرنك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما اراه
يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وهو جواب
نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليه
ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته
على افعالهم يوم القيامة ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم
الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط
بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبين وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم
القيامة رسول ينسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان وقضي
بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون
متى هذا الوعد استبعادا واستهزاء ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي والمؤمنين
قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في طلب العذاب الا
ما شاء الله ان املكه او ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم

اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا يتقدمون
فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل ارأيتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون
به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب
معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم
الاستعجال وهو متعلق بارأيتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير
للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعد لا ان يستعجلوه وجواب
الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال وتعرفوا خطأه ويجوز ان يكون الجواب
ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بارأيتم او قوله
اثم اذا ما وقع آمنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم
الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التأخير
الآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به
وعن نافع آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون
تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على
الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك
احق هو احق ما تقول من الوعد وادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله
حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك
وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ آلحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدأ
والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك قل اي وربي
انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن واي
بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي
وحده وما انتم بمعجزين فائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي
على الغير ما في الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب
من قولهم سر الشيء واسره اذا اظهره وقضي بينهم بالقسط ليس بتكرير لان الاول
قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين
والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما في السموات والارض
تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب
كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من
الحياة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في الاخرى لان القادر لذاته
لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون
بالموت والنشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى
ورحمة للمؤمنين اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال

افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة
لما راوا العذاب لانهم بهتوا بما
لم يحتسبوا من فظاعة الامر وهوله
فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا
الندامة اخلصوها لان اخفاءها
اخلاصها او لانه يقال سر الشيء
لخالصه من حيث انها
تخفى ويضن بها
وقيل اظهروها
من قولهم

ومنا بحها المرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح والحكمة النظرية التي هي شفا لما في
الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث
انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران
بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم **قل بفضل الله وبرحمته** بانزال القرآن
والباء متعلقة بفعل يفسره قوله **فبذلك فليفرحوا** فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير
تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد
والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد
جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اي فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه
قيل ان فرحوا بشيء فبهما ليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب
الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله واذا هلكت
فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روي
مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا **هو خير مما يجمعون** من حطام الدنيا فانها الى الزوال
وهو ضمير ذلك وقرا ابن عامر تجمعون بالتاء على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير
مما تجمعونه ايها المخاطبون **قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق** جعل الرزق منزلا
لانه مقدر في السما محصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او بارايتم فانه
بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال **فجعلتم
منه حراما وحلالا** مثل هذه انعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا **قل آلله اذن لكم** في التحريم والتحليل فتقولون ذلك
بحكمه **ام على الله تفترون** في نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون المنفصلة متصلة
بارايتم وقل مكرر للتاكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها تقرير لافترائهم على الله **وما ظن الذين يفترون على الله الكذب** اي شيء ظنهم
يوم القيامة ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ
بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام تهديد عظيم **ان الله لذو فضل على الناس**
حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب **ولكن اكثرهم لا يشكرون**
هذه النعمة **وما تكون في شان** ولا تكون في امر واصله الهمز من شانت شانه
اذا قصدت شانه اذا قصدت قصده والضمير في **وما تتلو منه** لان تلاوة القرآن
معظم شان الرسول او لان القراءة تكون لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو
من قرآن على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي او للقرآن واضماره قبل الذكر ثم
بيانه تفخيم له او لله **ولا تعملون من عمل** تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم
ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير **الا كنا
عليكم شهودا** رقبا مطلعين عليه **اذ تفيضون فيه** تخوضون فيه وتندفعون

وما يعزب

وما يعزب عن ربك لا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرا الكسائي بكسر الزاي **من مثقال ذرة**
موازن نملة صغيرة او هبا **في الارض ولا في السما** اي في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا
غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه البرهان
على احاطة علمه بها **ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين** كلام برأسه مقرر لما قبله
ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرا حمزة ويعقوب بالرفع على الابتدا والخبر
ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار
جعل الاستثنا منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ **الا ان اوليا الله** الذين يتولونه
بالطاعة ويتولاهم بالكرامة **لا خوف عليهم** من لحوق مكروه **ولا هم يحزنون** بفوات مأمول
والاية كمجمل فسره قوله **الذين آمنوا وكانوا يتقون** وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون
بيان لتوليهم له **لهم البشرى في الحياة الدنيا** وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه
وما يريهم من الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع **وفي
الاخرة** بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل
الذين آمنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاوليا او على الابتدا وخبره لهم البشرى
لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف في مواعيده **ذلك** اشارة الى كونهم
مبشرين في الدارين **هو الفوز العظيم** هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به
وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله **ولا يحزنك قولهم** اشراكهم
وتكذيبهم وتهديدهم وقرا نافع يحزنك وكلاهما بمعنى **ان العزة لله جميعا** استئناف
بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان
الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم **هو السميع** لاقوالهم
العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها **الا ان لله من في السموات ومن في الارض** من الملائكة
والثقلين واذا كان هؤلا الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما
لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا او شريكا فهو كالدليل على قوله **وما يتبع الذين يدعون
من دون الله شركا** اي شركا على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركا ويجوز ان يكون شركا مفعول
يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه **ان يتبعون الا الظن** اي ما يتبعون يقينا
وانما يتبعون ظنهم انها شركا ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع وموصولة
معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى اي شيء يتبع الذين تدعونهم شركا من الملائكة والنبيين
اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه لقوله اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان
سندهم ومنشأ رأيهم **وان هم الا يخرصون** يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون
ويقدرون انها شركا تقديرا باطلا **هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار
مبصرا** تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق

العبادة وإنما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب
إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا أي تبنّاه
سبحانه تنزيه له عن التبني فإنه لا يصح إلا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني
علة لتنزهه فإن اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما في السموات وما في الأرض تقرير
لغناه إن عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض ما أقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم
وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان أو نعت له أو بعندكم كأنه قيل إن
عندكم في هذا سلطان أتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم
وجهلهم وفيه دليل على أن كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وأن العقائد لا بد لها من قاطع
وأن التقليد فيها غير سائغ قل إن الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد وإضافة
الشريك إليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدأ
محذوف أي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر أو حياتهم أو تقلبهم
متاع أو مبتدأ خبره محذوف أي لهم تمتع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم بالموت
فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب
كفرهم واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم
عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان أو كوني وإقامتي بينكم مدة
مديدة أو قيامي على الدعوة وتذكيري إياكم بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت به
فأجمعوا أمركم فاعزموا عليه وشركاءكم أي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا
على الضمير المتصل وجاز من غير أن يؤكد للفصل وقيل إنه على أمركم بحذف المضاف
أي وأمر شركائكم وقيل إنه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به
عن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى أمرهم بالعزم أو الإجماع على قصدي والسعي في إهلاكي
على أي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن أمركم في قصدي عليكم غمة مستورا
واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه إذا ستره أو ثم لا يكن حالكم عليكم غما إذا
أهلكتموني وتخلصتم عن ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا أدوا إلي ذلك الأمر
الذي تريدون بي وقرئ ثم أفضوا بالفاء أي انتهوا إلي بشركم أو ابرزوا إلي من أفضى
إذا خرج إلى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلون فإن توليتم أعرضتم عن تذكيري
فما سألتكم من أجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم إياي لأجله أو يفوت بتوليكم
إن أجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير إلا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم أو توليتم
وأمرت أن أكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا أخالف أمره ولا أرجو غيره فكذبوه
فأصروا على تكذيبه بعد ما ألزمهم الحجة وبين أن توليهم ليس إلا لعنادهم وتمردهم
لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين
وجعلناهم خلائف من الهالكين به وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان

فانظر كيف

فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له
ثم بعثنا أرسلنا من بعده من بعد نوح رسلا إلى قومهم كل رسول إلى قومه فجاءوهم بالبينات
بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم أن يؤمنوا لشدة شكيمتهم
في الكفر وخذلان الله إياهم بما كذبوا به من قبل بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه
قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع
المألوف وفي أمثال ذلك دليل على أن الأفعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد وقد
مر تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهارون إلى فرعون وملئه
بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعهما وكانوا قوما مجرمين معتادين الإجرام
فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه
لتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم إن هذا لسحر مبين
ظاهر أنه سحر أو فائق في فنه واضح فيما بين أخواته قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم
إنه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة ما قبله عليه ويجوز أن يكون أسحر هذا لأنهم بتوا
القول بل هو استئناف بإنكار ما قالوه اللهم إلا أن يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي
مفهوم قولهم ويجوز أن يكون معنى أتقولون للحق أتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة
كقولهم سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام
موسى للدلالة على أنه ليس بسحر فإنه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولأن العالم
بأنه لا يفلح الساحر لا يسحر أو من تمام قولهم إن جعل أسحر هذا محكيا كأنهم قالوا أجئتنا
بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا أجئتنا لتلفتنا لتصرفنا
واللفت والفتل أخوان عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الأصنام وتكون لكما الكبرياء
في الأرض الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر والتكبر على الناس باستتباعهم
وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر
وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا
ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر أي الذي جئتم به هو
السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ أبو عمرو آلسحر على أن ما استفهامية مرفوعة
بالابتداء خبره محذوف أي السحر هو ويجوز أن ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره
أي شيء أتيتم إن الله سيبطله سيمحقه أو سيظهر بطلانه إن الله لا يصلح عمل المفسدين
لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على أن السحر إفساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق
ويثبته بكلماته بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى
في مبدأ أمره إلا ذرية من قومه إلا أولاد من أولاد قومه بني إسرائيل دعاهم فلم يجيبوه
خوفا من فرعون إلا طائفة من شبانهم أو الذرية طائفة من شبان قوم فرعون آمنوا به أو مؤمن
آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطتها على خوف من فرعون وملئهم

اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظما او على ان المراد بفرعون
آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه
او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملا كان بسببه وان فرعون لعال
في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبيا
وقال موسى لما راى تخوف المؤمنين به يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به
واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضا الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم
بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله
فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا
لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع
فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم
الكافرين من كيدهم ومن شوم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الله تنبيه على ان الداعي
ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا اي اتخذا مباءة
لقومكما بمصر بيوتا يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما
بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى
يصلي اليها واقيموا الصلاة فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا تظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم
ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى
الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم للتشاور ثم
جمع لان جعل البيوت مساجد والصلاة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان
البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاه
زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما واموالا في الحياة الدنيا انواعا من المال
ربنا ليضلوا عن سبيلك دعا عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره
كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل ان يكون للعلة
لان ايتا النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم جعلوها سببا
في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا وما بينهما دعا معترض فيكون ربنا تكريرا للاول
تاكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقولهم ربنا اطمس
على اموالهم اهلكها والطمس المحق وقرئ اطمُس بالضم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب
الاليم جواب للدعا او دعا بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعا معترض
قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان يؤمن فاستقيما
فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن
ولكن في وقته روي انه مكث فيهم بعد الدعا اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين
لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق والاطمينان بوعد الله وعن

ابن عامر ولا تتبعانِ بالنون الخفيفة وكسرها لالتقا الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا
تتبعان ايضا فجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم
وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال
تبعته فاتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو وقرئ
وعدوا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه اي بانه لا اله الا الذي آمنت
به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقرا حمزة والكسائي انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف
بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل آلآن
اتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك مدة
عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك ننقذك مما وقع
فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل
وقرا يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحا اي نلقيك بناحية من الساحل ببدنك
في موضع الحال اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك
وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزا البدن كلها كقولهم هوى
باجرامه او بدروع كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة
هم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام
حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن ياتي بعدك من القرون
اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان
على ما كان عليه من عظم الشان وكبريا الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن
خلقك اي لخالقك آية كساير الآيات فان افراده اياك بالالقا الى الساحل دليل على
انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه
وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون
لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق منزلا صالحا مرضيا
وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذايذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم
فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرءوا التوراة وعلموا احكامها او في امر محمد صلى الله عليه وسلم
الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل بالانجا والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا
اليك من القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسال الذين يقرءون الكتاب من قبلك فانه
محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد
بما في الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم
بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول زيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال
عليه الصلاة والسلام لا اشك ولا اسال وقيل الخطاب للنبي والمراد امته او لكل من يسمع

أي إن كنت أيها السامع في شك مما أنزلنا على لسان نبينا إليك وفيه تنبيه على أن من خالجته
شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم لقد جاءك الحق من ربك
واضحا أنه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عن
ما أنت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين
أيضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الأطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا
للكافرين إن الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك بأنهم يموتون على الكفر
أو يخلدون في العذاب لا يؤمنون إذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو
جاءتهم كل آية فإن السبب الأصلي لإيمانهم وهو تعلق إرادة الله به مفقود حتى يروا
العذاب الأليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت
فهلا كانت قرية من القرى التي أهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر إليها
كما أخر فرعون فنفعها إيمانها بأن يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها إلا قوم
يونس لكن قوم يونس لما آمنوا أول ما رأوا أمارة العذاب ولم يؤخروه إلى حلوله
كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ويجوز أن تكون الجملة في معنى النفي لتضمن
حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لأن المراد من القرى أهاليها كأنه قال
ما آمن أهل قرية من القرى العاصية فنفعهم إيمانهم إلا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع
على البدل ومتعناهم إلى حين إلى آجالهم روي أن يونس عليه السلام بعث إلى أهل نينوى
من الموصل فكذبوه وأصروا عليه فوعدهم بالعذاب إلى ثلاث وقيل إلى أربعين فلما دنا الموعد
أغامت السماء غيما أسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا
يونس فلم يجدوه فأيقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم
ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها إلى بعض
وعلت الأصوات والعجيج وأخلصوا التوبة والإيمان وتضرعوا إلى الله فرحمهم
وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم
بحيث لا يشذ منهم أحد جميعا مجتمعين على الإيمان لا يختلفون فيه وهو دليل
على القدرية في أنه تعالى لم يشأ إيمانهم أجمعين وأن من شاء إيمانه يؤمن لا محالة
والتقييد بمشيئة الإلجاء خلاف الظاهر أفأنت تكره الناس بما لم يشأ الله حتى
يكونوا مؤمنين وترتيب الإكراه على المشيئة بالفاء وإيلاؤها حرف الاستفهام للإنكار
وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على أن خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكن تحصيله بالإكراه
فضلا عن الحث والتحريض عليه إذ روي أنه كان حريصا على إيمان قومه شديد الاهتمام
به فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله إلا بإرادته
وألطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فإنه إلى الله تعالى ويجعل الرجس
العذاب والخذلان فإنه سببه وقرئ بالزاي وقرأ أبو بكر ونجعل بالنون على الذين لا

يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات أو لا يعقلون دلائله وأحكامه لما على
قلوبهم من الطبع ويؤيده الأول قوله قل انظروا أي تفكروا ماذا في السماوات والأرض من
عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا إن جعلت استفهامية علقت
انظروا عن العمل وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما نافية
أو استفهامية في موضع النصب فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم مثل وقائع
ونزول بأس الله بهم إذ لا يستحقون غيره من قولهم أيام العرب لوقائعها قل فانتظروا
إني معكم من المنتظرين لذلك أو فانتظروا هلاكي إني معكم من المنتظرين هلاككم
ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه إلا مثل الذين خلوا كأنه قيل
نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا
ننج المؤمنين كذلك الإنجاء أو إنجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا
اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك قل يا أيها الناس خطاب لأهل مكة إن كنتم
في شك من ديني وصحته فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم
فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الإنصاف
لتعلموا صحتها وهو أني لا أعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن أعبد خالقكم الذي هو
يوجدكم ويتوفاكم وإنما خص التوفي بالذكر للتهديد وأمرت أن أكون من المؤمنين
بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من أن يجوز أن يكون من المطرد مع أن
وأن وأن يكون من غيره كقوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به وأن أقم وجهك للدين
عطف على أن أكون غير أن صلة أن محكية بصيغة الأمر ولا فرق بينهما في الغرض لأن المقصود
وصلها بما يتضمن معنى المصدر ليدل معه عليه وصيغ الأفعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب
والمعنى وأمرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه بأداء الفرائض والانتهاء عن القبائح
أو في الصلاة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين أو الوجه ولا تكونن من المشركين ولا
تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه إن دعوته أو خذلته
فإن فعلت فإن دعوته فإنك إذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن
تبعة الدعاء وإن يمسسك الله بضر وإن يصبك به فلا كاشف له يرفعه إلا هو
إلا الله وإن يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذي أرادك به ولعله ذكر الإرادة
مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الأمرين للتنبيه على أن الخير مراد بالذات وأن
الضر إنما مسهم لا بالقصد الأول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على أنه متفضل
بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لأن مراد الله لا يمكن رده يصيب به
بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا
من غفرانه بالمعصية قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق رسوله أو القرآن ولم يبق لكم عذر
فمن اهتدى بالإيمان والمتابعة فإنما يهتدي لنفسه لأن نفعه لها ومن ضل بالكفر

فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وانما
بشير ونذير واتبع ما يوحي اليك بالامتثال والتبليغ واصبر علي دعوتهم وتحمل اذيتهم
حتي يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطا في حكمه لاطلاعه
علي السراير اطلاعه علي الظواهر عن النبي صلي الله عليه وسلم من قرا سورة يونس اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب مبتدا وخبر او كتاب خبر مبتدا محذوف
احكمت آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه اخلال من جهة اللفظ والمعني ومنعت من الفسا
د والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلايل او جعلت
حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة علي امهات الحكم النظرية
والعملية ثم فصلت بالفوايد من العقايد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها
سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقري ثم فصلت وفرقت
بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت علي البنا للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي
في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة اخري لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت
وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها علي اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي الا
تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معني القول
ويجوز ان يكون كلاما مبتدا للاغرا علي التوحيد او الامر بالتبري عن عبادة الغير
كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعني الزموه او اتركوها تركا انني لكم منه من الله نذير وبشير
بالعقاب علي الشرك والثواب علي التوحيد وان استغفروا ربكم عطف علي ان لا تعبدوا
يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن ودعة الي اجل مسمي هو آخر اعماركم المقدرة او لا
يهلككم بعذاب الاستيصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال مسماة
بالاضافة الي كل احد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي فضل في دينه
جزا فضله في الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التايب بخير الدارين وان تولوا
وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيامة وقيل يوم الشدايد وقد ابتلوا
بالقحط حتي اكلوا الجيف وقري وان تولوا من ولي الي الله مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم
وهو شاذ عن القياس وهو علي كل شي قدير فيقدر علي تعذيبهم اشد عذاب فكانه
تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها
علي الكفر وعداوة النبي او يولون ظهورهم وقري يثنوني بالياء والتاء من اثنوني وهو بنا المبالغة
وتثنون وتثنوي واصله تثنونن من الثن وهو الكلا الضعيف اراد به ضعف
قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني وتثنئن من اثنان كابياض بالهمز ليستخفوا منه

وفي الكشاف وقري احكمت آياته ثم فصلت اي احكمتها انا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل

ثم توبوا اليه ثم توسلوا الي مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من الرجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا اليه بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين

من الله

من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا
ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا علي عداوة محمد كيف يعلم وقيل انها نزلت
في المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة الا حين يستغشون
ثيابهم الا حين ياوون الي فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم
وما يعلنون بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفي عليه ما عسي يظهرونه
انه عليم بذات الصدور باسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها وما من دابة في
الارض الا علي الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتي بلفظ الوجوب
تحقيقا لوصوله وحملا علي التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها في الحياة والممات
او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين
كانت بعد بالقوة كل كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ
وكانه اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا علي الممكنا
ت باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف او ما في جهتي العلو والسفل وجمع
السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات
وكان عرشه علي الماء قبل خلقهما لم يكن حايل بينهما لا انه كان موضوعا علي متن الماء
واستدل به علي امكان الخلا وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل
كان الماء علي متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق اي
خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة
ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم ودلايل وامارات
تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوي لما فيه من معني العلم
من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار
الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض علي احاسن المحاسن والتحضيض
علي الترقي دايما في مراتب العلم والعمل فان المراد ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك
قال النبي صلي الله عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله
والمعني ايكم اكمل علما وعملا ولين قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين
كفروا ان هذا الا سحر مبين اي ما البعث او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر
في الخديعة او البطلان وقرا حمزة والكسائي الا ساحر علي ان الاشارة الي القايل وقري انكم
بالفتح علي تضمين قلت معني ذكرت او ان يكون ان بمعني عل اي ولين قلت علكم مبعوثون
بمعني توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره
ولين اخرنا عنهم العذاب الموعود الي امة معدودة الي جماعة من الاوقات قليلة
ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم ياتيهم كيوم بدر ليس

مصروفا عنهم ليس العذاب مرفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل
على جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا
ومبالغة في التهديد ما كانوا به يستهزؤن اي العذاب الذي كانوا يستعجلون فوضع
يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان منا رحمة
ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة منه انه
ليؤس قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور مبالغ في كفران ما
سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم
وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني
انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي
لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج
لما يجده في الاخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس
مبتدأ الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات
شكرا لالائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة والاستثناء
من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر
لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك تترك تبليغ بعض
ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع
الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة
في الوحي والثقة في التبليغ ها هنا وضائق به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدرك
بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك او جاء معه
ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما
اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل
عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحى
قل فاتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور فلما عجزوا عنها سهل
الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات
من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل
ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا من
استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى فان
لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول او لان المؤمنين ايضا
كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما
خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه
ولذلك رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه وان

لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز
الهتهم وللتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من
بأس الله الهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون على الاسلام راسخون مخلصون فيه اذا تحقق عندكم اعجازه
مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجيبوا
لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه
منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة
القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب
وزوال العذر من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل
اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء
اي يوف الله وتوف على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله
وان اتاه كريم يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون
شيئا من اجورهم والاية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم اولئك الذين
ليس لهم في الاخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما تقتضيه صور اعمالهم
الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق لهم ثواب في
او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق
الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على
ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون
وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وبطل على الفعل
افمن كان على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره
والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شانه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا
وان تقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة
كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد
منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القران ومن قبله ومن قبل القران كتاب موسى يعني
التوراة فانها ايضا تتلوه في التصديق او البينة هو القران ويتلوه من التلاوة
والشاهد جبريل عليه الصلاة والسلام او لسان الرسول على ان الضمير له او من التلو والشاهد
ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة
مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القران شاهد
ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرا من قبل
القران التوراة اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة الى
الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به بالقران ومن يكفر به من

من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة فلا تك
في مرية منه من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه
ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا وتعرض
اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد
كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ
لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا يصفونها
بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالآخرة هم كافرون
والحال انهم كافرون بالآخرة وتكرير هم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا
معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء
يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف
لهم العذاب استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا
يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم
عن آيات الله وكأنه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الآلهة
بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله
يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة
بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها او خسروا ما بذلوا
وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
واخبتوا الى ربهم اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهي الارض المطمئنة اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى
والاصم والسميع والبصير يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن
آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه
المؤمن بالسميع البصير لان امره بالضد فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين
او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف
لعطف الصفة كقوله • بالصابح فالغانم فالآيب • فهذا من باب اللف والطباق
هل يستويان هل يستوي الفريقان مثلا اي تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون بضرب
الامثال والتأمل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم اي لكم وقرأ نافع وعاصم
وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه
الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم او مفعول مبين ويجوز ان تكون مفسرة
متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم مولم وهو في الحقيقة
صفة للمعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة

لتصامهم

لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم

وهذا

فقال

٢١٨

فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة
ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا جمع ارذل فانه
بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل بادي الرأي ظاهر الرأي من
غير تعمق من البدو واول الرأي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها
وقرأ ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث
بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم
يعلموا الا ظاهرا من الحياة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل
وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة
بل نظنكم كاذبين اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك
فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم ارأيتم اخبروني ان كنت على بينة
من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده بايتاء البينة او النبوة
فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها هي الرحمة
او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار
او لانه لكل واحد منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعميت بعد البينة اي اخفيت وقرئ
فعماها على ان الفعل لله انلزمكموها انكرهكم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون
لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم
الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم لا اسألكم عليه على التبليغ
وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجري الا على الله فانه المأمول منه وما انا
بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون
طاردهم او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون
بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم او تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم
من ينصرني من الله بدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة افلا
تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن الله
خزائن رزقه او امواله حتى جحدتم فضلي ولا اعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله اي
ولا اقول انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا او حتى اعلم انهم اتبعوني بادي
الرأي من غير بصيرة وعقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول ولا اقول اني ملك
حتى تقولوا ما انت الا بشر ولا اقول للذين تزدري اعينكم ولا اقول في شأن من
استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم في الآخرة خير مما
آتاكم في الدنيا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك
والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الراء في الجهر
واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرأي من غير روية بما

خفيت

كرون

ي

فأتنا

من غير أنه ظاهر وقلة مالهم دون تأمل في معانيهم وكلامهم قالوا يا نوح قد جادلتنا
خاصمتنا فأكثرت جدالنا فأطلته وأتيت بأنواعه فأتنا بما تعدنا من العذاب إن
كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فإن مناظرتك لا تؤثر فينا قال إنما يأتيكم
به الله إن شاء عاجلا أو آجلا وما أنتم بمعجزين بدفع العذاب أو الهرب منه ولا ينفعكم
نصحي إن أردت أن أنصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله إن كان
الله يريد أن يغويكم وتقدير الكلام إن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن
أنصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول لو قال الرجل أنت طالق إن دخلت الدار إن
كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما أوهموا أن جداله كلام بلا طائل
وهو دليل على أن إرادة الله تعالى يصح تعلقها بالإغواء وأن خلاف مراده محال
وقيل أن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى إذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم
والمتصرف فيكم وفق إرادته وإليه ترجعون فيجازيكم أم يقولون افتراه قل
إن افتريته فعلي إجرامي وباله وقرئ أجرامي بالجمع وأنا بريء مما تجرمون من
إجرامكم في إسناد الافتراء إلي وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن
فلا تبتئس بما كانوا يفعلون أقنطه الله من إيمانهم ونهاه أن يغتم بما فعلوا
من التكذيب والإيذاء واصنع الفلك بأعيننا ملتبسا بأعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي
به يحفظ الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن مبالغة في الحفظ والرعاية على
طريقة التمثيل ووحينا إليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تراجعني
فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم إنهم مغرقون محكوم عليهم بالإغراق فلا سبيل إلى كفه
ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤوا
به لعمله السفينة فإنه كان يعملها في برية بعيدة من الماء أوان عزته وكانوا يضحكون
منه ويقولون له صرت نجارا بعد أن كنت نبيا قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما
تسخرون إذا أخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال
فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يعني به إياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه
وينزل عليه أو يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك منه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار
حتى إذا جاء أمرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه أو حتى هي
التي يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء منه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز
ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها أو في الهند
أو بعين وردة من أرض الجزيرة وقيل التنور وجه الأرض أو أشرف موضع فيها قلنا
احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين
ذكرا وأنثى هذا على قراءة حفص والباقون أضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين
من كل ذكر وصنف أنثى وأهلك عطف على زوجين أو اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم

إلا من سبق عليه القول بأنه من المغرقين يريد ابنه كنعان وأمه واعلة فإنهما كانا كافرين
ومن آمن والمؤمنين من غيرهم وما آمن معه إلا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين رجلا
زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا
وامرأة من غيرهم روي أنه عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها
ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها إلى الماء ثلاثين وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في أسفلها
الدواب والوحش وفي أوسطها الإنس وفي أعلاها الطير وقال اركبوا فيها أي صيروا
فيها وجعل ذلك ركوبا لأنها في الماء كالمركوب في الأرض بسم الله مجراها ومرساها
متصل باركبوا حال من الواو أي اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت إجرائها
وإرسائها أو مكانهما على أن المجرى والمرسى للوقت أو المكان أو المصدر والمضاف محذوف
كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على أن
بسم الله خبر أو صلة والخبر محذوف وهي إما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها
أو حال مقدرة من الواو أو الهاء وروي أنه كان إذا أراد أن تجري قال بسم الله فجرت
وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست ويجوز أن يكون الاسم مقحما كقوله ثم
اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائي وعاصم مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرساها
أيضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله إن
ربي لغفور رحيم أي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته إياكم لما نجاكم وهي تجري بهم
متصل بمحذوف دل عليه اركبوا أي فركبوا فيها مسمين وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال في
موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها
وما قيل من أن الماء طبق ما بين السماء والأرض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت
والمشهور أنه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وإن صح فلعل ذلك قبل التطبيق
ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الألف على أن الضمير لامرأته
وكان ربيبه وقيل كان لغير رشده لقوله فخانتاهما وهو خطأ إذ الأنبياء عصمت
من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية
سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن أبيه أو عن دينه مفعل
للمكان من عزله عنه إذا أبعده يا بني اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا الياء
ليدل على الإضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فإنه وقف عليها في لقمان في
الموضع الأول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فإنه فتح ههنا
اقتصارا على الفتح من الألف المبدلة من ياء الإضافة واختلف الرواة عنه في سائر المواضع
وقد أدغم الباء في الميم أبو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في
الدين أو الاعتزال قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء أن يغرقني قال لا عاصم اليوم
من أمر الله إلا من رحم إلا الراحم وهو الله تعالى أو إلا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون

دعيد الا ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللايذ به الا معتصم المومنين وهو
السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله تعالى في عيشة راضية وقيل الاستثنا
منقطع اي ولكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين
ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين بالما وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء
اقلعي نودي بما ينادي به اولوا العلم وامر بما يومرون به تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما
لما يشا تكوينه فيهما بالامر المطاع الذي يامر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة
لعظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك وغيض الما نقص
وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجا المومنين واستوت واستقرت
السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بامد روي انه ركب السفينة
عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصار ذلك اليوم وصار ذلك سنة وقيل بعدا
للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى
عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعا السوء والاية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها
وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار
على البنا للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغني عن ذكره
اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سوى الواحد
القهار ونادى نوح ربه واراد نداه بدليل عطف قوله فقال رب ان ابني
من اهلي فان النداء وان وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد
وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه
وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم اذ الحاكم من
الحكمة كالدارع من الدرع قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المومن والكافر
واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل
فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنسا . تصف ناقة ترتع ما رتعت
حتى اذا ذكرت . فانما هي اقبال وادبار . ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة
بين وصفيهما وانتفا ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائي ويعقوب
انه عمل اي عمل عملا غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ما لا تعلم اصواب هو
ام ليس كذلك وانما سمي نداه سوالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه في شان
ولده واستفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني اعظك
ان تكون من الجاهلين لان استثنا من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال
واغناه عن السوال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقرأ ابن كثير
بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله
تسالنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفا

كقول الخنسا . تصف ناقة ترتع ما رتعت حتى اذا . ادكرت فانما هي اقبال وادبار . ما الوجب

بالكسرة وعن

بالكسرة وعن نافع اثباتها في الوصل قال رب اني اعوذ بك ان اسألك في المستقبل ما ليس
لي به علم ما لا علم لي بصحته والا تغفر لي وترحمني والا تغفر لي ما فرط مني من السوال وترحمني
بالتوبة والتفضل علي اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا
انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك وخيرات
عليك او زيادات في نسلك حتى تصير ادما ثانيا وقري اهبط بالضم وبركة على
التوحيد وهي الخير النامي وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين معك سموا امما
لتحزبهم او لتشعب الامم ناشية ممن معك والمراد بهم المومنون لقوله وامم سنمتعهم
اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم في الاخرة والمراد بهم
الكفار من ذرية من معه وقيل قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل
بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتدا وخبرها من انبا الغيب اي
نوحيها اليك خبران والضمير لها اي موحاة اليك او حال من الانبا او هو الخبر
ومن انبا متعلق به او حال الها ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر اخر
اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الها في نوحيها او الكاف
في اليك الحال من الانبا او هو الخبر اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه
على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف برجل
منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ان العاقبة في الدنيا
بالظفر وفي الاخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا
عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم
من اله غيره وقري بالجر حملا على المحل المجرور وحده ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ
الاوثان شركا وجعلها شفعا يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي
فطرني خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع ما
دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق
من المبطل والصواب من الخطا ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة
الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبري عن الغير انما يكون بعد الايمان به
والرغبة فيما عنده يرسل السما عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف
قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات
وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم هود على الايمان
والتوبة كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم
اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة
دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي
الهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك

بمؤمنين

اقتناط له من الاجابة والتصديق ان نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك
اصابك من عراه يعروه اذا اصابه بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها
ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال
اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم
تاكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في
اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء
الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التي هي جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن من
اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من
الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم
عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم
تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لن تضروني فاني متوكل على الله وواثق
بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم
برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي الا وهو مالك لها قادر عليها
يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم اي
انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا
فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة
فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي
قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في
ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع كأنه
قيل وان تتولوا يعذرني ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن
جزم يستخلف اسقط النون منه ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا تخفى عليه اعمالكم
ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا عذابنا
او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة
آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت
تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب
الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة
بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى
قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم
ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار
عنيد يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا اذا طغى والمعنى

عصوا

عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا
في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب
الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء
عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وانما
كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود عطف بيان
لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم
وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو
انشأكم من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله
منها من التراب واستعمركم فيها عمركم واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم
بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين
دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي
قريب من الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من
مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور وان توافقنا في الدين فلما سمعنا
هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا على حكاية الحال الماضية
واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة
من ارابه او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب في الامر قال يا قوم ارأيتم ان كنت على
بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين وآتاني منه رحمة نبوة
فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك
به فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان اخسر ديني بابطال ما منحني الله به
والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه
ناقة الله لكم آية انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها
لتنكرها فذروها تاكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء
فياخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام فعقروها
فقال تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا ثلاثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة
ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله
ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز فكأن الواعد قال له اني بك فان وفي
صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا
والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم
او ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه
هنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه
واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين قد سبق تفسيره في سورة الاعراف

كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم نونه ابو بكر ههنا وفي النجم والكسائي في جميع القرآن
وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله ألا بعدا لثمود ذهابا الى الحي او الاب
الاكبر ولقد جاءت رسلنا إبراهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبريل
وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا
عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اي امركم او جوابي سلام
او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما
لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فما ابطأ مجيئه به او فما
ابطأ في المجيء به او فما تأخر عنه والجار في ان مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي
يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين فلما رأى أيديهم لا تصل إليه
لا يمدون اليه ايديهم نكرهم وأوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها
ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار قالوا له لما احسوا منه
اثر الخوف لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا
لانا لا ناكله وامرأته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤوسهم للخدمة فضحكت
سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رأيها فانها كانت تقول اضمم
اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهذا القوم وقيل فضحكت فحاضت قال

وعهدي بسلمى ضاحكا في لبانة ... ولم يعد حقا ثديها ان تحلما

ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها بإسحاق ومن وراء
إسحاق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام
وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحاق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحاق
او على لفظ اسحاق وفتحته للجر فانه غير مصروف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه
بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ وخبره الظرف اي ويعقوب مولود من بعده
وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحاق
ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان
يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه
البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على
الولد قالت يا ويلتى يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل
أألد وأنا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر
شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع
على انه خبر محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل إن هذا لشيء عجيب
يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا أتعجبين
من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار

اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع
ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات
واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة
إنه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن إبراهيم الروع
ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا
في قوم لوط يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب
لما جيء به مضارعا على حكاية الحال او لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو او دليل
جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا او شرع في جدالنا او متعلق به اقيم مقامه
مثل اخذ او اقبل يجادلنا إن إبراهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسيء اليه أواه
كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس منيب راجع الى الله والمقصود من ذلك
بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه يا إبراهيم على ارادة القول اي
قالت الملائكة يا ابراهيم أعرض عن هذا الجدال إنه قد جاء أمر ربك قدره بمقتضى قضائه
الازلي بعذابهم وهو اعلم بحالهم وإنهم آتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا دعاء
ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاؤوا في صورة غلمان فظن
انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم
صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا
يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون إليه يسرعون اليه كانهم
يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون
السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤوا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم
هؤلاء بناتي فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن
قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ
او مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهارا لشدة امتعاضه
من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة
والتربية وفي حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن أطهر لكم انظف فعلا
واقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على الحال على ان هن خبر
بناتي كقولك هذا اخي هو وفيه ضعف لانه لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش
او بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحوني او لا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي
في شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه أليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي
عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق حاجة وإنك لتعلم ما نريد وهو
اتيان الذكران قال لو أن لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم أو آوي إلى ركن
شديد الى قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله عليه وسلم

رحم الله لوطا كان يأوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لي
بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه اغلق بابه دون اضيافه
واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب
قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا
واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل بجناحه وجوههم فطمس وجوههم واعماهم فخرجوا
يقولون النجا النجا فان في بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع
بالوصل حيث وقع في القرآن من السرى بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت
منكم احد ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط
الا امرأتك استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من
الليل الا امرأتك وهذا انما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر
الى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز
حمل القراءتين على الروايتين في انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب
التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعاني
المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين من قوله ولا يلتفت مثله في قوله تعالى
ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها
بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله
انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم
الصبح كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه
العذاب فلما جاء امرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب سببا عنه بقوله
جعلنا عاليها سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المامورون به
فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روي ان جبريل عليه الصلاة والسلام
ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح
الديكة ثم قلبها عليهم وامطرنا عليها على المدن او شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر
لقوله حجارة من طين واصله سنك كل معرب وقيل من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته
والمعنى من مثل الشيء المرسل او مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله ان يعذبهم به
وقيل اصله من سجين اي لا جهنم فابدلت نونه لاما منضود نضد معدا او العقوبة به مسومة
معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى بها
عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان تمطر عليهم وفيه وعيد
لكل ظالم وعنه عليه الصلاة والسلام انه سأل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يعني ظالمي امتك ما من
ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة
من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر او المكان والى مدين
اخاهم شعيبا اراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه والله اعلم

قال

قوله لا يجوز رد على الكشاف لقوله واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين ع

روي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب ع

واشتق الحجارة من فوقهم لانها ترسل على الظالمين ع

لعذابهم او نضد في الارسال بتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض ع

قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد
اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض
اني اراكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها
لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو في الجملة علة للنهي
واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله
واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة او عذاب الاستئصال وتوصيف اليوم بالاحاطة
وهي صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان صرح بالامر بالايفاء
بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم
السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها بالقسط بالعدل والتسوية من غير زيادة
ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا ولا
تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون في المقدار او في غيره وكذا
قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد
وقيل المراد بالبخس المكس كأخذ العشور في المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق
والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر صلوات الله وسلامه
عليه وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح آخرتكم بقية الله
ما ابقاه الله لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف
ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة
وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين لي في قولي وقيل البقية الطاعة كقوله
والباقيات الصالحات وقرئ تقية بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي وما انا
عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح
مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم
قالوا يا شعيب اصلاتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا من الاصنام اجابوا به
امره اياهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته والاشعار بان مثله لا تدعوا اليه
داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان شعيب
كثير الصلاة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائي وحفص على الافراد
والمعنى اصلاتك تأمرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل
غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي وان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا
وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والامر
بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فاراد به ذلك انك لانت الحليم
الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده
بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك قال يا قوم ارأيتم ان كنت

على بينة من ربي إشارة إلى ما آتاه الله من العلم والنبوة **ورزقني منه رزقا حسنا** إشارة
إلى ما آتاه من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام
الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه فاخالفه في امره ونهيه
وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء والضمير في منه لله
أي من عنده وباعانته بلا كد في تحصيله **وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه** أي وما أريد
أن آتي ما أنهاكم عنه لأستبد به فلو كان صوابا لآثرته ولم أعرض عنه فضلا عن أن أنهى عنه
يقال خالفت زيدا إلى كذا إذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه إذا كان الأمر
بالعكس **إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت** ما أريد إلا أن أصلحكم بأمري بالمعروف ونهيي
عن المنكر ما دمت أستطيع الإصلاح فلو وجدت الصلاح فيما أنتم عليه لما نهيتكم عنه
ولهذه الأجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه على أن العاقل يجب أن يراعي
في كل ما يأتيه ويذره أحد حقوق ثلاثة أهمها وأعلاها حق الله وثانيها حق النفس وثالثها
حق الناس وكل ذلك يقتضي أن آمركم بما أمرتكم به وأنهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية
واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الإصلاح أي المقدار الذي استطعته أو
إصلاح ما استطعته فحذف المضاف **وما توفيقي إلا بالله** وما توفيقي لإصابة الحق
والصواب إلا بهدايته ومعونته **عليه توكلت** فإنه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه
عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه إشارة إلى محض التوحيد
الذي هو أقصى مراتب العلم بالمبدأ **وإليه أنيب** إشارة إلى معرفة المعاد وهو أيضا
يفيد الحصر بتقديم الصلة على أنيب وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لإصابة
الحق فيما يأتي ويذره من الله والاستعانة به في مجامع أمره والإقبال عليه بشراشره
وحسم أطماع الكفار وإظهار الفراغ منهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم
بالرجوع إلى الله للجزاء **ويا قوم لا يجرمنكم** لا يكسبنكم **شقاقي** معاداتي **أن يصيبكم**
مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق **أو قوم هود** من الريح **أو قوم صالح** من الرجفة
وأن بصلتها ثاني مفعولي جرم فإنه يعدى إلى واحد وإلى اثنين ككسب وعن ابن كثير يُجرمنكم
بالضم منقول من المتعدي إلى مفعول والأول أفصح فإن أجرم أقل دورانا على ألسنة الفصحاء
وقرئ مثل بالفتح لإضافته إلى المبني كقوله: لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامة في غصون ذات أوقال
وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا أو مكانا فإن لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم أو ليسوا
ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما أصابهم وإفراد البعيد لأن المراد وما إهلاكهم
أو وما هم بشيء بعيد ولا يبعد أن يسوى في أمثاله بين المذكر والمؤنث لأنها على زنة المصادر
كالصهيل والشهيق **واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه** عما أنتم عليه **إن ربي رحيم** عظيم الرحمة
للتائبين **ودود** فاعل بهم من اللطف والإحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو
وعد على التوبة بعد الوعيد على الإصرار **قالوا يا شعيب ما نفقه** ما نفهم **كثيرا مما**

واعلاها

تقول كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم
وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه أو لأنهم لم يلقوا إليه أذهانهم لشدة نفرتهم
عنه **وإنا لنراك فينا ضعيفا** لا قوة لك فتمتنع منا إن أردنا بك سوءا أو مهينا لا عز لك وقيل
أعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء
الأعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين **ولولا رهطك** قومك وعزتهم عندنا
لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فإن الرهط من الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى السبعة
لرجمناك لقتلناك برمي الحجارة أو بأصعب وجه **وما أنت علينا بعزيز** فتمنعنا عزتك
عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفي
إيلاء ضميره حرف النفي تنبيه على أن الكلام فيه لا في ثبوت العزة وأن المانع لهم
عن إيذائه عزة قومه ولذلك قال **قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه**
وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر بإشراككم به والإهانة برسوله
فلا تبقون على الله وتبقون علي لرهطي وهو يحتمل الإنكار والتوبيخ والرد والتكذيب
وظهري منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب **إن ربي بما تعملون محيط** فلا
يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها **ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون**
من يأتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الأنعام والفاء في سوف تعلمون ثمة للتصريح
بأن الإصرار والتمكن فيما عليه سبب لذلك وحذفها هنا لأنه جواب سائل قال فماذا يكون
بعد ذلك فهو أبلغ في التهويل **ومن هو كاذب** عطف على من يأتيه لا لأنه قسيم له كقولك ستعلم
الكاذب والصادق بل لأنهم لما أوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب
مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الأول إليهم والثاني إليه لكنهم لما كانوا
يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم **وارتقبوا** وانتظروا ما أقول لكم **إني معكم**
رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم أو المراقب كالعشير أو المرتقب كالرفيع **ولما جاء**
أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا إنما ذكره بالواو كما في قصة عاد إذ لم
يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فإنه ذكر بعد الوعد وذلك
قوله وعد غير مكذوب وقوله موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية **وأخذت الذين**
ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل فهلكوا **فأصبحوا في ديارهم جاثمين** ميتين وأصل الجثوم
اللزوم في المكان **كأن لم يغنوا فيها** كأن لم يقيموا فيها **ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود**
شبههم بهم لأن عذابهم كان أيضا بالصيحة غير أن صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين
كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الأصل فإن الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد
بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسورة **ولقد أرسلنا موسى**
بآياتنا بالتوراة والمعجزات **وسلطان مبين** هو المعجزات القاهرة أو العصا وإفرادها [illegible]
أمرها ويجوز أن يراد بهما واحدا أي ولقد أرسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على

نبوته واضح النفسه او موضحا اياها فان المبين جا لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الاية تعم الامارة
والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين يخص بما فيه جلاء الى فرعون وملائه
فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد
بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان
الداعي الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم
وما امر فرعون برشيد مرشد او ذي رشد وانما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه
يوم القيامة الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم
النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها
موردا ثم قال وبئس الورد المورود اي بئس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد
وتسكين العطش والنار بالضد والاية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذا
عاقبته لم يكن في امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة
حميدها واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة اي يلعنون في الدنيا والاخرة بئس الرفد
المرفود بئس العون المعان او العطا المعطى واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده
والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة في الدارين ذلك اي ذلك النبأ من
انباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك منها قائم من تلك القرى باق
كالزرع القائم وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة
وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا
اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم
فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء
امر ربك لما جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك وتخسير
وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف
النصب على المصدر اذا اخذ القرى اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي
وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامها اجريت
عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم وانذار كل ظالم نفسه او غيره من وخامة
العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد
والتحذير ان في ذلك اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم لاية
لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة يعتبر به عظة لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعده الله
للمجرمين في الاخرة او ينزجر به عن موجبه لعلمه بانها من اله مختار يعذب من يشاء
ويرحم من يشاء فان من انكر الاخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل
تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة
الى يوم القيامة وعذاب الاخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس والتعبير

للدلالة

للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه
فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود
اي مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجرا الظرف مجرى المفعول به لقوله
في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل
الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك وما نؤخره اي اليوم الا لاجل معدود
الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف واراد منه التاجيل كلا [illegible]
لا لمنتهاها فانه غير معدود يوم يأت اي الجزاء او اليوم كقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم
بمعنى حين او الله عز وجل لقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوه وقرا ابن عامر
وعاصم
وحمزة بحذف اليا اجتزاء بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب
او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف الا باذنه
الا باذن الله لقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله
تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف اخر او الماذون فيه هي الجوابات الحقة
والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد
وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول
عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق
الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق واخره والمراد بهما
الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه
روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت
السموات والارض ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامها فان النصوص دالة على تأبيد
دوامهم وانقطاع دوامها بل التعبير عن التابيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون
به على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم
ولا من دوامه دوامهما الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه
وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الاخرة وارضها ويدل عليه
قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الاخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه
نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على
دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه الا ما شاء ربك استثناء من الخلود في النار
لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال
الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون
الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار
الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله
فمنهم شقي وسعيد صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك

الشرط حينئذ للتقسيم لا لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون
عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين
في شخص باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا
وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان
الله ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي
ان يكونوا في النار حين يأتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا
غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل
هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك علي الف
الا الفان قديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء
السموات والارض ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا ففي الجنة
خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح
بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله
فرق بين الثواب والعقاب بالتابيد وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء
للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من
الجنة فلا تك في مرية شك بعدما انزل عليك من مآل الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء
المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم
او من حال ما يعبدونه في انه لا يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل
استئناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم وآباؤهم سواء في الشرك اي ما يعبدون عبادة
الا كعبادة آبائهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما يعبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق آباءهم
من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف
لدلالة قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كآبائهم او من الرزق
فيكون عذرا لتأخر العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب لتقييد
التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد آتينا موسى
الكتاب فاختلف فيه فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن
ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى القيامة لقضي بينهم بانزال
ما يستحقه المبطل ليتميز به المحق وانهم وان كفار قومك لفي شك منه من القرآن
مريب موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين
بدل من المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل
لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما
مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت
النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم

ربك

٢٣٦

ربك اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد
قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوته شيء منه وان خفي فاستقم كما امرت لما بين امر
المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله بالاستقامة
مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل
بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل
والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في
غاية العسر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب
من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل
لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو
مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الآية دليل على وجوب اتباع
النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا
ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم
فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك
فما ظنك بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم
نفسه والانهماك فيه ولعل الآية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه
وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة
التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه
او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا
على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب
عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم
ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه
ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان
غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلاة طرفي النهار
غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة
من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلاة الغداة صلاة الصبح لانها
اقرب الصلوات من اول النهار وصلاة العشي العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد
الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون
كبسر وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات
يكفرنها وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي
سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني اصبت من امراة غير اني
لم آتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم وما بعده وقيل القرآن ذكرى للذاكرين

معصوماً عن الطرفين

هم

ين

عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين
عدول عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلاة والصبر احسان
وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا
بقية من الرأي والعقل او اولوا فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه
ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اي
ذوي ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة
من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن
انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا
جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه من
الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كأنه
اراد ان يبين ما كان السبب لاستئصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم
للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام
اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او
اعتراض وقرئ واتبع اي واتبعوا جزاء ما اترفوا فتكون الواو للحال ويجوز ان تفسر
المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها
مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته
ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد
وقيل الملك يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو
دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد
وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على
الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم من فضله
فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس
فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت
كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس اي من عصاتهما اجمعين
او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا اي وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما
نثبت به فؤادك بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص
وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار
او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت
به فؤادك من انباء الرسل وجاءك في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق
وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا
على مكانتكم على حالكم وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم

ولله غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله
فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم
الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون
انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي من
الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط
وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة
الى آيات السورة وهي المراد بالكتاب اي تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها في
الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سألوا
اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لما انتقل آل يعقوب من الشام
الى مصر وعن قصة يوسف انا انزلناه اي الكتاب قرآنا عربيا سمي البعض قرآنا
لانه في الاصل اسم للجنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه
على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى
مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف
لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اي انزلناه مجموعا او مفرقا
بلغتكم لكي تفهموه وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه
كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن القصص
احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله
على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه
من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا بايحائنا اليك هذا القرآن يعني السورة
ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله
لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم يقرع سمعك قط وهو تعليل
لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة اذ قال يوسف بدل
من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف
عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على
انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه
يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف
ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث
لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب

كسر ها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القران لانها حركة اصلها
او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي
لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من
غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها
ككاف الخطاب اني رايت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك
وقوله هذا تاويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر ان يهوديا
جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي راهن يوسف فسكت
فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك بذلك هل تسلم قال نعم قال جربان
والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ
ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلت من السما وسجدت له
فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها رايتهم لي ساجدين استيناف لبيان
حالهم التي راهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلا لوصفها بصفاتهم قال يا بني
تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن اثنتي عشرة لا تقصص
رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب من
رؤياه عليه السلام ان الله تعالى يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه
حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم ففرق
بينهما بتاء التانيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من
افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما يكون باتصال النفس بالملكوت
لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها
مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه
فترسلها الى الحس فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى
بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير
والا احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمينه معنى فعل
يعدى به تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله ان الشيطان للانسان
عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بادم وحوى فلا يالو جهدا في تسويلهم
واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك لمثل هذه
الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام
والاجتبا من جبيت الشي اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدا خارج عن التشبيه
كانه قيل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك
ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض
كتب الله وسنن الانبيا وكلمات الحكما وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل

ويتم

ويتم نعمته عليك بالنبوة اي بان تصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة وعلى آل يعقوب يريد به
سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب او نسله كما اتمها على ابويك بالرسالة
وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحاق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم
من قبل من قبلك او من قبل هذا الوقت ابراهيم واسحاق عطف بيان لابويك ان ربك عليم
بمن يستحق الاجتبا حكيم يفعل الاشيا على ما ينبغي لقد كان في يوسف واخوته
اي في قصتهم ايات دلائل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك للسائلين لمن سال عن
قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي
وزبالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت
تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع
محرما حينئذ واربعة اخرون دان ونفتالي وجاد واشر من سريتين زلفة
وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة
من الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه
والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن
عصبة والحال انا جماعة اقويا احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة
العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله
المفضول او لترك التعديل في المحبة روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان
اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم
حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم
اتفقوا على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوه وانما قاله شمعون او دان ورضي به الاخرون
او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران وهي معنى تنكيرها وابهامها ولذلك
نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم
فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا
جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان من بعده بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله
او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم
وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم
قال قائل منهم يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف
فان القتل عظيم والقوه في غيابة الجب في قعره سمي به لغيبوبته عن عين الناظر
وقرا نافع في غيابات على الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات
بالتشديد يلتقطه ياخذه بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الارض ان كنتم
فاعلين مشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا
ما لك لا تامنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه

ونريد له الخير ارادة ابتنا استنزله عن رأيه في حفظه منهم لما تنسّم من حسدهم والمشهور
تأمنّا بالادغام باشمام وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين
وتيمنا بكسر التا أرسله معنا غدا الى الصحرا يرتع نتسع في اكل الفواكه ونحوها ويلعب
بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي
ونافع بالكسر والياء فيه وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء على اسناد الفعل وانا له لحافظون
ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه
واخاف ان يأكله الذئب لان الارض كانت مذأبة وقيل رأى في المنام ان الذئب
قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع في رواية البزي
وابو عمرو وقفا وعاصم وابو عمرو وحمزة درجا واشتقاقه من تذأبت الريح اذا هبت
من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه
قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون
ضعفاء مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا
به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس
او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب
لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى الصحرا اخذوا
يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما
عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا
يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم وقال يا اخوتاه ردوا
علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك
فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ما فسقط ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها فجاءه
جبريل بالوحي كما قال واوحينا اليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا
اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام ~~الى اسحق واسحق الى يعقوب~~ وفي
القصص ان ابرهيم حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص
من حرير الجنة فالبسه اياه ودفعه ابرهيم عليه السلام الى اسحق واسحق الى يعقوب عليهم
السلام فجعله في تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل فالبسه اياه لتنبئنهم بامرهم
هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك
وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلي والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم
بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره
ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون وجاءوا اباهم عشاء اخر النهار
وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكا
يبكون متباكين روي انه لما سمع بكاهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا

يبكي

يا ابانا

متباكين

يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو والرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل
كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن
لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاءوا على قميصه
بدم كذب اي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة
وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي جاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة
اي كدرا او طريا وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق
على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اي فوق قميصه او على الحال من الدم
ان جوز تقديمها على المجرور روي انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل عن قميصه فاخذه
والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذئبا
احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا
اي سهلت لكم انفسكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخا
فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي
لا شكوى فيه اي الى الخلق والله المستعان على ما تصفون على احتمال من هلاك يوسف
وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين
الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلث من القائه فيه فارسلوا واردهم
الذي يرد الما ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها في
الجب ليملاها فتدلى بها يوسف فلما رآه قال يا بشراي هذا غلام نادى البشرى بشارة
لنفسه او لقومه كانه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم لصاحب له ناداه
ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة وورش يا بشراي
بالسكون على قصد الوقف واسروه اي الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل
اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الما لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة
يوسف وذلك لان يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها
فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلام ابق منا فاشتروه وسكت
يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة
واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم
يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه وفي
مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه
دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية
ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه
في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير في كانوا ان كان للاخوة فظاهر
وان كان للرفقة وكانوا بايعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشي متهاون به

خايف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا بايعين فلانهم اعتقدوا انه ابق
وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف
يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول **وقال الذي اشتراه من مصر**
وهو العزيز الذي كان على خزاين مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد
العمليقي وقد امن بيوسف ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعماية بدليل
قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والاية
من قبيل خطاب الاولاد باحوال الاباء روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة
ولبث ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاث وثلثين سنة وتوفي
وهو ابن ماية وعشرين سنة واختلف فيما اشتراه به من جعل شراه غير الاول فقيل عشرين
دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا **لامرأته** راعيل او زليخا
اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده **عسى ان
ينفعنا** في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا **او نتخذه ولدا** نتبناه وكان عقيما
لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت
يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر **وكذلك مكنا ليوسف في الارض** وكما
مكنا محبته في قلب العزيز او مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا
له فيها **ولنعلمه من تاويل الاحاديث** عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه
اي كان القصد في انجايه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني
كتاب الله واحكامه فينفذها او تعبير المنامات المنبهة على الحوادث الكاينة
ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل بسنيه **والله غالب على امره**
لا يرده شي ولا ينازعه فيما شا او على امر يوسف اراد به اخوته شيا واراد الله غيره
فلم يكن الا ما اراده **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ان الامر كله بيده او لطايف صنعه
وخفايا لطفه **ولما بلغ اشده** منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين
الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبداه بلوغ الحلم **اتيناه حكما** حكمة
وهو العلم المؤيد بالعمل وحكما بين الناس **وعلما** يعني علم تاويل الاحكام **وكذلك نجزي
المحسنين** تنبيه على انه تعالى انما اتاه ذلك جزا على احسانه في عمله واتقانه في عنفوان
امره **وراودته التي هو في بيتها عن نفسه** طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من
راد يرود اذا جا وذهب لطلب شي ومنها الرايد **وغلقت الابواب** قيل كانت
سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق **وقالت هيت لك** اي اقبل وبادر
او تهيات لك والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين واللام للتبيين
كالتي في سقيا لك وقرا ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط
وهي لغة فيه وقرئ هئت كجئت وهيت كحيث من هاء يهيء اذا تهيا وقرئ

هيت

